٥ شاقل
العدد
العشرون
بعد المئة
نيسان ١٩٩٠

الكاتب ١٢٠

للثقافة الانسانية والتقدم

- التطور الصناعي الفلسطيني - مسيرة مجردة
- ملف خاص عن صوت الوطن ما هو مستقبل الاشتراكية؟!
- أزمة الديون الخارجية في البلدان النامية النامية.
- الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها-وحتى ١٩٥٨
- من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة.
- انعكاس الفعل الابداعي في قصص سامي الكيلاني
- مسرحية "القميص المسروق" تصفية للبرجوازية الوطنية بقالب برختي.
- ملحق الكاتب لشئون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية.

الأزمة السياسية في إسرائيل

تؤكد فشل الحلول الأميركية

Digitized by Birzeit University Library

● جنود الاحتلال يصوبون ليمطروا المنازل والمناطق السكنية في جبل الكبر بالغاز المسيل للدموع.
(تصوير: «سنابل» ـ خاصة بـ «الاتحاد»، القدس)

Digitized by Birzeit University Library

120

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

هاتف: ٢/٨٥٦٩٣١.
ص.ب ٢٠٤٨٩
القدس

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	أوروبا	بلدان أخرى
للافراد	٣٠	٦٠	٧٥
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

العدد (١٢٠) نيسان ١٩٩٠- السنة العاشرة No. (120) April 1990

Digitized by Birzeit University Library

سياسة

٤	الازمة السياسية في اسرائيل تؤكد فشل الحلول الاميركية	أسعد الأسعد
٣٦	قائمة بأسماء شهداء الشهر الثامن والعشرين للانتفاضة	الكاتب

دراسات وأبحاث ومداخلات

٧	التطور الصناعي الفلسطيني - نظرة مجردة	د. ديتر فايس ترجمة عادل الزاغة
١٥	ملف خاص عن صوت الوطن ماهو مستقبل الاشتراكية؟!	وليد مصطفى فالح عبد الجبار د. ماهر الشريف
٣٨	أزمة الديون الخارجية في البلدان النامية	د. محمود ابو الرب
٤٩	الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها - وحتى العام ١٩٥٨	سعد عباس عبيد
٥٩	آراء حرة	حاتم أبو دية أسعد الأسعد

أدب

٦٥	من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة	د. محمد شحادة
٧٧	انعكاس الفعل الابداعي في قصص سامي الكيلاني	علي الجريري

Digitized by Birzeit University Library

الاراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير.

فنون

٨٣	مسرحية "القميص المسروق" - تصفية للبرجوازية الوطنية بقالب بريختي.	محمد داود

قصة

٨٧	رحلة الى المدينة	عمر أبو عقاب
٩٠	لحظات حلم	عائشة المغربي

شعر

٩٢	تحية من أب الى ابنه في المعتقل	فؤاد حرب
٩٣	عيون لجباليا	هشام أبو ضاحي
٩٥	موت - الى أحمد عبد	ماجد أبو غوش
٩٦	ملحق الكاتب لشئون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية	

Digitized by Birzeit University Library

الأزمة السياسية في اسرائيل تؤكد فشل الحلول الاميركية

أسعد الأسعد

الأزمة التي أدت الى انفراط عقد شراكة الحزبين الكبيرين في اسرائيل، الليكود والمعراخ، في منتصف الشهر الماضي، أخذت شكلا ومضمونا لم تأخذه من قبل، ولن يكون من السهل تجاوزها، أو التغاضي عنها حتى لو نجحت المساعي المحمومة للخروج منها - بدون مواجهة الأسباب الحقيقية التي أدت الى وقوعها، اذ إن التهرب من مواجهتها كان من أهم الأسباب التي أدت الى وقوعها. حيث اعتقد أصحاب القرار في الليكود أن عامل الزمن، يمكن أن يحمل البلسم الشافي لتلك الازمة، وأعني المراهنة على أن الحل يكمن في القضاء على الانتفاضة اولاً، بعضهم راهن على امكانية القضاء عليها من داخلها، أي بتفتيتها، وشل قدراتها وفعالياتها، وبعضهم طالب بتصعيد وسائل قمعها، وتوهم - الليكود، أن الأمر لا يتطلب أكثر من أسابيع أو أشهر في أسوأ الأحوال، حيث تعود المياة الى مجاريها، ويستتب الوضع كما يشاؤون، وأما في حزب العمل، فقد راهنوا على موقفهم المعروف، القائم على فك ارتباط المناطق المحتلة بمنظمة التحرير الفلسطينية، والسعي الى تكريس قيادة وطنية محلية، انطلاقا من فهمهم القائم على أن مطاليب قيادة وطنية محلية، سوف تكون أسهل، من مطاليب القيادة في تونس، وعملا بهذه الأهداف، سعت زعامة المعراخ الى تشجيع القيادات المحلية على أخذ دورها، ومساعدتها على توسيع قاعدتها، ظنا منها، أن التعامل مع هذه الزعامات، سوف يؤدي الى إبعاد منظمة التحرير عن مركز التأثير ويشل قدرتها على الفعل المباشر والقرار، ومع أن عددا من الشخصيات الوطنية، اندفع في هذا الاتجاه، إلا أن الأمر، ظل مرهونا بتعليمات وقرارات القيادة السياسية، التي تعززت مكانتها منذ اندلاع الانتفاضة، وتعززت يوما بعد يوم، حقيقة أن القرار الفصل لا يزال بيد منظمة التحرير، وأن أحدا من هذه الشخصيات الوطنية، لا يملك التصريح أو التوقيع على قصاصة ورق، مهما كانت، دون الاستناد الى قرار من منظمة التحرير، وفي أحسن الأحوال، فان الهامش المسموح به لهذه الشخصيات، لا يخرج عن سياسة منظمة التحرير، وقراراتها المعروفة والمعلنة.

Digitized by Birzeit University Library

من هنا، ومرة أخرى، وجد زعماء اسرائيل أنفسهم أمام حقائق تتجدد، حيث لم تنتهي الانتفاضة، ولم يجد الباحثون عن بدائل لمنظمة التحرير أحدا يحقق لهم بعض ما يشتهون، ومرة أخرى فلتت الأمور من بين أيديهم، وتعمقت الحقائق التي سعوا الى طمسها، وعلى رأسها، حقيقة أن الانتفاضة تعكس بوضوح لا يقبل التأويل، إصرار الشعب الفلسطيني على الخلاص من الاحتلال، وتحقيق ذاته الوطنية والقومية، وهذا تحديدا ما لا يريد أن يفهمه أصحاب القرار في اسرائيل، وهو تحديدا أيضا، سبب أزمة اسرائيل وحكومتها، وانفراط عقدها، من جانب آخر، فقد سعت حكومة اسرائيل، الى التأكيد على أن الانتفاضة لن تجلب للفلسطينيين غير مزيد من الشهداء والدمار، وراهنت على أن الزمن كفيل ببذر اليأس في نفوس الفلسطينيين حتى بدت "اللعبة" مرهونة بمن ييأس أولا، وخلال هذا السباق، كان المسؤولون الاسرائيليون، يعملون كل ما بوسعهم، للحيلولة دون إحساس الفلسطينيين بأية مكاسب قد يجنونها من الانتفاضة، ولا شك في أنهم نجحوا معظم الوقت، رغم النجاحات الكبيرة التي تحققت عبر الانتفاضة وجراءها، لكن أحدا لا يمكنه اليوم، أن ينكر وعي الشارع الفلسطيني لأصول "اللعبة" وادراكهم لتشعباتها، كما أن أحدا لا يمكنه إنكار، أن الانتفاضة هي التي كانت وراء انفجار الأزمة السياسية في اسرائيل، وهي التي أطاحت بحكومة - الليكود والمعراخ - وهي التي تسببت في الخلاف بين الشريكين الرئيسيين من جهة، وبين احتدام الخلاف بين معسكر شامير وشارون من جهة أخرى، الى حد الانفصال عن الليكود والاعلان عن كتلة مستقلة، تقف على يمين الليكود، وتعتبر الاردن دولة فلسطينية، وبالتالي تتمسك بالضفة الغربية وقطاع غزة، وتعتبرها جزءا من اسرائيل، يجب عدم التنازل عنها ولا بأي حال من الأحوال، وهي بذلك لا تختلف في طرحها عن معسكر غيولا كوهين "هتحياه" أو رفائيل ايتان "تسوميت"، أو رحبعام زئيفي "موليدت"، أصحاب نظرية الترانسفير المشهورة.

ان من العبث، استمرار تجاهل ما فعلته الانتفاضة، سواء في المجتمع الفلسطيني، أو العربي، أو على الصعيد العالمي، كما أنه من العبث أيضا، استمرار تجاهل ما فعلته الانتفاضة في المجتمع الاسرائيلي، فان كان للانتفاضة أثرها على الأزمة السياسية، فان الحقيقة الأكثر وضوحا اليوم، عدم امكانية الاستمرار في التغاضي عن الحقائق الجديدة، التي خلقتها الانتفاضة، والتي أهمها، اضمحلال أية فرصة للسلام، بدون منظمة التحرير الفلسطينية، وزيادة فرص نجاح انعقاد المؤتمر الدولي، بوصفه أقصر الطرق وأكثرها نجاعة وضمانا لاحلال السلام العادل.

أما اختزال المسألة في موضوعة الانتخابات، وهوية المرشحين لها، فهو أمر ليس أكثر من مضيعة للوقت، أو ربما الأصح، كسب للوقت، فان كان الخلاف يدور منذ سنة عن هوية المرشحين، فكم سنحتاج من الوقت لتحديد موضوعات البحث، وصلاحيات هؤلاء، والتفاصيل الاخرى المتعلقة بصلب القضية، طالما بقي الطرف الاسرائيلي، هو صاحب القرار، والجهة الوحيدة، الجاري ارضاؤها، والأخذ برأيها، من هنا فان إبقاء الأمر على صورته، سوف لن يؤدي الى شيء، فالولايات المتحدة ليست مستعدة للقيام بأية خطوة من شأنها الخروج عن الموقف الاسرائيلي، أو تفسيرها بغير حقيقتها المتمثلة بالتزام الادارة الاميركية بالموقف

Digitized by Birzeit University Library

الاسرائيلي إن المراوحة عند هذا الموقف سوف يؤدي الى اطالة "اللعبة"، ولن يكون الخروج منها سهلاً على ضوء الموقف العربي غير المبالي، وغير المسؤول من جهة، وعلى ضوء الظروف الداخلية الصعبة، التي يواجهها الاتحاد السوفيتي، والتي تشغله والدول الاشتراكية الأخرى عن الاهتمام بغير مشاكله الخاصة، المتعلقة باعادة ترتيب "البيت الاشتراكي" من جديد، اثر "الزلازل والبراكين"، التي اجتاحت تلك البلدان، وضربت أحزابها الشيوعية الحاكمة. وعليه فقد آن الاوان، للكف عن لعبة ربط القضية بالموقف الاسرائيلي والامريكي من جهة، وعدم ابقاء امرها، رهن الانتخابات الاسرائيلية مرة، وانتخابات الرئاسة الامريكية مرة أخرى، اذ يجب فك مسارها وارتباط سيرها، باللعبة الانتخابية من جهة، أو المعضلات الداخلية الجديدة في الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية من جهة أخرى، وإلا تحولنا الى دعاة للحزب الفلاني او الرئيس العلاني، على امل أن يحمل الفائز معه ما نتمناه، ثم لا نلبث أن نعود الى حساب الوقت المتبقي لولايتهم، فنغرق في تحليلات الوضع القائم من جديد، ننتظر انتخاباتهم، ونراهن على مرشحيهم... وهكذا دواليك.

وقد يكون من غير السهل علينا أن نخرج من هذه الدائرة، نظراً لارتباط قضيتنا بجملة من الظروف المحلية والعربية والدولية، غير أن هذه الحقائق، يجب أن تشكل مدخلاً لاعادة النظر في تعاملنا ونظرتنا للأمور، وأن ندرس جيداً حساب بيدرنا، وعلى رأس ذلك أن الانتفاضة فعلت الشيء الكثير حتى الآن، وهي لاشك ستفعل المزيد، ولكن الانتفاضة وحدها، لن تستطيع أن تفعل كل ما نتمناه، فهي تحتاج الى روافد عديدة، للوصول الى هدفها، وأولها، الموقف العربي، الذي يجب أن يرقى الى مستوى يؤهله لتحمل مسؤولياته التاريخية، وهو الى الآن، لا يصل الى الحد الأدنى من القبول، بل إن سلبيته، احد العوامل الرئيسية في المراوحة وعامل ضغط لاضعاف الموقف الفلسطيني، الذي يتأثر به سلباً وايجاباً، ولعل تبني الدول العربية لخطة السلام الفلسطينية ودعمها، يجب أن يشكل حجر الزاوية، في السياسة العربية تجاه القضية الفلسطينية، وعلى العرب أن يدركوا أن موقفاً جاداً وموحداً، كفيل بتحقيق حل مشرف، أما تجزئة الجهد العربي، والتفرد بالموقف، فلن يحقق شيئاً، واستمرار المراهنة على الموقف الاميركي ليس الا مضيعة للوقت، فسقوط الحكومة الاسرائيلية، يؤكد مأزق الحل الامريكي، وفشل خطة بيكر، مما يجعل الطريق سالكاً أمام عقد المؤتمر الدولي، والعمل على انجاحه، والضغط على الولايات المتحدة للتوجه إليه وتبنيه، اذا كانت عازمة حقاً على السير في طريق تحقيق السلام.

كيف يمكن أن يحدث ذلك؟!!

تحت بصر مبارك واجهزته

القاهرة محطة عبور ل"اليهود السوفيات"

نقلت صحيفة "معاريف" عن مراسل صحيفة "ايندبندنت" في القاهرة قوله: ان عدد المهاجرين اليهود السوفيات الذين يستخدمون القاهرة كمحطة في طريق هجرتهم الى اسرائيل أخذ في الازدياد وان هذا الوضع يسبب الحرج للرئيس المصري حسني مبارك حيث يصل المهاجرون بالطائرات الى مطار القاهرة بعدها يستقلون الباصات الى اسرائيل عن طريق العريش.

واضاف المراسل ان الشائعات حول استخدام القاهرة كمحطة عبور انتشرت في مصر منذ عدة اسابيع وان صحف المعارضة قامت بتصوير باصات تقل مهاجرين في طريقهم الى اسرائيل.

Digitized by Birzeit University Library

ما هو مستقبل الاشتراكية ؟!

وليد مصطفى × فالح عبد الجبار × د.ماهر الشريف

يسر هيئة تحرير مجلة الكاتب أن تعيد نشر ملف الزميلة "صوت الوطن" المخصص لما يدور في دول أوروبا الشرقية، ونحن اذ نعيد نشر هذا الملف، رغبة منا في اطلاع قرائنا الأعزاء على بعض ما يدور من نقاش وأفكار حول مستقبل الاشتراكية. نأمل أن يسهم ذلك في إغناء هذا النقاش.

المحرر

عن هذا الملف

ما هو مستقبل الاشتراكية، وكيف السبيل الى بلوغ اشتراكية المستقبل؟.. ان نموذج الاشتراكية التي سميت ب "الواقعية" أو "الحقيقية" قد سقط، وبات هناك اجماع، تقريبا، على ذلك، غير أن سقوط النموذج لا يعني انتفاء الحاجة الى الاشتراكية والتخلي عن الطموح الى تجسيد القيم النبيلة التي تحملها على الارض ولأن الامر كذلك يحتدم اليوم، وعلى امتداد العالم، نقاش غني حول ملامح الوجه الجديد لاشتراكية المستقبل وجوهرها، وتجتهد كل قوة، من القوى المعنية بمستقبل الاشتراكية، في استكشاف طريقها الى اشتراكية تكون منسجمة مع خصائص واقعها، وتقديرا منها لأهمية الموضوع الذي يدور حوله النقاش، ارتأت "صوت الوطن" أن تخصص ملف عددها هذا لثلاث مساهمات: الأولى تحاول الكشف عن بعض العوامل التي كانت وراء سقوط نموذج الاشتراكية "الواقعية"، والثانية تطرح "فرضيات" عن الاشتراكية والعالم العربي تقوم، كما ورد في خاتمتها، على أساس قراءة ماركس ومعاينة بعض جوانب التطور العالمي الراهن، والثالثة تسعى الى تعريف القارىء بمفهوم جديد، بدأ يشق طريقه بثبات في البلدان الأوروبية،هو مفهوم "الاشتراكية الثالثة".

Digitized by Birzeit University Library

هل ما يجري

مجرد خطأ في التطبيق؟

د. وليد مصطفى

يتابع كل وطني غيور في عالمنا المترامي، ما يجري في بلدان اوروبا الشرقية بقلق ولهفة واحيانا بحسرة، فقد تهاوت امام اعيننا، وخلال فترة قصيرة، انظمة بأكملها وكأنها انظمة كرتونية، وتطرح في الاذهان، وخصوصا في البلدان النامية، الاسئلة الصعبة التالية: ماذا سيحل بنضالنا ضد الامبريالية وقد تقلصت منظومة البلدان الاشتراكية؟ ماذا سيحل بالاتحاد السوفياتي وقد رفعت برأسها النعرات القومية، وهو البلد الذي تعيش فيه اكثر من مئة قومية وشعب؟ وكيف السبيل بعد اليوم، اذا انفردت الولايات المتحدة بشعوب العالم؟ هل ما يجري الان في بلدان اوروبا الشرقية حالة ثورية ام ثورة مضادة؟.

ان الاجابة عن هذه الامثلة والكثير غيرها في المرحلة الانتقالية هذه، وعبر تتابع الاحداث السريع، ليس سهلا، فقد فرضت المرحلة الانتقالية هذه قوانين تطورها التي لا تزال تتفاعل بشدة، وافرزت العديد من القضايا الجديدة التي لم تكن منظورة في بداية عملية التغيير ومع ذلك سنحاول التركيز، في هذا المقال، على السؤال الجوهري المطروح الان بحدة: ما هو مستقبل الاشتراكية؟ وهل ما يجري الان تعبير عن ازمة المازق للفكر الاشتراكي ونهاية حلم بناء الاشتراكية؟

انها ليست نهاية الاشتراكية

في خضم هذا الكم الهائل من التحريض والتشويه في وسائل الاعلام الرأسمالية وما يتبعها، والذي يهدف من جديد لاعادة تشكيل الرأي العام العالمي وتحريضه ضد الفكر الاشتراكي، والترويج للرأسمالية، لا بد من الاعتراف ان التغييرات الجارية في الاتحاد السوفياتي بخاصة، وفي عموم بلدان اوروبا الشرقية ستحدد مستقبل البناء الاشتراكي لعقود مقبلة.

وسنحاول في هذا المجال ان نستبق الاحداث لنؤكد ايماننا ان حركة التغيير ستنتصر في بناء الاشتراكية الديمقراطية والانسانية، وينبع هذا التفاؤل من طبيعة الفكر الاشتراكي ذاته ومن عرض ما حققته الاشتراكية من منجزات عبر بنائها المستمر منذ ٧٢ عاما. فمن يقدر على نفي التقدم الذي تحقق في البلدان الاشتراكية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عبر السنوات الماضية؟ ومن يقدر على انكار القفزة الكبرى التي حدثت في حياة شعوب هذه البلدان حتى وقت قريب؟

وماذا عن دور المنظومة الاشتراكية في الحد من الغطرسة الامبريالية وتشذيبها؟ وماذا عن دور هذه البلدان في حماية السلام العالمي ومنع نشوب حرب كونية جديدة؟ وما هو دور وفعالية

Digitized by Birzeit University Library

الاتحاد السوفياتي وغيره من البلدان الاشتراكية في دعم الشعوب المناضلة في سبيل استقلالها الاقتصادي والسياسي في القارات الثلاث آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية؟ وماذا عن ملاحم الحرية الاسطورية في الصين وجنوب شرق آسيا وافريقيا والعالم العربي؟ وما هو نصيب الدول الاشتراكية في انجاح هذه الملاحم؟

لم تكن الاشتراكية مرحلة عابرة في تاريخ البشرية ولن تكون، فهي مرحلة تطبقها الظروف الموضوعية لتطوير الحياة والمجتمع البشري على كوكبنا. ومنذ عرفت البشرية الاشتراكية، تقدمت الروح الانسانية والعدالة الاجتماعية على كوكبنا، واصبحت الحياة على ارضنا اكثر عدالة، والبشر اكثر ثقة بالمستقبل. لم تتلوث يد الاشتراكية، بالرغم من بعض الخطايا هنا وهناك، بالدم البشري كتلوث الاستعمار والفاشية والامبريالية. ولم تكن الاشتراكية الا الاستمرار الطبيعي لكل ما هو انساني في حضارتنا البشرية، ولم تحمل، بشكل عام، الا الجديد المبدع في التراث والحضارة والقيم.

والفكر الماركسي ليس الا الاستمرار الطبيعي للتراث الحضاري العالمي، وذلك بما أضافه الى هذا التراث من فكر طليعي متطور يلفظ كل تحجر وجمود، ولما حمله من معان ودلالات:

فهو رفض استغلال الانسان للانسان الاخر والتأكيد على حق كل انسان بالعيش والعمل والتعلم بكل حرية وفي ظروف انسانية، وهو في اساس الثقافة الانسانية المعادية للحرب والعنصرية والعنف والمنادية بعتق الانسان وفتح طاقات الابداع والتقدم امامه، وهو النضال ضد الحروب وسباق التسلح واستعباد الشعوب، والمطالبة بحق الشعوب في السيطرة على ثرواتها الطبيعية والسيادة على ارضها واقامة العلاقات بين الدول على اساس توازن المصالح، وهو الدفاع عن حفظ الحياة على سطح الارض ومنع التلوث.. الخ.

ألم يثمر النضال الدؤوب الذي خاضته شعوب كرتنا الارضية منذ بزوغ الفكر الماركسي وانتصاره في أول دولة اشتراكية منذ ٧٢ عاما؟ ألم تتحقق الانجازات الكبيرة في مجالات الاقتصاد والعلم والعدالة الاجتماعية والتطور الثقافي بفضل اسهام الاشتراكية ايضا؟ فكيف يقال ان الاشتراكية قد انتهت؟ وعلى ماذا يراهن اصحاب هذه الاقوال؟

ايراهنون على ان ما يجري الان في بلدان اوروبا الشرقية سيؤدي الى نهاية المكتسبات الاشتراكية التي تحققت لعموم الجماهير في تلك البلدان؟ أيعتقدون حقا ان عمال بولندا أو المجر او المانيا الديمقراطية سيتنازلون طوعا عن مكتسباتهم لصالح تطور رأسمالي استغلالي في تلك البلدان؟ اننا نراهن على ان شعوب هذه البلدان وغيرها من البلدان الاشتراكية وهي تختزن التجربة الحضارية والثقافية الاشتراكية العريقة، ستسعى لمزيد من التقدم والتطور على طريق الاشتراكية الديمقراطية الانسانية، ان هذه الشعوب وهي تلعن وتطيح باخطاء المسيرة السابقة لن تقع فريسة للمستغلين ولن تتنحى طواعية عن المكاسب الكبرى التي حققتها لها الاشتراكية.

ومهما قيل عن الشيوعيين والاحزاب الشيوعية في بلدان اوروبا الشرقية، فان للعدد الاكبر من هؤلاء المناضلين ما يعتزون به ويفتخرون امام شعوبهم، فبالدم والعرق والجهد العظيم ساهم هؤلاء مع ابناء شعبهم في بناء النظام الجديد في بلادهم. ولم تكن مسيرتهم مقتصرة على ارتكاب الخطأ والخطايا فقط، فهناك الكثير من الانجازات وهناك الكثير من الجهود التي بذلت وتبذل في سبيل غد مشرق لشعوبهم وللعالم أجمع.

Digitized by Birzeit University Library

ومن ثم لم تكن صدفة ان يبدأ الشيوعيون السوفيت عملية التغيير، ولم تكن صدفة ان تتم عملية التغيير في معظم بلدان اوروبا الشرقية بهدوء ودون دماء. ولولا ما قام به الديكتاتور وعائلته في رومانيا، لأمكن تحقيق الانتقال الى مرحلة التغيير الديمقراطي بسهولة اكثر مما جرت عليه.

والسؤال الان هل كان يمكن ان تجري عمليات التغيير في البلدان الرأسمالية بهذه الطريقة السلمية؟ وماذا كان مصير الحركات المشابهة في المعسكر الرأسمالي قديما وحديثا؟ وهل تنحني الاحزاب الحاكمة في تلك البلدان هنا أمام ارادة ورغبة جماهيرها؟ لنأخذ الولايات المتحدة مثلا، ونسأل ماذا فعلت الاحزاب الحاكمة في هذه البلاد العظمى لحماية الشعب الامريكي من ظلم المافيا وعالم الاجرام السفلي؟

ومع ذلك هل نقصد بهذا المقال الدفاع عن مسيرة الاشتراكية بعجرها وبجرها؟ وأين نحن من شعوب البلدان الاشتراكية؟ هل نحن مع التغيير ام لا؟ اننا نقصد بهذا الدفاع عن المجمل الانساني للتجربة والذي هو عزيز على كل ذي ضمير حي. اننا ننحني احتراما لنضالات وعذابات شعوب البلدان الاشتراكية في مسيرتها النضالية العريقة، ونريد لهذه الشعوب ان تتحقق طموحاتها نحو الافضل. وفي نفس الوقت نحن مع المواجهة الحقيقية للتجربة السابقة وبكل صدق وجرأة.

هل هو مجرد خطأ في التطبيق؟

غدا واضحا بعد هذا الفيض من العلانية وهذه الجدية في التعامل مع الواقع وعدم اخفاء الحقيقة عن الجماهير، ان الوضع الاقتصادي والاجتماعي في كافة البلدان الاشتراكية ليس على ما يرام، وان التأخر في معالجة الازمة قد عمق المعاناة لدى شعوب هذه البلدان.

ومن ثم، ولأن المشكلة عامة في البلدان الاشتراكية، فلا بد عند البحث عن الحل، الغوص في اعماق الازمة وتحديد الاسباب الفعلية للتردي. وهذا ما يدفعنا للاشارة وبصراحة الى ان جوهر الازمة باعتقادنا يعود الى خلل جدي في النظام الاقتصادي القائم وكذلك في اساليب العمل الحزبي. ومن ثم فان الاشارة الى ان الاخطاء في التطبيق والفساد والبيروقراطية وعسف الزعيم، وكأنها المسؤولة الوحيدة عما حدث من تردي، ليس دقيقا. فهذه مظاهر اوجدها النظام الاقتصادي والحزبي وسمح باستشراسها، هذا من جانب ومن جانب آخر فمن غير المفهوم ان تؤدي هذه المظاهر الى تعطيل عجلة التطور في البلاد الاشتراكية، بينما تأثيرها في المجتمعات الرأسمالية اضعف، مع انها منتشرة بشكل اوسع. وبالتالي ليس من المعقول ان نعزي تردي الوضع الاقتصادي في الاتحاد السوفياتي لفساد قادة الحزب وكبار رجال الجهاز، ونأخذ بالحديث عن القصور والسيارات والامتيازات، فكبار الرأسماليين في الغرب لهم قصورهم ايضا وبذخهم ولياليهم الحمراء وطاغوتهم، ومع ذلك لم تتوقف آلة الانتاج عن العمل.

لقد قامت الثورة الاشتراكية في حينها لحل المعضلة الاقتصادية التي كانت قائمة في بلدان الثورة، ولتحقيق العدالة الاجتماعية. ويحتل الموضوع الاقتصادي اليوم مركز الصدارة في البلدان الاشتراكية ويتطلب الحل السريع ودون انتظار او تردد، ويتطلب هذا الامر تحديد اين الخلل والحسم في طرح الحلول.

Digitized by Birzeit University Library

أين يكمن الخلل الرئيسي في الاقتصاد الاشتراكي.

لقد قدم الاقتصاد الاشتراكي، كما تم تطبيقه، العديد من المكاسب والمنجزات في حينه وتحولت البلدان الاشتراكية بفضله الى دول صناعية وزراعية كبرى، ذات صناعة عسكرية رهيبة. الا ان الاستمرار على نفس الاساليب ودون تجديد وتطوير، ودون المعالجة الفورية للنواقص، أوصل الامور الى مرحلة لم يعد فيها هذا الشكل في البناء الاقتصادي قادرا على ان يقدم الجديد، واخذ النمو الاقتصادي يتناقص في معدلاته، حتى وصل الى مرحلة الركود والتراجع، مما اوصل الامور الى ما وصلت اليه الان. في الوقت الذي كانت تتزايد فيه التزامات الاتحاد السوفياتي بالذات ازاء شعبه وازاء دول العالم الاشتراكي والمتحرر، في ظل هيمنة المجابهة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي.

واذا كانت السياسة السلمية الخلاقة التي طبقت في ظل هجوم السلام السوفياتي قد أدت الى تحقيق الانفراج بين المعسكرين وتقليص سباق التسلح، وفتح أفق واقعي لانهاء الحرب الباردة والانتقال من مرحلة المجابهة الى مرحلة التعاون، والى تخفيض الالتزامات العسكرية السوفياتية، وتخفيض الصرف عليها وتوجيهه لقطاعات الانتاج المدني، مما سيسهم في رفع معدلات النمو الاقتصادي، الا ان المشكلة لا زالت ايضا في كيفية العثور على سبيل لتحريك عجلة الانتاج بسرعة اكثر وبفعالية أشد.

ولا بد في هذا المجال من حسم الامور جذريا في الموقف من الملكية الخاصة ومن الشكل السائد في الملكية العامة لوسائل الانتاج ومن حدود ما يمكن ان تقوم به الدولة في عملية الانتاج والتجارة والموقف من تأمين المواد الاستهلاكية للسكان وحل قضية قطاع الخدمات جذريا، وحل الموضوعة الزراعية وغيرها من القضايا الاقتصادية الرئيسية.

الموقف من الملكية العامة

يلعب الوعي والحس بالمسؤولية دورا كبيرا في تحقيق الانجازات الاقتصادية لدى المؤسسة العامة هذه او تلك، حيث يعتمد الكثير في هذا المجال على الضوابط التي توضع لمراعاة الاصول الاقتصادية لتطور الانتاج المربح في المؤسسة العامة.

بعد قيام الثورة والانتقال الى الملكية العامة لوسائل الانتاج وتحمل الدولة مسؤولية الاشراف على كافة مرافق الحياة، كانت الدولة مضطرةالى ايجاد جهاز بيروقراطي مهمته الاشراف على تنفيذ هذه المهمة النبيلة. واذا كان هذا الجهاز في البداية متواضعا في حجمه لان مستوى الوعي وتحمل المسؤولية كان رفيعا عند العاملين في المؤسسات العامة، بفضل المكاسب الكبرى التي حققتها لهم الاشتراكية بالمقارنة لما كان عليه الحال في ظل النظام السابق، فان هذا الجهاز ومع تقدم السنين وتبدل الاجيال وانخفاض مستوى الوعي بأهمية الحفاظ على المؤسسة العامة، اخذ يتضخم عبر ازدياد الدوائر المعيقة بقصد المراقبة والتدقيق والجرد وغيره لمنع نهب المال العام، وكلما تضخم هذا الجهاز كلما زاد العبء على الربحية في الانتاج، لانه جهاز طفيلي غير منتج. بكلمة اخرى، تغير مع الزمن موقف الاجيال الجديدة من العمل ومن الملكية العامة، وهذا من حقها، فهي تسعى لمزيد من الرفاهية ومزيد من الراحة ومزيد من الدخل، وبالتالي اختلف

Digitized by Birzeit University Library

موقفها جذريا عن الاجيال الاولى، فيما يتعلق بالانتاج، ومع ذلك لم تجر المؤسسة الاقتصادية الاشتراكية اي تعديل يتجاوب مع هذا التبديل، واستمرت في تطبيق نفس الاساليب والقوانين السابقة التي تحدد العلاقة بين العامل ومؤسسته الانتاجية. مما ادى الى تدهور شديد في اوضاع المؤسسة العامة وقد انعكس هذا على كافة مراحل عملية الانتاج، بدءا من التبذير في المواد الخام والاستهتار بأصول نظام العمل وانخفاض الانتاجية والاهمال في صيانة الالات وتحديثها وعدم العناية بنوعية الانتاج ولا بتصريفه حتى الوصول الى نهب المؤسسة من قبل بعض المتنفذين. وكل ذلك يجري في ظل احساس غامر بعدم الاكتراث واللامسؤولية، ذلك لان المؤسسة العامة غدت في ظل تلك الظروف بلا مالك ومصيرها لم يعد يثير احدا، ففي ظل المساواة بالاجور وعدم تحمل احد مسؤولية الخسارة في الانتاج وعدم التصريف، فان الامر غدا سيان بالنسبة للعامل، ان عمل بربع جهده او اقل من ذلك، اي انه فقد الحافز للعمل، ولا ينفع هنا مبدأ تشديد الرقابة، ذلك ان نتائجه غالبا ما تكون مؤقتة وقصيرة المدى، لان العجلة القديمة اياها كانت سرعان ما تلقي بظلالها على كل "ترقيع" جديد.

وقد لعب في هذا الصدد الغاء آلية السوق بشكل تعسفي في البلدان الاشتراكية، دوره الفعال في تخلف الانتاج وارتفاع تكلفته. فمن غير المفهوم ابدا ان تخسر مؤسسة ما دون ان يتحمل احد مسؤولية تلك الخسارة، ومن غير المفهوم ابدا ان يتوصل انتاج مواد تتكدس في السوق والمخازن دون تصريف، ولا يفكر احد باغلاق المؤسسة المنتجة او تحويل انتاجها. ومن غير المفهوم ايضا ان يتم التركيز على كمية الانتاج واهمال النوعية. لقد ادى كل ذلك الى احداث خسائر كبرى في الاقتصاد الوطني نتيجة اهدار المواد الخام والطاقة وساعات العمل دون مقابل.

المسألة الجوهرية بهذا الصدد هي القضاء على وضع حالة "اليتم" في المؤسسة العامة، اي حالة عدم وجود مالك يتحمل كامل المسؤولية في الربح والخسارة. وذلك لا يكون بالعودة للرأسمالية، وانما بالتطبيق الحقيقي لمبدأ الاشتراكية الاول، المصنع للعامل والارض للفلاح بكل معنى الكلمة للملكية. اي ان يتحمل العامل او الفلاح الخسارة وان يجني الربح. لا يجوز الاستمرار على ما يبدو، في الوضع السابق لملكية المؤسسة العامة، مع مراعاة قواعد النمو الاقتصادي التي تتلخص بتكلفة اقل وجودة اكثر للانتاج مع ادخال احدث المنجزات العلمية - التكنولوجية في الانتاج وأخذ آلية السوق بعين الاعتبار والتسابق على تلبية حاجة المستهلك والابتكار في اساليب تصريف الانتاج لتحقيق الربح ومن ثم خلق الحافز عند العامل كي ينتج بشكل افضل. اما الجهاز الحكومي فستقتصر مسؤوليته على التخطيط العام ومراقبة الاسعار ومنع الاستغلال.

هل الدولة قادرة على القيام بكل شيء؟

عند قيام الدولة الاشتراكية، تنطحت الدولة لمهمة معقدة جدا الا وهي تحمل مسؤولية كل شيء بدءا من توفير الخبز وانتهاء بصنع السلاح الثقيل، ويبدو الان ان انجاز هذه المهمة كان في غاية الصعوبة وان النجاحات في هذا المجال كانت متواضعة نسبيا في بعض القطاعات بالمقارنة بالقطاعات الاخرى فبقدر ما حققت الملكية العامة النجاحات في قطاع الصناعات الثقيلة مثلا، بقدر ما كانت الانجازات بسيطة في قطاع الخدمات.

فما الحكمة مثلا من ان تحل الدولة محل الحرفي الصغير، الذي لا غنى عن جهده مهما تطور

Digitized by Birzeit University Library

الانتاج الصناعي (كالنجار والمواسيرجي، والميكانيكي والحلاق وصانع الاحذية واصحاب المهن الشبيهة الاخرى) وما الحكمة من الغاء التجارة بالمفرق؟ فالدولة لن تكون في يوم من الايام قادرة على تنفيذ هذه المهمات الدقيقة والمتشعبة والمعقدة بالدقة التي يقوم بها اصحابها بحوافزهم المعروفة، واثبتت التجربة ان الدولة لم تقدر ان تكون بديلا لهم، فعملوا اما بالخفاء او بعد انتهاء ساعات العمل.

ولو اخذنا قطاع الخدمات بمعناه الواسع من فنادق وصحة وسيارات اجرة وورشات تصليح السيارات وغيرها وقارناها مع اي بلد أخر، لوجدنا ان قطاع الخدمات هذا في ظل ملكية الدولة له، متأخر بخطوات واسعة عن مؤسسات شبيهة في المجتمعات غير الاشتراكية، ولم ينفع في ذلك اقامة الفنادق الضخمة جدا والورش الكبيرة.

بالمجمل لا بد للدولة من رفع يدها عن العديد من المهمات التي تنطحت لها قطاع الخدمات وبخاصة في قطاع الفنادق والسياحة واحالتها الى مؤسسات تعاونية تأخذ على عاتقها هذه المهمة، اما فيما يتعلق بالورش الصغيرة والمهن والتجارة بالمفرق، فمن الضروري هنا اعادة النظر بالموقف من الملكية الخاصة، والسماح للقطاع الخاص القيام بهذه المهمة.

لا بد من اعادة النظر في أصول العمل الحزبي

ان شمول الازمة التنظيمية كافة الاحزاب الشيوعية في البلدان الاشتراكية، وتخطيها ذلك الى اسلوب عمل الاحزاب الشيوعية العالمية، يتطلب وقفة جدية لاعادة النظر في العديد من القضايا التنظيمية وأصول عمل الاحزاب الشيوعية.

والاشارة الى ان السبب في الازمة يعود الى تسلط هذا الزعيم او ذاك، هو هروب من الواقع فنظام الحزب هو الذي سمح بهذا التجاوز، وليس تعطيل هذه المادة او تلك من النظام حيث يصعب ان يستطيع المرء استيعاب خنوع الشيوعيين وتغييب دورهم، وهم دعاة الفكر التحريضي المكافح الذي غير وجه العالم.

من المعروف تاريخيا ان الجماهير الشعبية وفي المراحل الاولى لبناء الاشتراكية، قد قبلت طوعا بالظروف الطارئة، والتي يتم فيها تجاوز الحقوق الانسانية احيانا، وذلك حفاظا على الثورة من اعدائها في الداخل والخارج. ولكن لم يكن من الطبيعي ابدا استمرار اجهزة الحزب على ذلك الحال، بعد ثبات الوضع وترسخ البناء الاشتراكي بفضل حماية وابداع الجماهير الشعبية. فتحت راية الحفاظ على المنجزات الاشتراكية، تم الاعتداء على الحريات الديمقراطية للمواطنين، وتضخمت الاجهزة السرية دونما حق، وتحول جزء من عملها لمحاسبة الناس ومتابعتهم. وقد ادت الصلاحيات الكبيرة المعطاة لهذه الاجهزة الى المزيد من الضغط على الناس مما اسهم في زيادة ابتعادهم عن الوطن وعمق شعور اللامبالاة ازاء العمل، بالرغم من المكتسبات الكبرى التي فتحتها الاشتراكية للمواطن في البلد الاشتراكي.

لقد اسهم الحزب باجهزته المتعددة بفصل الديمقراطية عن الاشتراكية، وغرق في ظاهرة اصدار الاوامر والتعليمات والقوالب الجاهزة.. وكلما ظهرت بوادر التململ والاحتجاج والمطالبة بالتغيير بين الناس كلما تضخمت الاجهزة السرية وزاد القمع، لدرجة ان وصل الامر في المانيا

Digitized by Birzeit University Library

الديمقراطية مثلا، التي لا يزيد عدد سكانها عن ١٧ مليونا، الى ان يبلغ عدد اعضاء جهازها السري ٨٠ الفا، اي بمعدل رجل مخابرات لكل ٢٥٠ شخصا، في نفس الوقت الذي لم يتجاوز فيه عدد الاطباء في هذه الجمهورية ٥٠ الفا. (بالطبع رقم ٥٠ الف طبيب انجاز كبير).

كانت الظروف الصعبة التي مرت بها البلاد الاشتراكية في بداية الانطلاقة تتطلب اعطاء صلاحيات استثنائية للقيادة، لحماية الثورة، الا ان هذه القيادة بعد استتباب الامور وقعت فريسة اغراء السلطة والنفوذ والبيروقراطية وبالتالي ادت الى سوء استخدام هذه السلطة، واستفراد القادة بالسلطة لسنوات طويلة ادى الى تحول البعض منهم الى اشباه آلهة. وهذا بدوره فرخ الفساد والمحسوبية والعزلة والتنكيل بكل من نادى بالاصلاح.

والخلل الاكبر برأينا كان في مبدأ المركزية الديمقراطية، التي تم باسمها اسكات الاصوات المطالبة بالتغيير بعد الحصول على الاغلبية الاتوماتيكية.

اذا كان من المفهوم والطبيعي التمسك بمبدأ المركزية الديمقراطية في ظروف النضال السرية او الظروف المعقدة والطارئة، وذلك عبر الصراع المرير مع الاعداء الطبيعيين محليا وخارجيا، للحفاظ على سرية الحزب وأمن كوادره، ولضمان النجاعة في النضال وتحقيق الانتصار، فان هذا الامر يغدو غير مفهوم بعد استلام السلطة وترسيخ النظام الاشتراكي. اذا كان المقصود بالمركزية الديمقراطية تنفيذ قرار الاغلبية، فهذا حق طبيعي ومفهوم. ولكن اذا كان المقصود بها كم الصوت الاخر، فهنا يكمن الخلل. ماذا كان يضير الحزب لو فتحت وسائل الاعلام امام الاصوات المعارضة، وشجع الحوار ودعمت الديمقراطية؟ اننا نتساءل، هل لو حدث ذلك أكان سيصل الحال الى ما هو عليه الان في اوروبا الشرقية؟

لقد توصلت البلدان الاشتراكية الان وبعد طول معاناة لظاهرة التعددية والعلنية، والمهم الان ان يعمل الشيوعيون في هذه البلاد وبشكل خلاق لاستعادة ثقة الجماهير بهم، عبر النضال الحقيقي في الدفاع عن مصالح الناس بكل بسالة، واذا كانت الجماهير في هذه البلدان قد ارتدت غالبا عن الاحزاب الشيوعية، وهي محقة في ذلك، لانها (الاحزاب) لم تبرر كل الثقة الممنوحة لها، فان للشيوعيين في هذه البلاد ما يعتزون به من مسيرة مجيدة عاشوا فرحها وألمها مع جماهيرهم وبينها. وهذا الرصيد هو الذي سيعيد للامور بريقها وهو الذي سيدفع للنهوض من جديد دفاعا عن الوطن والمكاسب الاشتراكية، دفاعا عن كل ما هو انساني وتقدمي في التجربة الاشتراكية العريقة.

الاشتراكية والعالم العربي
الثابت... والمتحول

فالح عبد الجبار

يدور اليوم نقاش محتدم، حول نظرية الاشتراكية العلمية التي بدأ ماركس صياغتها عند منتصف القرن الماضي تقريبا (١٨٤٣-١٨٤٤)، وينطلق النقاش، في ثراء لا سابق له، في بعض البلدان الاشتراكية (افضل أن أسميها: بلدان "التوجه" الاشتراكي) وفي البلدان الرأسمالية، كما في

Digitized by Birzeit University Library

عالمنا العربي، وسط الماركسيين ووسط المفكرين الاشتراكيين - الديمقراطيين والليبراليين.

اطلقت شرارة هذا النقاش الجديد، وأوصلتها الى مديات هائلة (تكاد تقربها من الحريق النظري) جملة التطورات في البلدان الاشتراكية، التي اكتسى بعضها طابعا مأساويا داميا. غير أن من الخطأ الاعتقاد ان هذا النقاش، العام، سواء المختص بالنظرية ككل، ام الجزئي، المختص بجوانب منها (السوق، التعددية، على سبيل المثال) هو وليد الساعة. وبالوسع القول أنه نشب عشية اكتوبر حسبنا الاشارة الى سجالات لينين/كاوتسكي حول مفهوم لينين عن الامبريالية ومفهوم كاوتسكي "ما فوق الامبريالية" الذي دار أساسا حول آفاق تطور الرأسمالية العالمية وانهيارها، وسجالات لينين/بليخانوف حول طابع المرحلة في روسيا القيصرية، أهي ثورة برجوازية ديمقراطية أم اشتراكية؟

وبعد ثورة اكتوبر، وبتحديد ادق، بعد الانعطاف عن سياسة "شيوعية الحرب" (التبادل العيني للمنتجات على المستوى الاقتصادي) الى سياسة "النيب" (استخدام العلاقات السلعية - النقدية)، خاض لينين سجالا حاميا حول قضية الانتقال الى الاشتراكية، حيث اتهمه الخصوم بالعودة الى الرأسمالية لمجرد انه أقر بتخلف روسيا الحضاري (أي أقر بواقعها الموضوعي)، وحاجتها الى تنظيم رأسمالية دولة طيبة تكون بمثابة تحضير جزئي (محلي) للاشتراكية التي لن تبنى، حسب رأيه، الا بجهود البروليتاريا العالمية المنتصرة. وتواصل الصراع الفكري، وان يكن بمستوى نظري أدنى، في الثلاثينات، صراع ستالين/تروتسكي حول الثورة العالمية وبناء الاشتراكية في بلد واحد، وصراع بوخارين/ستالين بصدد الاساليب الادارية والاساليب الاقتصادية (السلعية - النقدية) في ادارة الحياة الاقتصادية. واذا كان هذا السجال قد قمع بالبلطة (وهذا التعبير هو لبوخارين: "أيها الرفاق انني اقتل ببلطة شيوعية"، حسب نص وصيته المنشور في الصحافة السوفييتية)، فان السجال انطلق مجددا في الخمسينات، ولكن هذه المرة ليس في البلدان الاشتراكية، حيث كان الخروج على النموذج النظري الرسمي "الستاليني أو الستاليني المعدل" يعادل الخروج من ملكوت الرب، بل في اوروبا الغربية، التي كان البحث فيها ما يزال ممكنا في اطار التجرد النظري النزيه والمثابر، وبخاصة مع اكتشاف مخطوطات جديدة لماركس، منها المخطوطات الاقتصادية - الفلسفية لعام ١٨٤٤، والغرندريسة، ومسودات رأس المال، التي ظلت حبيسة الادراج منذ أواخر الثلاثينات.

وفي الستينات والسبعينات، تواصل ابداع الفكر النظري الماركسي في اوروبا الغربية تحديدا بصدد ماهية وجوهر نظرية ماركس في ميدان الاشتراكية (حسبنا تذكر نظرية الشيوعية الاوروبية التي اطلقها الشيوعيون الايطاليون مقرونة بدعواتهم لبناء "يسار جديد" أو نداء الشيوعيين الفرنسيين لبناء اشتراكية بالوان فرنسية)، خلافا للفكر النظري في البلدان الاشتراكية، الذي كان عليه ان يبصم بأصابع اليدين على تقارير النخب البيروقراطية الحاكمة.

اما اليوم، وبعد اطلاق سراح العقل (اليس عنوان كتاب لوكاش موحيا: تحطيم العقل؟)، فان السجال ينطلق بعنفوان كبير. ولعله نشط أول ما نشط في المجر قبل غيرها منذ أواخر الستينات ومطلع السبعينات. أما اليوم فانه ينشط بصورة أخاذة في الاتحاد السوفيتي نفسه، تعويضا عن "الزمن الضائع"!.. وتتميز منطقتنا العربية، في هذا الصدد بهمود أقرب الى الموت. واذا كان لنا أن نعد اسهامات سمير أمين عربية، واذا كان لنا ان نضيف اليها الابحاث القليلة الاخرى التي ظهرت في مجلات نظرية عربية خلال العامين الفائتين هنا وهناك (وهي محض بدايات اولية)، فان ثمة

Digitized by Birzeit University Library

بوادر على يقظة الروح من النعاس.

× × ×

لقد انطلق النقاش حول "مفهوم الاشتراكية"، كما أشرنا، بالتزامن مع ازمة بنيوية عميقة اقتصادية - اجتماعية - سياسية - فكرية في البلدان الاشتراكية، سرعان ما طفت الى السطح. وجرى التعبير عن هذه الازمة في شكل اصلاحات اقتصادية ذات طابع جريء في المجر والصين بادىء الامر، دون كبير تغيير في البنى الاجتماعية - السياسية والحزبية. غير ان الدفعة الاكبر جاءت على جرعات، اولا في عهد اندروبوف القصير بشكل مفجع، وثانيا مع صعود الطاقم القيادي بزعامة غورباتشوف، ثم تراكمت نتائج التحول في الاتحاد السوفيتي وكان لا بد لها من أن تترك بصماتها الاكيدة على البلدان الاخرى.

لقد أثارت هذه التحولات المأزومة اسئلة عملية جديدة، ومن الاسئلة العملية تشكلت اسئلة نظرية عمقت الصياغات الاولية التي طرحها غورباتشوف عام ١٩٨٥، اول هذه الاسئلة وأكبرها: هل ثمة خطأ في نظرية ماركس بصدد الاشتراكية وامكانات بنائها؟ (ثمة من يجيب بنعم!)، واذا كان الجواب: لا، انها صحيحة، فهل نستنتج من ذلك ان الاتحاد السوفيتي والبلدان الاخرى لا توجد فيها اشتراكية، أم أنها ما تزال تحبو؟ أم أن المسألة برمتها لا تعدو كونها خطأ برنامجيا في التطبيق. وعندها يبرز سؤال مشروع: ما الذي يضمن ان البرنامج الحالي لا يشكل صياغة ايديولوجية خاطئة هو الاخر؟. اخيرا، تلتحق بذلك اسئلة هامة أخرى، بل لربما أساسية: ما هو مفهوم الاشتراكية لدى ماركس؟ والى مدى يمكن الاحتفاظ بهذا المفهوم راهنا، بخطوطه العامة، أو الى اي مدى يحتاج الى اضافة ومراجعة في ضوء تجربة التطور التاريخي؟

هذه اسئلة كاوية، مربكة، واحيانا محبطة، ترمي قفاز التحدي بوجه الفكر النظري الماركسي عالميا وعربيا. ويلاحظ أن ردود الفعل في المنطقة العربية، بحدود تلمسها الاولي البسيط، تشير الى طائفة من المواقف هي بخطوطها العامة:

١- الاعتراض على التغيرات العملية الجارية، كلا أو جزءا ، من منطلق التمسك بالاطر الفكرية التقليدية السابقة.

٢- الترحيب الحذر، المشوب بالقلق، بالعمليات الفعلية الجارية، دون تلمس اساسها العملي و/أو النظري.

٣- السعي الى الاستجابة الاولية لهذه التغيرات، نظريا وعمليا، في اطار الخصوصية المحلية الناشطة في اطار عالمي جديد (تجربة الحزب الشيوعي التونسي، التي لم تدرس حتى الان بامتلاء، وبدايات الدعوة الى حركة جديدة ونظرية جديدة ماركسية - قومية - اسلامية، كما هو الحال مع دعوة الرفيق كريم مروة التي لم تقيم بعد بما تستحق من جدية).

ان النقاش الدائر حاليا في البلدان الاشتراكية حول "مفهوم الاشتراكية" يعنينا في الصميم نحن القاطنين على حافة التاريخ والجغرافيا، ليس فقط من ناحية نضال احزابنا وافاق هذا النضال داخل بلداننا وحسب، بل ايضا بسبب تغير الخريطة العالمية، تغير مناخ العالم الذي نتفعل به بدرجة كبيرة ونفعل فيه بدرجة أقل بكثير، تغيرا جذريا.

Digitized by Birzeit University Library

وخلاصة ذلك: اذا كان مفهوم الاشتراكية القديم (نموذجها وأساليب بنائها.. الخ) ليس صحيحا، فان وجهتنا المستقبلية لهذا النموذج تحتاج الى تغيير. واذا كان الوضع العالمي الراهن المحيط بنضالنا قد تبدل من جراء تبدل الوضع الفعلي للبلدان الاشتراكية (بلدان التوجه الاشتراكي)، فان نضالنا الحاضر لا بد أن يتبدل. وهكذا نجد أن التبدل يحيط بنا الان وفي المستقبل.

× × ×

قدمت الستالينية للحركة الشيوعية العالمية، ومنها الحركة الشيوعية في المنطقة العربية، مفهوما عن الاشتراكية بالغ التبسيط وبالغ الفجاجة: سلطة الطبقة العاملة بقيادة حزبها الماركسي - اللينيني، تصنيع، تأميم وسائل الانتاج (وهو يساوي الملكية الاشتراكية باللغة الستالينية). تعاونيات في الريف، ثورة ثقافية، حل المسألة القومية، حزب واحد (ودولة مستبدة!).

ان هذا المفهوم (المعروض هنا بلغة البرقيات) لا علاقة له بمفهوم ماركسي قط. ولا تخطئه المقارنة مع نصوص ماركس النظرية فحسب، بل تخطئه ايضا حتى المقارنات البسيطة مع الخبرة التاريخية التي وفرتها فترة الاربعينات والخمسينات من هذا القرن. فالطبقة العاملة وصلت بقيادة حزبها الى السلطة في عدد من بلدان حركة التحرر على اساس صراع وطني مقرون بأزمة مجتمع اقطاعي اوشبه اقطاعي (الصين، فيتنام، كوريا..). أما التصنيع مثلا فهو مهمة الرأسمالية، اي مهمة برجوازية، ولا يمكن الانطلاق الى الاشتراكية بدون توفر أرضية انتاج مادي عالي المستوى تكون الصناعة الرأسمالية مقدمته التاريخية والمنطقية. أما نقل كامل ملكية وسائل الانتاج، أو جلها، الى الدولة، فلا علاقة له بتحويل علاقات الانتاج من رأسمالية خاصة الى اجتماعية، فالدولة ليست المجتمع. كما ان علاقات الانتاج لا تقتصر، من حيث مضمونها الماركسي، على شكل الملكية، فشكل الملكية هو مجرد اشارات دليس نقدا تفصيليا للطروحات النظرية البيروقراطية التي سادت زمنا (وما تزال ماثلة في برنامجنا) عن الاشتراكية.

ومن مفارقات الامور، أن عددا من الانظمة العربية بنى الرأسمالية وفق النموذج الذي قدمته الستالينية وأخلافها باعتباره "نموذج الاشتراكية". فقد أقامت هذه البلدان قطاع دولة كبيرا. وانشأت تعاونيات، وقامت ب "الثورة الثقافية"، وبنت نظام الحزب الواحد، وأطلقت على ذلك كله اسم "الاشتراكية" (الخاصة جدا)!.

لقد ارتكز المفهوم النظري الماركسي النقي عن الاشتراكية على اساس تطور الانتاج المادي، في ظل الرأسمالية وعلى يد الرأسمال كحامل موضوعي، الى مستوى لا يسمح الا بادارة الانتاج ادارة اجتماعية، أي يضفي على القوى المنتجة طابعا اجتماعيا يدخل في تضاد مع الطابع الفردي للتملك أو الطابع الخاص لعلاقات الملكية، وان هذا التطور الهائل للقوى المنتجة يخلق وفرة هائلة في المنتجات تكفي لاشباع الحاجات المادية والروحية لعموم افراد المجتمع. وان هذه الحركة، حركة تنامي القوى المنتجة وتزايد الطابع الاجتماعي للانتاج واشتداد التناقض داخل الرأسمالية وحل هذا التناقض بالثورة الاجتماعية (البروليتارية)، ان هذه الحركة ليست مخططا اصلاحيا لتعديل "واقع ظالم" بل انعكاس نظري لحركة الواقع نفسه. وبالوسع القول ان العالم

Digitized by Birzeit University Library

الرأسمالي المتطور أقرب الى الاشتراكية من البلدان الاشتراكية نفسها، اذا نظرنا الى الامر من زاوية مستوى القوى المنتجة.

ان المشكلة برمتها، بقدر ما يتعلق الامر بالاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى لاحقا، تكمن في التجذر السياسي المفرط للطبقة العاملة في بلدان ضعيفة التطور لم تتوفر فيها رأسمالية ناضجة تمتلك شروط نفيها التاريخي. واذا كان لينين قد حاول حل هذا التناقض في بلد محدد على اساس بناء رأسمالية دولة طيبة وانتظار نجدة من بروليتاريا الغرب المتطور (وبخاصة المانيا) فان هذا الحل الخاص جدا، والمحدد جدا، عمد زورا من جانب الستالينية على أنه "بناء اشتراكي"، بعد تجريده من مضمونه الفعلي.

× × ×

ان الرأسمالية نظام عالمي، لا نظام جزئي، وكانت في عهد ماركس قد انتصرت، كلا أو جزءا، في أبرز بلدان العالم، وبخاصة البلدان المقررة لاتجاه التطور التاريخي. ولم يكن ماركس ليرى الى التشكيلية الاجتماعية - الاقتصادية الرأسمالية كنظام محلي بل كنظام عالمي، أما نقيضه، الناشيء من رحمه، فلا يمكن أن يكون أضيق منه.

وبالطبع، فان قانون التطور المتفاوت يفضي ليس فقط الى تفاوت مستويات نضج الرأسمالية كنظام قومي (على صعيد بلد واحد)، بل والى تفاوت الشروط الذاتية عن الشروط الموضوعية داخل كل بلد وعلى الصعيد العالمي في آن. ومن جانب آخر فان الرأسمالية، اذ وطدت نفسها على اساس السوق العالمي، فقد خلقت بذلك شبكة كونية من العلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية الشاملة التي لا يمكن الافلات منها بالانغلاق وراء حدود قومية جزئية. وفي مطلق الاحوال لم يكن ماركس ليرى امكان الانتقال الى التشكيلة الجديدة الا على اساس عالمي، لا محلي، هذا هو ايضا رأي لينين وبليخانوف. وبناء عليه، لايتوجب فحسب الشطب على الفكرة الزائفة القائلة بامكانية بناء الاشتراكية في بلد واحد، كما برزت في العشرينات، بل ينبغي التوكيد على خطل هذه الفكرة وخطرها حتى في أيامنا هذه، بعد بلوغ تدويل الاقتصاد مديات هائلة لا نظير لها من قبل، في عصرنا التكنونيوتروني، عصر الروبوت والعقول الالكترونية وثورة المعلومات. وان الغرض من ايراد هذه الفكرة في هذا السياق راهنا هو الاشارة الى ان السوق العالمي ما يزال رأسماليا، فقانون القيمة العالمي تحدده الرأسمالية، أعني تحدده البلدان ذات الانتاجية الأعلى لا الأدنى. وهذا يفضي الى نتيجة مزدوجة: زوال فكرة ثنائية السوق الاشتراكي الرأسمالي العالمي، ومعها زوال الوهم بفك التبعية على اساس الانتقال من سوق الى اخر، من جهة وتوطد حقيقة انقسام السوق العالمي الواحد الى تكتل، تسمح بمعالجة اشكالية التبعية بمنظور جديد اكثر واقعية، من جهة ثانية.

× × ×

عالج ماركس قضية الديمقراطية منذ وقت مبكر (منذ كتابة: نقد فلسفة الحق لهيغل ١٨٤٣)، وأكد على فكرة هيغلية بقيت تلازمه حتى نهاية حياته، وهي فكرة انفصال الدولة عن المجتمع

Digitized by Birzeit University Library

المدني واتخاذها الطابع الوهمي للمصالح العامة بازائه. وتبنى ماركس فكرة هامة اخرى من أفكار هيغل حول انفصال وبالتالي اغتراب النواب عن ناخبيهم، وهي قضية عالجها ماركس مستندا فيما بعد الى خبرة وتجربة كومونة باريس بانتخاب الموظفين وسحب الثقة منهم في اية لحظة.وكان ماركس يرى الى الدولة (بعد الثورة الاشتراكية) على انها "شبه دولة"، كائن يسير الى الانحلال التدريجي في عملية تاريخية مديدة.

ان حق الملكية الذي يسرق ويلغي حق الحرية (كما كان يرى روسو منذ "العقد الاجتماعي"، وكما يؤكد المنظرون الفرنسيون اليوم، حتى غير الماركسيين منهم، استنادا الى التجربة الفعلية، الى الواقع العياني للرأسمالية المعاصرة). وانفصال الدولة عن المجتمع المدني، وانفصال "ممثلي المجتمع" في الدولة عن مانحيهم حق التمثيل او التفويض في ظل سلطة الرأسمال، هو ما وجه له ماركس سياط النقد. انه نقد من وجهة نظر المستقبل. وهذه الاراء معروفة بالطبع، غير ان الديماغوجيا الستالينية استطاعت ان تطمسها، وأن تحل محلها منظومة فكرية تبريرية تمجد الدولة وتقدم نظام الحزب الواحد والقائد الواحد والصوت الواحد على انه أحسن "فضائل الاشتراكية"!.

في الأيام الأولى من ثورة اكتوبر، تحالف لينين مع الاشتراكيين الثوريين. وشاركت في السلطة اجنحة عديدة من الحركة الاشتراكية الديمقراطية. فلا نظام الحزب الواحد كان واردا عند لينين، ولا حتى فكرة تحريم الأحزاب البرجوازية. ويذكر المؤرخون أن أول انتخابات برلمانية جرت في روسيا السوفييتية، شهدت مشاركة حتى حزب الكاديت فيها.

من أين جاءت اذا هذه البنية الكلانية، الاستبدادية أهي نتاج عقل ستاليني جهنمي؟ نعم ولا.

لقد كان بليخانوف قد حذر، كما أشرت في بداية المقال، ان بلدا ضعيف التطور، لم تنجز فيه الرأسمالية بعد مهماتها (على الأقل في التصنيع الذي يساوي تحطيم الروابط التقليدية). أن بلدا مغرقا بالفلاحين (٨٠٪ من السكان) المشتتين، أن بلدا بقاعدة اجتماعية-اقتصادية كهذه لن يشهد، على مستوى البنية السياسية، سوى ديكتاتورية قيصرية حتى لو ارتدت رداء بلشفيا. فالدولة بازاء المجتمع المدني المفتت (الذي لم تمركزه الرأسمالية بعد) تكتسي سلطانا هائلا يتضاعف بالدور "ا جديد الذي تضطلع به وهو دور المالك / المنتج، بحكم طبيعة التطور الخاص في روسيا قبل الثورة، أي بحكم أن الرأسمالية لم تنجز مهماتها بعد، وكان ينبغي انجاز هذه المهمات بأي ثمن كضرورة موضوعية لا تتعلق بوجود هذا الحزب أو ذاك في السلطة.

ان هذه الخصوصية، التي تنطوي على مميزات عامة بقدر ما يتعلق الأمر بالبلدان المشابهة في مستوى التطور قد جُعلت نموذجا للبناء الاشتراكي: حزب واحد، زعيم واحد. ثم فرض هذا النموذج على بلدان اخرى تختلف شروطها او تتماثل جزئيا مع الشروط التاريخية للتطور في الاتحاد السوفييتي. وبرز مثل هذا النموذج في عدد من البلدان العربية على ارضية تاريخية تحمل بعض سمات ولادة النموذج الستاليني للدولة الكلية. وبات من مفارقات الامور ان الاشتراكية الديمقراطية طورت الديمقراطية، على أساس رأسمالي طبعا، في اوروبا الغربية، بينما طورت الحركة الشيوعية نظاما كليا، مغلقا بستار من دخان نقد محدودية الديمقراطية البرلمانية، وتبنينا نحن هذا النقد بشكل كاريكاتيري.

ان تجديد البنية السياسية في الاتحاد السوفييتي (بعد الكونفرانس التاسع عشر ١٩٨٨) قد

Digitized by Birzeit University Library

اعطى دفعة قوية لعملية تجديد هذه البنى في البلدان الاشتراكية الاخرى باتجاه فك نظام الحزب الواحد والتوجه نحو التعددية.

ان بنية الحزب البروليتاري (شكله التنظيمي، قواعد عمله...) هي من بين القضايا التي عالجها ماركس في عدد كبير من رسائله وخطبه، ومارسها سواء على صعيد نشاطه العملي في الحركة العمالية الالمانية ام في الاممية الاولى. ولم تكن هذه البنية وليدة مخطط اصلاحي بل انعكاسا لبنية الطبقة العاملة نفسها، المولود الشرعي لنظام المصانع، بصيغته التي كانت قائمة في عهد ماركس. فالمصنع يفرض تقسيما للعمل صارما (على غرار تقسيم العمل في المجتمع)، ويفرض تمفصلا (انفصالا وترابطا) بين مختلف الاعمال الفردية، ويفرض التعاون بحكم عملية العمل نفسها. والى جانب ذلك تقوم هذه الوحدة الصغيرة (المعمل) بالعمل داخل مجتمع سحقت فيه الرأسمالية كل العلاقات البطرياركية والدينية، والعلائق التقليدية بعامة، وأحلت محلها علاقات سلعية - نقدية، أو اغرقتها بتعبير البيان الشيوعي في "مياه الحسابات الجليدية". ويتميز هذا المجتمع (بنسبة تطوره) ببنية سياسية ديمقراطية، تتصارع فيه المصالح علنا.

ان المركزية الديمقراطية، وحرية النقاش، وحرية الصراع كأساس لتطور الكائن الجماعي للحزب ليست مبادىء عامة تفرض على الواقع، بل تستخلص منه بحكم تطور الواقع الاجتماعي نفسه، وتتخذ اشكالا متباينة. وهنا بالضبط تتجلى مرونة لينين التاريخية الذي أرسى أسسا تنظيمية تتميز في جوانب معينة عن البنية التنظيمية لاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في اوروبا الغربية البرلمانية. هل كان لينين يرى أن هذه البنية سرمدية؟ بالقطع لا.

ان عقل ستالين (الاسيوي - الجيورجي - الفلاحي)، الذي لا يرى في الديالكتيك غير السكون، حول الاستجابة التاريخية اللينينية لظروف بلد متخلف الى قاعدة ثابتة، سرمدية فوق الزمان، وحرم بالتالي احزاب الطبقة العاملة من آفاق تطوير بناها التنظيمية تبعا لتغيير الظروف.

الشيء الثاني، أن ماركس لم يدع ولم يقرر أن يكون للطبقة العاملة حزب واحد. حسبنا الرجوع الى تحليله لكومونة باريس التي تمثلت فيها قوى سياسية عديدة أو أجنحة عمالية متعددة. واذا كانت الطبقة العاملة موزعة قطاعيا، ومتفاوتة من حيث المهارة والاجر، ومن حيث مستوى التعليم والثقافة، ومن حيث منحدرها الاثني والديني وتقاليدها الاجتماعية (في بلد محدد ناهيك عن بلدان العالم)، فلماذا ينبغي لهذا التمايز الا يجد التعبير عنه في تمايز حزبي ضيق؟ وما الذي يمنع طبقة معينة لها عدة احزاب أن تتصرف بتوحد؟ وأيضا ما الذي يمنع طبقة واحدة بحزب واحد أن تنقسم؟.

اكرر القول ان مفهوم الدولة الكلانيكية والحزب الواحد غريب عن ماركسية ماركس وماركسية لينين. وحسنا فعل الشيوعيون البولونيون والالمان وغيرهم في تحطيم هذه البنية في الواقع العملي وليس فقط في الفكر النظري.

ان هذا العرض الهجائي لا يهدف الى مسح أو مسخ بعض الاسس التنظيمية الضرورية: وحدة العمل، الوحدة الفكرية ولكن على اساس النقاش الحر، الديمقراطية الداخلية، وحدة النظرية (الماركسية) بالمعنى الواسع لا الضيق للكلمة، وبعض التقييدات والضوابط الضرورية للعمل السري، وبخاصة في بعض البلدان المبتلاة بكل أنواع القمع والعسف.

اذا أردنا ايجاز ذلك كله، أمكن القول ان تجربة الاحزاب الشيوعية في البلدان الاشتراكية

Digitized by Birzeit University Library

طورت التخطيط والمركزة، ودفعت القوى المنتجة الى امام في مرحلة من تطورها تميزت بالتدني العام نتيجة ضعف الرأسمالية السابق فيها، وأرست (نظريا في الاقل، وعمليا بصورة جزئية ومحدودة) العديد من القيم الانسانية الاشتراكية رغم ظروف الحصار الاقتصادي - السياسي الامبريالي وضعف مستوى التطور الذي لم يكن يسمح موضوعيا باشباع الحاجات المادية للمجتمع. ذلك كله على صعيد النتائج العملية. أما نظريا، فقد عمدت ذلك باسم الاشتراكية، في حين أنه مرحلة تمهيدية (ما قبل رأسمالية بالنسبة لبعض البلدان، وما بعد رأسمالية بالنسبة لبلدان أخرى - حسب توصيفي بتلهايم وسمير أمين تباعا).

وفي المقابل، اضطرت الرأسمالية، وبالتحديد في اوروبا الغربية، بحكم عوامل عديدة من بينها الصراع مع الخصم الخارجي (العالم الاشتراكي) والصراع مع الخصم الداخلي (الحركة العمالية)، وايضا الصراع مع شعوب المستعمرات، الى ابداء قدر من التكيف الاجتماعي - الاقتصادي والسياسي. وطورت الحركة الاشتراكية الديمقراطية في اوروبا الغربية الديمقراطية السياسية، ولجمت، في حدود الرأسمالية، بعض ميول هذه الاخيرة المعادية للمجتمع، وبخاصة للطبقة العاملة، وأدخلت قدرا من عناصر التخطيط (عبر ملكية الدولة، اعادة توزيع الدخل ... الخ)، ومقابل الشحة في بلدان التوجه الاشتراكي (البلدان الاشتراكية)، أدت الثورتان العلميتان، وادخال منجزات العلم على نطاق واسع لمجابهة التحديات، الى خلق وفرة هائلة في القيم المادية (المنتجات).

وهكذا يبدو التاريخ العالمي وكأن كل رقعة فيه تطور جزءا من المقدمات المادية والروحية للاشتراكية للخروج من عالم الضرورة الى عالم الحرية على قاعدة الضرورة نفسها. وفي ضوء نضج عناصر متفرقة من المقدمات المادية والروحية للاشتراكية في بلدان متفرقة ينبغي النظر الى فكرة البيت الاوروبي المشترك لغورباتشوف والى عودة الاقتصادات في البلدان الاشتراكية للارتباط بالسوق العالمي.

ان هناك مؤشرات تسمح بالافتراض ان عملية تقارب وتقارب - اندماج بين شطري اوروبا قد بدأت نظريا وعمليا. ومن شأن هذه العملية، الحافلة بالتناقض والصراع، ان تفضي، بعد تعرجات لا يمكن لأي خيال أن يتنبأ بشكلها وايقاعها، الى اندماج عناصر الوفرة المادية والقيم الانسانية اندماجا يضع اشتراكية ماركس على جدول التحقق التاريخي، ويقلب صورة العالم جذريا.

× × ×

انطلاقا مما تقدم من عرض وافتراضات أولية، خام، يمكن القول ان تغيرات عديدة مطلوبة في برامج أحزابنا العربية، وفي رؤيتنا لافاق تطور بلداننا على أساس (وليس خارج) آفاق التطور العالمي:

أ - فك الارتباط بين برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية، وإكساب الجزء الأول محتوى أساسيا يرتكز على تطوير القوى المنتجة، على أساس رأسمالي، مع النضال للجم الميول الرأسمالية المعادية للطبقة العاملة والمجتمع، بالحدود التي تسمح بها الرأسمالية نفسها، وإرساء التحالفات السياسية على أساس المعيار التالي: دعم الرأسمالية المنتجة، لا الطفيلية رغم إمكان تحول الأولى الى الثانية، والثانية الى الاولى، من جانب، ومجابهة الميول

Digitized by Birzeit University Library

التناقضية للرأسمالية بوسائل النضال المناسبة، العنيفة (في ظل الدكتاتوريات الفاشية) أو السياسية السلمية وشبه السلمية (حيثما يكون ذلك مناسبا)، والبحث عن التناسب الأمثل، والمتحرك، بين شكلي الرأسمالية، الدولتي (رأسمالية الدولة) والخاص، وعلاقتهما المتبادلة. ان من الصعب رسم التفاصيل بامتلاء، وما نذكره ان هو الا الخلاصة او الزبدة.

ان تطوير القوى المنتجة في بلداننا، يعني، بالمفهوم المادي - التاريخي، الاسهام في التحضير المادي والروحي، الجاري في العالم، لمقدمات الانتقال إلى الاشتراكية عالميا، أي في الكتل الأساسية المقررة لوجهة التطور التاريخي العالمي، وليس انتظار أن يتولى آخرون هذه المهمة من خارج خريطتنا.

ب - نبذ الاحتقار المديد للديمقراطية، والكف عن نقد محدودية الديمقراطية البرجوازية في المنطقة العربية. فهذا النقد مشروع من وجهة الأفق الاشتراكي الذي لم يتبلور ولن يتبلور في المدى المنظور في بلداننا، حتى لو استلمت الطبقة العاملة السلطة السياسية. فالمسألة لاتتعلق بالسلطة السياسية وحدها، بل بالوسائل المادية (الانتاج المادي)، وهذا أيضا لا يقتصر على بعد محلي (بلد واحد) بل عالمي.

ان هذا يستدعي أن تخوض أحزاب الطبقة العاملة نضالا شجاعا لفك نظام على أي حال، يقوم، رغما عنه، باخراج المجتمع المدني الى الوجود،وهذا المجتمع الذي يطالب، بعد نضجه، باسترجاع حق البكورية الذي انتزعته الدولة الاستبدادية لقاء ميلاده.

ج - جرت الاشارة، في ثنايا المقال، الى زيف موضوعة انقسام السوق العالمي الى سوق اشتراكي وسوق رأسمالي (ثنائية السوق)، وعمل هذا السوق على أساس القوانين الرأسمالية (قانون القيمة)، وواقع انقسام هذا السوق الى كتل، مع الدعوة الى النظر لموضوعة التبعية في هذا الاطار العالمي الجديد، منظورا إليه نظرة صاحية.

بقي أن نضيف أن شكل التبعية، حركتها لم تعد الشكل القديم، الكولونيالي أو شبه الكولونيالي. فالحديث يجري اليوم عن تبعية بنيوية، عن اندماج متزايد في حركة الرأسمال العالمي، أكانت حركة رأسمال نقدي، أم رأسمال عيني (منتجات)، أم رأسمال صوري... الخ.

د - تدرج أحزابنا المهمات القومية، في إطار القضايا التالية: الوحدة العربية، القضية الفلسطينية، تحرير الأراضي العربية المحتلة، الحقوق القومية للشعوب الأخرى (الشعب الكردي، جنوب السودان، البربر - الجزائر).

واظن أن ما يستحق إعادة نظر جدية هو مفهومنا لبعض جوانب مضمون الوحدة العربية، أو لجانب أساسي منها، وهو وحدة السوق، حرية حركة رؤوس الأموال واليد العاملة، وخلق سوق عربية.

ففي هذه البؤرة ينبغي تركيز النضال، وبهذا التخصيص، مع ما يتفرع عنه من مهمات.

ه - إن الصياغة النظرية لبرنامج البناء الاشتراكية، كما ترد في برامج الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية، ينبغي أن تستبدل جذريا. وبالتحديد ينبغي للصياغة أن تنطلق من الحقائق التالية التي مر ذكرها:

١- إن الاشتراكية تشكل نفيا للرأسمالية ينضج بفعل تطور القوى المنتجة تطورا هائلا يضفي عليها الطابع الاجتماعي، ويستدعي، بثورة اجتماعية عنيفة أو سلمية، نقل الهيمنة عليه

Digitized by Birzeit University Library

وادارته على يد المنتجين المشاركين الأحرار. وتلعب الطبقة العاملة (بحزبها أو احزابها) سوية مع الأنتلجنسيا العلمية (المنتجين الفكريين) وسائر الفئات الاجتماعية (المتغيرة طبعا) التي تجد مصلحة لها في بسط الرقابة الاجتماعية على الانتاج والتداول المادي الاجتماعي، ودور الحامل التاريخي لهذه العملية.

٢- ان عملية الانتقال للاشتراكية، عملية عالمية وليس جزئية (محلية).

٣- ان طريقنا، في العالم العربي، إلى اشتراكية ماركس، تمر، جزئيا (أي محليا) بتطوير القوى المنتجة، الذي يجري، حتى الان على أساس رأسمالي، وتمر شموليا (أي عالميا) بنضج وتبلور النظام الاشتراكي العالمي.

× × ×

ان المقال، من ألفه الى يائه، لا يدعي أكثر من كونه "فرضيات" تقوم على أساس قراءة ماركس، ومعاينة بعض جوانب التطور العالمي الراهن. وكل ميدان، كل جانب، كل جزء، بحاجة الى بحث في العمق، كما أن نتائج البحث الجزئية بحاجة الى تركيب كلي. وهذه المهمة يحققها العقل الجماعي النظري.

عن
الاشتراكية الثالثة"

ماهر الشريف

أصبح مفهوم " الاشتركية الثالثة " أو " الطريق الثالث الى الاشتراكية " من المفاهيم التي تتردد بكثرة هذه الايام في خضم النقاشات الدائرة حول مستقبل الاشتراكية في اوروبا. ويبدو بان التحولات العاصفة التي شهدتها بلدان أوروبا الشرقية من جهة، والصعوبات التي ما زالت تواجهها البيريسترويكا السوفيتية في سعيها من أجل تجسيد منطلقاتها الفكرية على ارض الواقع من جهة ثانية، قد ساعدت على انتشار هذا المفهوم بشكل واسع في دوائر عديدة.

كتب البروفسور موريس دوفيرجيه، وهو أحد أبرز المختصين الفرنسيين في العلوم السياسية ولا ينتمي - حسب معرفتي - الى أي حزب سياسي، مقالا في صحيفة لوموند (تاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٧) تحت عنوان "الاشتراكية الثالثة"، أشار فيه الى أن "بيان الحزب الشيوعي" الصادر في عام ١٨٤٨ قد حدد هدف الشيوعية في إقامة مجتمع "يكون فيه التطور الحر للفرد هو شرط التطور الحر للمجموع"، مضيفا بأن ماركس لم ينظر إلى المرحلة الأولى في الثورة العمالية، التي تصعد فيها البروليتاريا إلى مصاف الطبقة السائدة في المجتمع وتقوم بهدم علاقات الانتاج القديمة عن طريق العنف ، سوى باعتبارها مرحلة قصيرة مؤقتة، في حين أن لينين قام بتخليد ديكتاتورية البروليتاريا، ثم جاء ستالين من بعده ليحول هذه الديكتاتورية الى سلطة قمعية.

ويرى البروفسور دوفيرجيه بأن بلدان أوروبا الغربية باتت، في الواقع، أقرب من الاتحاد

Digitized by Birzeit University Library

السوفييتي وبلدان أوروبا الشرقية الى تحقيق هدف "التطور الحر للفرد هو شرط التطور الحر للمجموع"، منذ أن قامت الاشتراكية الديمقراطية بتأطير الرأسمالية فيها على قاعدة تنظيم آليات السوق عبر تدخل جهاز الدولة، بالتفاهم مع نقابات العمال، لضمان توازن هذه الآليات وتصحيحها باعادة توزيع حوالي ٤٠٪ من الدخل العام، وهو الأمر الذي سمح بتأمين ضمان اجتماعي شامل تقريبا في هذه البلدان. غير أن هذا المكسب الاجتماعي الذي تحقق قد حد - وكما يشير موريس دوفيرجيه - عن دينامية الاشتراكية الديمقراطية الأوروبية، وجعلها تتخذ وجه الحركة التي تقوم بادارة الرأسمالية، كما أن هذا المكسب لم يحل دون تحول البحث عن الربح الى الهدف الاسمى للوجود في البلدان الرأسمالية وحدوث افراط وتجاوزات كبيرة في الاستهلاك، نتيجة القوة الخارقة للدعاية التجارية (الاعلانات)، بحيث أصبح الهدر والانانية يميلان للسيطرة على الامم في الغرب.

ويعتقد البروفسور دوفيرجيه بأن البلدان التي اقيمت على أساس الماركسية - اللينينية ليس في وسعها التحول حسب النموذج الاشتراكي - الديمقراطي. صحيح أنه ينبغي عليها أن تصل، في المجال السياسي، الى الحدود التي بلغها النموذج الاشتراكي - الديمقراطي من خلال اجراء انتخابات حرة تماما لبرلمانات قائمة على قاعدة التعددية السياسية وتطوير كل الحريات العامة الضرورية للديمقراطية. وصحيح كذلك أنه ينبغي عليها، في المجال الاقتصادي، أن تخضع للمنافسة في السوق العالمية وأن تفتح أفاقا أوسع أمام المبادرة الفردية، وبخاصة في الزراعة والحرف والتجارة، الا أنه لن يكون في مصلحتها - حسب دوفيرجيه - أن تقلص حجم القطاع العام الى مستوى حجمه في بلدان اوروبا الغربية. وينتهي المقال المذكور بالتأكيد على أن نموذج الدولة/المنتج السائد في الأنظمة الماركسية - اللينينية من جهة ثانية قد استنفذا دوريهما، وأن الوقت قد حان لبروز دور الدولة/المحفز الذي يمكن أن تجسده اشتراكية ثالثة، تتبلور من خلال التجاوز التدريجي للانقسام الذي وقع في مطلع العشرينيات في إطار الحركة العمالية الأوروبية. ويتوقع البروفسور دوفيرجيه بأن البيريسترويكا السوفيتية ستستفيد اذا ما أدرك ميخائيل غورباتشوف واقع انبثاق افق قيام مثل هذه الاشتراكية الجديدة التوحيدية، كما أن الأحزاب الاشتراكية - الديمقراطية ستنجح في تجديد نفسها اذا ما نظرت في اتجاه هذا الافق.

الانفصال عن "الستالينية الفاشلة"

وفي الواقع، فان فكرة اختطاط طريق ثالث الى الاشتراكية في أوروبا، يكون متمايزا عن الطريق "الأول" الذي سارت عليه الأحزاب الشيوعية من جهة، وعن الطريق "الثاني" الذي سارت عليه الأحزاب الاشتراكية - الديمقراطية من جهة ثانية، لم تعد مجرد فكرة من نسج خيال بعض المفكرين، بل أصبحت تعبيرا عن مشروع سياسي تتبناه بعض الأحزاب الحاكمة في بلدان أوروبا الشرقية. ففي المؤتمر الاستثنائي الذي عقده الحزب الاشتراكي الألماني الموحد في ١٠ و ١١ كانون اول الفائت في برلين، دعا الرئيس الشاب الجديد للحزب، غريغور غيسي، الى اختطاط "طريق ثالث" الى الاشتراكية، يتميز بديمقراطية جذرية في ظل دولة القانون، وسيادة اشتراكية النزعة الانسانية التي تضمن العدالة الاجتماعية وتوفر حماية البيئة وتحقيق المساواة الفعلية

Digitized by Birzeit University Library

للمرأة، مؤكدا بان السير على هذا الطريق يحتاج الى حزب من نوع جديد، ينفصل بشكل نهائي عن "الستالينية الفاشلة" وعن "الاشتراكية المركزية" التي أثبتت عجزها. وفي الجلسة الثانية التي عقدها المؤتمر في ١٧ كانون اول تقرر أن يحمل الحزب مؤقتا اسما مزدوجا باضافة "حزب الاشتراكية - الديمقراطية" الى اسمه الأصلي "الحزب الاشتراكي الألماني الموحد"، وذلك بعد أن أكد مندوبوه رغبتهم في ارساء "تعددية سياسية يكفلها الدستور" وفي "توفير الحرية لكل مواطن"، والسعي من أجل "تغيير جذري للمجتمع بالتنسيق مع جميع الديمقراطيين والانسانيين".

العودة الى الجذور الاشتراكية - الديمقراطية

عندما قرر المؤتمر الرابع عشر لحزب العمال الاشتراكي الهنغاري في العاشر من تشرين أول الفائت حل الحزب وتشكيل حزب جديد باسم الحزب الاشتراكي الهنغاري، لفت انتباه المراقبين التصريح الذي أدلى به فيدور بورلاتسكي، أحد مستشاري ميخائيل غورباتشوف المقربين، والذي جاء فيه ما يلي: "ينبغي على الأحزاب الشيوعية الأوروبية أن تعود الى جذورها الاشتراكية - الديمقراطية، لأنها تطورت انطلاقا من تلك الجذور".

ويلاحظ أن أحزابا شيوعية عديدة في شرق اوروبا وغربها على حد سواء تستعد لتغيير اسمائها والعودة الى الجذور الاشتراكية الديمقراطية التي انطلقت منها. ففي بولونيا، اعتبرت قيادة حزب العمال البولوني الموحد في الوثيقة التي وزعتها لتكون أساسا لنقاشات المؤتمر القادم للحزب أن الاشتراكية "بشكلها الحالي قد أفلست" وأن حزب العمال البولوني الموحد "قد استنفذ كل امكانياته، وأصبح عاجزا عن استعادة ثقة الجماهير"، وأنه حان الوقت بالتالي لتأسيس حزب جديد. وفي الاجتماع الذي عقدته، في السابع من كانون الثاني ١٩٩٠، للاعداد للمؤتمر الحادي عشر للحزب قررت اللجنة المركزية لحزب العمال البولوني الموحد قرارا يقضي بأن مؤتمر الحزب القادم بمثابة مؤتمر تأسيسي لحركة يسارية بولونية جديدة" تحمل اسم "الحزب الاشتراكي الديمقراطي البولوني" أو "حزب العمل البولوني"، معتبرة بأن "تأسيس حزب جديد سيكون له انعكاسات ايجابية كثيرة ليس على بولونيا فحسب، بل على كل اوروبا".

وكانت قضية تغيير اسم الحزب والعودة الى الجذور الاشتراكية - الديمقراطية من أبرز القضايا التي ناقشها مندوبو المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي الايطالي في شهر آذار الفائت. ورغم ان المؤتمر المذكور قد دعا الى انفتاح الحزب بشكل واسع على جميع طبقات وفئات المجتمع غير المرتبطة برأسمالية الدولة الاحتكارية والنضال من أجل اشتراكية من نوع جديد، "تتجاوز تجربة الستالينية المأساوية التي سودت وجه الاشتراكية"، وتقوم على قاعدة تعميق الديمقراطية، كقيمة شمولية، في جميع جوانب حياة الدولة والمجتمع، وأثر تعديل النظام الداخلي للحزب وإلغاء المركزية الديمقراطية كأساس لتنظيم حياته الداخلية والسماح بوجود "حساسيات" سياسية مختلفة بين صفوفه، إلا أن غالبية مندوبيه رفضت، في ذلك الحين، الأفكار التي روجت لها أقلية كانت تدعو صراحة إلى تغيير اسم الحزب الشيوعي الايطالي وإقامة "بيت مشترك" يجمع الشيوعيين والاشتراكيين الايطاليين جنبا الى جنب، ويبدو بأن التحولات العاصفة التي شهدتها

Digitized by Birzeit University Library

بلدان أوروبا الشرقية في الأشهر الأخيرة قد أعادت طرح هذه الأفكار مجددا في صفوف الحزب، ودفعت قيادته الى بدء التحضير لعقد مؤتمر عام جديد خلال العام الحالي، سيكون مدعوا للنظر في إعادة بناء الحزب الشيوعي الايطالي على أسس اشتراكية - ديمقراطية واختيار اسم جديد له.

وبالاضافة الى الحزب الشيوعي الايطالي، صارت أحزاب شيوعية عديدة في أوروبا الغربية، من بينها الحزب الشيوعي البريطاني، تفكر جديا في تغيير اسمائها وتعديل برامجها السياسية ولوائحها الداخلية. كما صارت تبرز، أكثر فأكثر، ظاهرة قيام بعض الأحزاب الشيوعية في شرق أوروبا وغربها بطرق أبواب الأممية الاشتراكية، والتقدم بطلبات للانتساب إليها.

تنظيم جديد وايديولوجيا جديدة

إن توفير شروط قيام الاشتراكية الجديدة التوحيدية، التي يدعو اليها أنصار "الطريق الثالث"، لا يستدعي عودة الشيوعيين الأوروبيين الى الجذور الاشتراكية - الديمقراطية التي انطلقوا منها وتخليهم عن نموذج البناء الاشتراكي "الستاليني" الفاشل فحسب، بل يتطلب كذلك قيام الاشتراكيين - الديمقراطيين أنفسهم باجراء مراجعة نقدية لتجربتهم وإعادة النظر في تصوراتهم عن الاشتراكية وأهدافها. فالاقرار بأهمية الدور التاريخي الذي لعبته الحركة الاشتراكية - الديمقراطية الأوروبية في النضال من أجل تحسين حياة الشغيلة وضمان قدر كبير من الحماية الاجتماعية لهم، لا يجب أن يحجب - في نظر أنصار "الطريق الثالث" - حقيقة أن نموذج "الاشتراكية" الذي قدمته هذه الحركة، اثر وصول بعض أحزابها الى السلطة في عدد من بلدان أوروبا الغربية، لم يخرج عن إطار رأسمالية محدثة ومخففة في الجانب الاجتماعي.

وباقدامهم على إجراء مثل هذه المراجعة النقدية لتصوراتهم عن الاشتراكية، يكون الاشتراكيون الديمقراطيون قد التقوا في منتصف الطريق مع الشيوعيين الذين عادوا الى الجذور التي انطلقوا منها، وتهيأت بذلك فرصة مواتية لتجاوز نتائج الانقسام الذي وقع في صفوف الحركة العمالية الأوروبية، بعد انتصار ثورة اكتوبر في روسيا، وتشكيل يسار اوروبي جديد، يعتمد الديمقراطية كطريق وحيد لبناء اشتراكية انسانية في اوروبا، تضع حدا لظاهرة اغتراب الانسان وتزيل الهوة بين المصالح العامة والشخصية.

ويلاحظ بأن العمل لتوفير شروط قيام مثل هذا اليسار الأوروبي الجديد قد بدأ حتى قبل وقوع التحولات العاصفة الأخيرة في بلدان اوروبا الشرقية. ففي مداخلة ألقاها أمام مجلس تحرير مجلة "قضايا السلم والاشتراكية" في براغ في نهاية شهر ايلول الفائت، تحدث أدم شاف، وهو عالم بولوني معروف في مجال الفلسفة وعلم الاجتماع، عن مشروع لاقامة حركة "أممية جديدة" سيرأسها رئيس الحزب الاشتراكي الاسباني، الفونسو غابيرا، ويعاونه، كنائبين للرئيس، عضو قيادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني اوسكار لافونتين، وآدم شاف نفسه. وستصدر عن هذه الحركة مجلة فكرية تعنى بقضايا "اشتراكية المستقبل" في ضوء التغيرات البنيوية العميقة والجذرية الناجمة عن الثورة العلمية - التقنية، وسيتضمن العدد الأول من هذه المجلة، التي سيمولها الحزب الاشتراكي الاسباني، كلمتين لميخائيل غورباتشوف وفيلي براندت رئيس الأممية الاشتراكية وثلاث مقالات لرئيس الحركة ونائبيه، الأول بعنوان: اشتراكية الماضي

Digitized by Birzeit University Library

واشتراكية المستقبل"، والثاني بعنوان "الاشتراكية والحركات الاجتماعية الجديدة" والثالث بعنوان: "البقع البيضاء على خريطة الاشتراكية المعاصرة".

وفي رده على أسئلة الحاضرين، اعتبر آدم شاف بأن الاشتراكية باتت في حاجة الى طريق ثالث يملأ البقع البيضاء على خارطتها ويبحث عن إجابات عن الأسئلة الكبيرة التي يطرحها الواقع، مؤكدا أنه كماركسي، لن يتخلى عما هو حي في الماركسية، وبخاصة أهم شيء فيها وهو نظرية الاغتراب، ومعربا عن قناعته بأن المطلوب حاليا هو تفسير الأمور على أساس الماركسية وليس ترديد مقولات ماركس مجرد ترديد، والاستفادة من اسهامات مفكرين ماركسيين، مثل بوخارين وغرامشي، لوضع أسس أيديولوجيا جديدة تنسجم مع خصائص العصر الذي يشهد، بدخول الثورة العلمية - التقنية مرحلتها الثانية في البلدان الصناعية المتقدمة، تغيرات جذرية ستترك انعكاساتها على اسلوب الانتاج وعلى العلاقات بين الطبقات الاجتماعية وعلى كل البناء الفوقي بمفهومه الماركسي.

باص سوفييتي لا توقفه المستنقعات والثوج!

(تصوير وكالة تاس السوفييتية)

تمكن طلاب معهد البوليتكنيكي السوفييتي من تصميم وصنع باص يعمل على مخدة هوائية اسمود "سافر - ٣".

بوسع الباص ان ينقل عمال فرقة او شحنة وزنها ٣ أطنان في أماكن مستنقعية عسيرة المنال، وفي الثلوج الكثيفة.

سرعة الباص زهاء ٧٠ كيلومترا في الساعة، ومن خصائصه الهامة، امانته البيئوية التامة، فهو لا يخل بغطاء التربة أثناء سيره!

Digitized by Birzeit University Library

قائمة بأسماء شهداء الشهر الثامن والعشرين للانتفاضة

تدخل الانتفاضة الشعبية في دولة فلسطين المحتلة، مع صدور هذا العدد من المجلة، شهرها التاسع والعشرين، وهي لا تزال محافظة على قوتها وزخمها السياسي. وخلال هذه الفترة قدم شعبنا الفلسطيني عشرات الألوف من شبانه، شهداء وجرحى ومعتقلين. وخلال الشهر الماضي - الشهر الثامن والعشرين للانتفاضة، سقط (١٥) شهيدا. وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة حتى أواخر آذار ١٩٩٠ (٨٤٢) شهيدا.

وفيما يلي قائمة بأسماء شهداء الشهر الثامن والعشرين للانتفاضة.

الجمعة ١٩٩٠/٣/٩

- ابتسام سعيد زكارنه (١٠ سنوات) قباطيه/جنين.

السبت ١٩٩٠/٣/١٠

- محمود فوزي محمد خليفة (٢٠ عاما) مخيم شعفاط/القدس. أصيب برصاصة قاتلة في بطنه.
- سفيان عبد الله خليل أبو ميالة (٢٤ عاما) مخيم شعفاط/القدس. أصيب بالرصاص أثناء وقوفه أمام محله.
- عصام نمر سروجي (٣٥ عاما) مخيم طولكرم. توفي نتيجة القاء قنبلة غاز الى داخل منزله مما ادى الى إختناقه.

الاثنين ١٩٩٠/٣/١٢

- جمال محمد أحمد خليفه (١٧ عاما) مخيم عقبة جبر/اريحا. أصيب برصاصة قاتلة في امعائه.

الجمعة ١٩٩٠/٣/١٥

- محمد طه أبو سمن (٥٠ عاما) مخيم نور شمس/طولكرم. صدمته سيارة عسكرية حسب إفادات الأهالي.

Digitized by Birzeit University Library

السبت ١٩٩٠/٣/١٦

- راضي عبد العزيز محمد أسعد (٨ سنوات) قرية تياسير/نابلس. صدمته سيارة عسكرية، حيث أصيب بجروح خطيرة توفي على أثرها في المستشفى.

الاحد ١٩٩٠/٣/١٨

- سليم يعقوب ريحان (٦٢ عاما) مخيم الأمعري/رام الله. أصيب بعيارين معدنيين اخترقا جمجمته يوم الخميس ١٩٩٠/٣/١٤.

الاثنين ١٩٩٠/٣/١٩

- نائل رفيق زقوت (١٧ عاما) مخيم جباليا/قطاع غزة. أصيب بعيار ناري في رأسه يوم أمس.
- اسامة فهمي هاشم الشاويش (٢٠ عاما) حي الشيخ رضوان/غزة. أصيب بعيارين ناريين في صدره وأنفه.

الثلاثاء ١٩٩٠/٣/٢٠

- شكري حسني ناجي بركات (١٠ أعوام) قرية ذنابة/طولكرم. أصيب بعيار معدني في رأسه أطلقه أفراد نقطة مراقبة عسكرية على سطح أحد المنازل.

الاربعاء ١٩٩٠/٣/٢١

- زينب داود أحمد العصار (٧٥ عاما) مخيم النصيرات/قطاع غزة. أصيبت في رأسها، وذلك عندما حاول جنود الاحتلال اعتقال حفيدها.

الخميس ١٩٩٠/٣/٢٢

- ناصر عبد الوهاب قنعير (٢٨ عاما) نابلس. أصيب بثماني رصاصات في الرأس والصدر والبطن.
- عمار أنيس أبو غضيب (٢٤ عاما) نابلس. أصيب بسبع رصاصات.

الجمعة ١٩٩٠/٣/٢٣

- وفاء نبيل عبد الرازق أبو مدين (٥ سنوات) مخيم البريج/قطاع غزة. صدمتها سيارة عسكرية أثناء لعبها مع أترابها أمام منزلها.

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

ازمة الديون الخارجية في البلدان النامية

د. محمود أبو الرب
رئيس قسم الاقتصاد
جامعة النجاح الوطنية

مقدمة

تتأثر البلدان النامية بشكل مباشر بالازمات الاقتصادية التي تجتاح الاقتصاد العالمي الرأسمالي بين الفينة والاخرى حيث ترزح هذه البلدان تحت كابوس التبعية المتشعبة للاقتصاد الرأسمالي الاحتكاري هذا يعني وضع المراكز الاقتصادية الاساسية في البلدان النامية تحت سيطرة الرأسمال الاحتكاري الاجنبي مما يضمن استنزاف الثروة القومية في البلدان (١) النامية لصالح الاحتكارات الاجنبية واستغلال الايدي العاملة الرخيصة مما يضمن تحقيق ارباح مرتفعة على حساب شعوب البلدان النامية ويخضعها لسيطرة الرأسمال الاحتكاري الاجنبي.

تعتبر البلدان النامية المصدر الاساسي لعدد كبير من المواد الخام والمواد الزراعية الغذائية حيث ترتبط دورات عجلة الصناعة في الدول الرأسمالية بهذه المواد الخام الاستراتيجية في ظل الاوضاع الاقتصادية السائده في العالم وطمع الرأسمال الاحتكاري بالحصول على اكبر قدر ممكن من الارباح عمل ويعمل الرأسمال الاجنبي على تثبيت وتوسيع نفوذ مصالحه في البلدان النامية بشتى الطرق القانونية والغير قانونية حيث اصبح الاستعمار الامبريالي (الاقتصادي) الجديد احد اهم السمات الاساسية للنظام الامبريالي بعد انهيار النظام الاستعماري القديم.

ان انجح الطرق التي استخدمتها الدول الرأسمالية للسيطرة على البلدان النامية وبقائها خاضعة لاقتصادها اغراق هذه البلدان بالديون وبلوغها حد عدم القدرة على دفع الديون المستحقة عليها مما يفسح المجال امام حكومات البلدان الرأسمالية والاحتكارات الخاصة التدخل المباشر في توجيه اقتصاد البلدان النامية وسياستها بما يخدم مصالح الدول الامبريالية والرأسمال الاحتكاري الخاص.

Digitized by Birzeit University Library

(١) اسباب ازمة الديون الخارجية للدول النامية:

ان البحث عن اسباب تفاقم حدة ازمة الديون الخارجية للدول النامية يجب ان يتركز على جانبين. الجانب الاول يكمن في النظام الاقتصادي الدولي القائم اما الجانب الثاني فيكمن في الدول النامية. (٢)

١- ان النظام الاقتصادي الدولي الحالي يعطي الفوائد الاقتصادية والسياسية للدول الصناعية الكبيره على حساب الدول النامية بعد ان اندمجت هذه الدول في اطار تقسيم العمل الدولي والاقتصاد العالمي وتدني نسبة احتمال انشاء نظام اقتصادي دولي جديد يضمن جميع الحقوق الاقتصادية والسياسية لكافة الدول دون تمييز.

٢- الاستغلال البشع للثروات المادية والبشرية للدول النامية من قبل الدول الصناعية الكبرى والرأسمال الاجنبي.

٣- تذبذب الاوضاع الاقتصادية في النظام المالي والنقدي الدولي وربط ديون الدول النامية بعملة وطنية واحدة الا وهي الدولار الامريكي يؤدي الى تدويل المشاكل الاقتصادية القومية وحلها على حساب الشعوب الاخرى.

٤- هيمنة الدول الصناعية الكبرى (امريكا، فرنسا، بريطانيا، اليابان، والمانيا الغربية) على المؤسسات المالية العالمية وتمتعها باغلبية الاصوات في هذه المحافل المالية الدولية يعزز من فرض سياستها الاقتصادية بما يتناسب ومصالحها السياسية.

٥- اصطدام النظام الاقتصادي الدولي الحالي بالعمل المتزايد على حماية الانتاج الوطني مما يؤدي الى عدم قدرة منتوجات البلدان النامية من دخول اسواق الدول الصناعية.

٦- الارتفاع المستمر في حجم الديون الخارجية وبالتالي زيادة نسبة وحجم الفوائد السنوية وعدم وجود تسهيلات لدفع الديون المستحقة على البلدان النامية.

٧- التدهور المستمر لاسعار المواد الخام والتي تشكل المورد الاساسي من العملات الصعبة لمعظم الدول النامية.

اما الاسباب التي تتعلق في البلدان النامية فتعود الى ما يلي:

١- عدم استثمار الدول النامية لهذه القروض بشكل سليم يضمن تسديدها في موعد استحقاقها مثل المشاريع الانتاجية.

٢- تخصيص معظم الديون للنفقات العامة للدولة مما يؤدي الى استهلاكها دون مردود اقتصادي مادي يذكر.

٣- تخصيص قسم من هذه الديون لاستيراد المواد الاستهلاكية.

٤- قدوم معظم البلدان النامية على الاقتراض دون مراعاة قدرتها على دفع هذه الديون في موعد استحقاقها.

٥- هروب او تهريب الرأسمال الوطني الى الخارج وبخاصة الى الدول الصناعية.

(٢) قيمة الديون الخارجية في البلدان النامية:

صرح الرئيس الفرنسي ميتران اثناء زيارته للاكوادور في امريكا اللاتينية في شهر ايلول

Digitized by Birzeit University Library

١٩٨٩ بان مشكلة ديون الدول النامية اخطر من انفجار القنبلة الذرية..(٣).

تحمل هذه العبارة في طياتها معان اقتصادية وسياسية جمة وتعتبر تحذيرا للدول النامية الغارقة في ازمة الديون والعاجزه عن سدادها في المدى القصير ومعظمها على المدى البعيد.

لقد تفجرت ازمة الديون الخارجية للبلدان النامية بعد اعلان حكومة المكسيك في ٢٠ آب ١٩٨٢ عن عدم قدرتها على دفع ديونها المستحقة عليها حيث جاء هذا الاعلان بمثابة الشرارة التي اشعلت مشكلة ديون البلدان النامية.

لم يكن لديون البلدان النامية حتى بداية السبعينات دور وتأثير كبير في حياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بسبب انخفاض قيمتها، الا ان هذا الوضع سرعان ما تغير بعد منتصف السبعينات عندما اخذت قيمة الديون بالتزايد الكبير بعد ان فتحت المؤسسات المالية الحكومية والخاصة مثل نادي باريس والبنك الدولي والمؤسسات المالية المتفرعة عنه ابوابها امام حكومات الدول النامية للحصول على قروض مع عدم مراعاة قدرة هذه الدول على دفع الديون والفوائد المستحقة عليها في وقتها المحدد.

ان قيمة الديون الخارجية للبلدان النامية في تزايد مستمر وتصل قيمتها الى حوالي ثلث ناتجها القومي الاجمالي وفي بعض البلدان تصل الى اكثر من قيمة ناتجها القومي الاجمالي، وقد تضاعفت ديون البلدان النامية مئات المرات خلال الثمانينات كما يتضح من الجدول التالي:

تطوير قيمة الديون الخارجية للدول النامية ما بين
١٩٦٠ - ١٩٨٩ بالمليار دولار جدول رقم (١) (٤)

السنة	حجم الديون مليار دولار	نسبة الزيادة على اساس ١٠٠=١٩٦٠	نسبة الزيادة من فتره الى اخرى	قيمة الزيادة من فترة الى اخرى بالمليار دولار
١٩٦٠	٠٠١٨	٠٤١٦,٧	٤١٦,٧	٠٥٧
١٩٧٠	٠٠٧٥	١٠٠٠	٢٤٠	١١٥
١٩٧٥	٠١٨٠	١٣٨٨,٩	١٣٨,٩	٠٧٠
١٩٧٧	٠٢٥٠	٣٣٨٨,٩	٢٤٤	٣٦٠
١٩٨٠	٠٦١٠	٤٦٨٣,٣	١٣٨,٢	٢٣٣
١٩٨٣	٠٨٤٣	٥٢٢٢,٢	١١١,٥	١٠٣
١٩٨٥	٠٩٤٠	٥٧٥٠	١١٠,١	٠٩٥
١٩٨٦	١٠٣٥	٠٦٠٠	١٠٤,٤	٠٤٥
١٩٨٧	١٠٨٠	٦٩١٦,٧	١١٥,٣	١٦٥
١٩٨٨	١٢٤٥	٧٢٢٢,٢	١٠٤,٤	٠٥٥
١٩٨٩	١٣٠٠			

من الجدول رقم (١) يتضح ان قيمة الديون الخارجية للبلدان النامية بلغت ١٨ مليار دولار

Digitized by Birzeit University Library

عام ١٩٦٠ ارتفع الى ٧٥ مليار دولار عام ١٩٧٠ اي ما نسبته ٤١٦,٧٪، هذا يعني ان الديون الخارجية للدول النامية تضاعفت اكثر من اربعة مرات خلال العشرة سنوات الاولى من بداية مشكلة الديون. ان ازمة الديون بدأت تظهر بشكل واضح في مطلع السبعينات حيث بلغت قيمة الديون ١٨٠ مليار دولار عام ١٩٧٥ اي بزيادة مقدارها ١٠٠٠٪ ثم ارتفعت هذه الديون الى ٦١٠ مليار دولار عام ١٩٨٠ اي بزيارة مقدارها ٣٣٨٨,٩٪ والى ٩٤٠ مليار عام ١٩٨٥ اي بزيادة مقدارها ٥٢٢٢,٢٪ والى ١٣٠٠ مليار دولار عام ١٩٨٩ اي بزيادة مقدارها ٧٢٢٢,٢٪ مقارنة مع عام ١٩٦٠ (٥).

ان قيمة الديون الخارجية للدول النامية خلال الستينات لم تتعد ٧٥ مليار دولار اي بزيادة سنوية مقدارها ٧,٥ مليار دولار اما في فترة السبعينات فان حجم الديون اخذ بالتزايد الحاد حيث بلغ متوسط الزيادة السنوية ١٨١ مليار دولار انخفضت خلال الثمانينات الى ١١٦ مليار دولار بالرغم من الارتفاع الحاد في قيمة الديون.

يترتب على هذه الديون فوائد باهضة بلغت قيمتها ٦٥,٢ مليار دولار عام ١٩٨٣ ارتفعت الى ٧٣,٤ مليار دولار عام ١٩٨٦ (٦) وتقدر فوائدها في عام ١٩٨٩ بأكثر من ١٠٠ مليار دولار.

(٣) مصادر ديون البلدان النامية.

تحصل الدول النامية على قروض من مصادر حكومية ومؤسسات مالية خاصة في البلدان الرأسمالية بالاضافة الى صندوق النقد الدولي وما يتفرع عنه من مؤسسات مالية، وتنقسم هذه القروض الى طويلة وقصيرة الاجل. حيث تشكل القروض طويلة الاجل القسم الاكبر من القروض الممنوحة للبلدان النامية كما يتضح من الجدول التالي:

نسبة ديون البلدان النامية حسب النوع والمصدر ما بين ١٩٨٠-١٩٨٧ جدول رقم (٢) (٧)

جدول رقم (٢)

النسبة المئوية

نوع الدين والمصدر	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٨٧
ديون طويلة الاجل	٧٥,٠٤	٨١,٩٥	٨٣,٥٤
- من مصادر حكومية	٣٧,٧	٣٦,٦٧	٣٨,١٨
- من مصادر خاصة	٦٢,٣	٦٣,٣٣	٦١,٨٢
ديون قصيرة الاجل	٢٣,٣٩	١٣,٩	١٦,٤٦
ديون صندوق النقد الدولي	١,٥٧	٤,١٥	-----

من الجدول اعلاه يلاحظ ما يلي:

Digitized by Birzeit University Library

١- ان ديون البلدان النامية طويلة الاجل تشكل بالمتوسط حوالي ٨٠٪ من قيمة اجمالي ديونها بينما الديون قصيرة الاجل تساهم بحوالي ١٧,٥٪ بينما يساهم صندوق النقد الدولي بما نسبته ٢,٥٪ من الديون.

٢- ان نسبة ديون البلدان النامية طويلة الاجل ارتفعت من ٧٥,٠٤٪ عام ١٩٨٠ الى ٨١,٩٥٪ عام ١٩٨٥ و ١٩٨٧ على التوالي.

٣- ديون البلدان النامية من المصادر الحكومية شكلت ٣٧,٧٪، ٣٦,٦٧٪ و ٣٨,١٨٪ من قيمة الديون طويلة الاجل لعام ١٩٨٠، ١٩٨٥ و ١٩٨٧ على التولي اما مصادر الديون الخاصة فقد ساهمت ب ٦٢,٣٪، ٦٣,٣٣ و ٦١,٨٢٪ لنفس الفترة مما يدل على مدى مساهمة الدول الامبريالية بايجاد فرص استثمار خصبة واماكن نفوذ للرأسمال الاحتكاري.

٤- ساهمت ديون البلدان النامية قصيرة الاجل بما نسبته ٢٣,٣٩٪، ١٣,٩٪ و ١٦,٤٦٪ لعام ١٩٨٠، ١٩٨٥ و ١٩٨٧ على التوالي مما يعني انه يجب على البلدان النامية ان تكون على استعداد لسد حوالي ١٧,٥٪ من قيمة ديونها خلال فترة قصيرة.

٥- ان صندوق النقد الدولي لا يساهم الا بنسبة قليلة جدا من القروض الممنوحة للدول النامية حيث لم تتعد ١,٥٧٪ في عام ١٩٨٠ ارتفعت الى ٤,١٥٪ عام ١٩٨٥.

ان الرأسمال الاحتكاري الخاص يساهم بأكثر من ٥٠٪ من ديون البلدان النامية مما يؤدي الى تعزيز مواقعه الاقتصادية والسياسية وفرض سيطرته على عصب اقتصادها وتوجية اقتصادها الوطني بما يتناسب ومصالحه الاقتصادية التي تتعارض مع مصالح شعوب البلدان النامية.

من واجب حكومات البلدان النامية ان تعمل على الحد من تغلغل الرأسمال الاحتكاري في بلادها وتعزز مكانة القطاع العام وتدعم نمو الرأسمال الوطني لكي يتسنى لها من دفع عجلة تطورها الاقتصادي بما يتناسب ومصالح شعوبها.

(٤) القروض الجديده للبلدان النامية ما بين ١٩٨٠-١٩٨٦

بالرغم من تراكم ديون البلدان النامية حتى بداية الثمانينات بشكل كبير واعاده جدولة بعضها وعدم قدرة بعض الدول من دفع الفوائد والاقساط المستحقة عليها لم تحجم حكومات هذه الدول عن اغراق بلدانها بمزيد من الديون عن طريق الاقتراض من المؤسسات المالية الحكومية والخاصة.

حجم القروض التي حصلت عليها البلدان النامية ما بين
١٩٨٠ - ١٩٨٦ حسب مصدرها بالمليار دولار امريكي

جدول رقم (٣)(٨)

السنة	حجم القروض	من مؤسسات مالية خاصة	من مؤسسات مالية حكومية
١٩٨٠	١٠٢,٨	٧٤,٦	٢٨,٢

Digitized by Birzeit University Library

١٩٨٣	٠ ٩٦,٥	٦٣,٩	٣٢,٦
١٩٨٤	٠ ٨٨,٣	٥٦,١	٣٢,٢
١٩٨٥	٠ ٨١,٧	٥٢,١	٣١,٦
١٩٨٦	٠ ٧٢	٤١	٣١

من الجدول رقم ٢ يتبين ان الدول النامية حصلت على قروض بقيمة ١٠٢,٨ مليار دولار عام ١٩٨٠ معظمها من المؤسسات المالية الخاصة حيث شكلت ما نسبته ٧٢,٥٦٪ من مجموع القروض لنفس العام وكانت اعلى نسبة سجلتها المؤسسات المالية الخاصة حتى عام ١٩٨٦ حيث بدأت هذه المؤسسات بخفض نسبة مساهمتها في القروض المقدمة للدول النامية الا انها بقيت تساهم بأكثر من ٥٦٪ من قرض البلدان النامية وقد بلغت نسبة مساهمتها ٦٦,٢١، ٦٣,٥٣، ٦٤,٢٤ و ٥٦,٩٤ لعام ١٩٨٣، ١٩٨٤، ١٩٨٥، ١٩٨٦ على التوالي.

(٥) ديون البلدان النامية المستحقة ما بين ١٩٨٠ - ١٩٨٦

وصلت البلدان النامية في تراكم ديونها حد الانتحار الاقتصادي والسياسي مما ادى الى تكريس التبعية المتشعبة للاقتصاد الرأسمالي فالاوضاع الاقتصادية في الدول النامية في ترد مستمر منذ مطلع الثمانينات حيث شهد اقتصاد هذه البلدان تدني في نسبة النمو الاقتصادي يرافقه انخفاض حاد في مستوى الحياة المعيشية وانتشار الجوع والاوبئة والامراض بالاضافة الى الكوارث الطبيعية وبخاصة الجفاف والفيضانات التي اجتاحت العديد من دول القارة الافريقية والدول الاسيوية.

في ظل هذه الاوضاع الاقتصادية الصعبة تأتي مشكلة الديون وبخاصة الاقساط المستحقة لتفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية حيث تقف حاجزا ضيقا في وجه التطور الاقتصادي والاجتماعي في البلدان النامية وتذهب هذه الاقساط للبلدان الرأسمالية على حساب تطور شعوب البلدان النامية.

حجم ديون البلدان النامية المستحقة للمؤسسات المالية (٨) الخاصة والحكومية ما بين ١٩٨٠ - ١٩٨٦ بالمليار دولار.

جدول رقم (٤)

السنة	مجموع الديون المستحقة	تسديد اقساط	تسديد فوائد
١٩٨٠	٠ ٧٤,٢	٤٢	٣٢,٢
١٩٨٣	٠ ٩٠,٨	٤٤	٤٦,٨
١٩٨٤	٠ ٩٩	٤٦,٣	٢٥,٨
١٩٨٥	١٠٨	٥٣,٥	٥٤,٥
١٩٨٦	١٠١	٥١	٥٠

Digitized by Birzeit University Library

من الجدول أعلاه يتضح أن حجم الاقساط المستحقة على البلدان النامية للمؤسسات المالية الحكومية والخاصة بلغت قيمتها ٧٤,٢ مليار دولار منها ٤٢ مليار دولار اقساط و ٣٢,٢ مليار دولار فوائد في عام ١٩٨٠ وكانت هذه الاقساط ترتفع سنويا حيث بلغت قيمتها ١٠١ مليار دولار منها ٥١ مليار دولار اقساط مستحقة و ٥٠ مليار دولار فوائد.

يلاحظ من الجدول رقم ٣ ان الفوائد المستحقة على ديون البلدان النامية في تزايد مستمر وفي بعض السنوات تزيد قيمتها عن الاقساط المستحقة فقد شكلت نسبة فوائد الديون ما بين ١٩٨٣ - ١٩٨٦ اكثر من نصف قيمة الاقساط المستحقة على البلدان النامية. ان هذا الوضع الخطير جدير بالدراسة والاهتمام بهدف اتخاذ موقف جماعي وموحد من قبل الدول النامية تجاه الفوائد التي تدفعها على ديونها بشكل خاص وازمة الديون بشكل عام.

يلاحظ من الجدول الثاني والثالث ان البلدان النامية كانت تحصل على قروض جديده منذ مطلع الثمانينات بالرغم من ارتفاع قيمة الديون المستحق دفعها والتي بلغت قيمتها ٩٠,٨، ٩٩، ١٠٨ و ١٠١ مليار دولار لعام ١٩٨٣، ١٩٨٤، ١٩٨٥ و ١٩٨٦ على التوالي اما قيمة الديون الجديده التي حصلت عليها هذه الدول فقد بلغت قيمتها ٩٦,٥، ٨٨,٣، ٨١,٧ و ٧٢ مليار دولار لنفس الاعوام.

عملت حكومات الدول النامية على تكريس وتفاقم حدة ازمة الديون الخارجية منذ مطلع الثمانينات عوضا عن وضع استراتيجية اقتصادية سياسية تحد من تراكم الديون الخارجية وزيادتها والعمل على تسديد الاقساط المستحقة عليها والبحث عن السبل والامكانات للخلاص من هذه الازمة الخانقة التي تقف في وجه التطور الاقتصادي للبلدان النامية وتزيد من حدة التخلف الاقتصادي والاجتماعي وتكرس التبعية المتشعبة للرأسمال الاحتكاري.

(٦) التوزيع الجغرافي لديون البلدان النامية

تختلف ازمة الديون من دولة الى اخرى ومن قارة الى قاره، اذا ما اخذت القارة كوحدة اقتصادية واحدة. ففي امريكا اللاتينية بلغت قيمة الديون ٣٨٣,٩ مليار دولار عام ١٩٨٥ اي ما يعادل ٤٣٪ من اجمالي ديون الدول النامية ارتفعت هذه الديون الى ٤٢٠ مليار دولار اي ما نسبته ٩,٤٪ في عام ١٩٨٧. اما قارة افريقيا قد بلغت قيمة ديونها ٣٠٠ مليار دولار عام ١٩٨٧ وبلغت قيمة ديون الدول الاسيوية ٣٦٠ مليار دولار عام ١٩٨٧.(٨)

التوزيع الجغرافي لديون البلدان النامية في عام ١٩٨٥ بالمليار دولار
جدول رقم (٥) (١٠)

جدول رقم (٥)

المنطقة	قيمة الديون	النسبة المئوية
افريقيا	٨٥,٦ .	٩,٥ .
شرق اسيا والمحيط الهادي	١٦٣,٨	١٨,٤

Digitized by Birzeit University Library

جنوب اسيا	٠,٦٢	٠٧
امريكا اللاتينية والكاريبي	٣٨٣,٩	٤٣
الشرق الاوسط وشمال افريقيا	٠,٧٣	٠٨,٢
البلدان الاوروبية وحوض البحر المتوسط	١٢٤,١	١٣,٩

يلاحظ من الجدول اعلاه ان دول امريكا اللاتينية تحتل نصيب الاسد من ديون البلدان النامية تليها الدول الاسيوية وتحتل الدول الافريقية المرتبة الاخيرة في حجم الديون المستحقة عليها.

(٧) محاولة في تحديد قيمة صافي ديون البلدان النامية

بناء على ما سبق ذكره وتحليله لازمة ديون البلدان النامية وتجنبا لمزيد من تفاقم هذه الازمة فان هذه الدول مطالبة بوضع استراتيجية اقتصادية سياسية تهدف الى التخلص من ديونها الخارجية وتكون احد ادواتها تحديد قيمة صافي الديون المستحقة على الدول النامية.

ليس من السهل على البلدان النامية تحديد قيمة صافي ديونها بسبب عدم قدرة هذه الدول على فرض المؤشرات الاساسية في معادلة احتساب قيمة صافي الديون ورفض الدول الامبريالية والمؤسسات المالية الخاصة حتى البحث في مثل هذه المعادلة واصرارها على مطالبة الدول النامية بدفع كافة الديون والفوائد المستحقة عليها، الا ان بداية التفكير والعمل ومحاولة فرض مثل هذه المعادلة ليس بالمستحيل، وبامكان الدول النامية اعتماد بعض المؤشرات الاقتصادية والمالية التالية لاحتساب قيمة صافي ديونها (ص).

١- الفوائد (ف)
٢- القروض التي استخدمت في ترسانة الاسلحة (س)
٣- القروض المستخدمة في خدمة مصالح الفئات الحاكمة (ح)
٤- نسبة لا تقل عن ٦٠٪ من ارباح الرأسمال الاحتكاري (ر)
٥- القيمة المادية لهجرة الادمغة (ه)
٦- القيمة المادية لما خلفة الاستعمار الامبريالي (خ)
٧- قيمة ديون البلدان النامية (د)

ص = د - ف - س - ح - ر x ٦٠٪ - ه - خ

ان تحديد قيمة كل متغير في هذه المعادلة يختلف من قارة الى قارة ومن دولة الى اخرى لذلك فان الدول النامية مطالبة باحتساب قيمة صافي ديونها في اطار مجموعات او بشكل انفرادي والخروج بتصور واضح في عملية تحديد قيمة صافي ديونها بعد دراستها من جميع جوانبها القانونية ووضع كافة الاحتمالات المتوقعة من قبل الدول الامبريالية والمؤسسات المالية الاحتكارية عند تطبيق هذه المعادلة ووضع كافة البدائل لمواجهة التطورات الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي قد تنجم عن ذلك لأن الدول الامبريالية والمؤسسات المالية

Digitized by Birzeit University Library

الاحتكارية لن تسمح بسهولة بتفجير هذه الازمة في ملعبها وظاهريا على حسابها.

ان تحديد قيمة صافي ديون البلدان النامية وفرضها على الدول الامبريالية والمؤسسات المالية الاحتكارية اخطر من انفجارالقنبلة الذرية في البلدان الامبريالية، ولكن بقاء الدول النامية ترزح تحت نير الرأسمال الاحتكاري وسيطرة الدول الامبريالية على ثرواتها اخطر من انفجار القنبلة الذرية في هذه البلدان كما يراه الرئيس الفرنسي ميتران.

ان السؤال الذي يطرح في الوقت الراهن هل الدول النامية قادرة على تفجير ما هو اخطر من القنبلة الذرية في ملعب البلدان الامبريالية ام انها تبقى تنتظر انفجار هذا الخطر في ملعبها؟ ان الاجابة على هذا السؤال تتعلق بشكل مباشر في مقدرة الدول النامية على تحديد قيمة صافي ديونها الخارجية وفرض التعامل معها في الحياه الاقتصادية والمالية الداخلية والعالمية.

وبالتالي افشال استراتيجية الدول الامبريالية التي تهدف الى (١١)

١- اعادة جدولة الديون بفوائد مرتفعة.

٢- عقد اتفاقيات ثنائية تربط الدول النامية بالرأسمال الاحتكاري.

٣- رفض الدول الامبريالية مساعدة الدول النامية في حل ازمة ديونها.

٤- تحويل قسم من الديون الى المشاركة بالاستثمارات.

٥- مراقبة تنفيذ البرامج والخطط الاقتصادية من قبل الدول الامبريالية بواسطة صندوق النقد الدولي.

(٨) تصورات عامة لمحاولة التخلص من مشكلة ديون البلدان النامية:

١- تغير النظام الاقتصادي الدولي القائم لينهي هيمنة الدول الامبريالية والرأسمال الاحتكاري ويضمن للدول النامية فيه دور اساسي وبارز في عملية تسيير الشؤون الاقتصادية والمالية والسياسية العالمية.

ان تحقيق هذا المطلب صعب وبعيد المنال في ظل الظروف الاقتصادية السائدة في العالم، الا ان تضافر جهود البلدان النامية والدول الاشتراكية وكافة القوى المحبة للسلام والاستقرار السياسي والاقتصادي في العالم واستغلال البلدان النامية لمواردها الاقتصادية والبشرية بشكل جيد وتوجيهها لخدمة وتطوير الاقتصادالوطني وانهاء سيطرة الاحتكارات الاجنبية على عصب الاقتصاد في البلدان النامية يمكن من الاسراع في استحداث مثل هذا النظام.

٢- التغير الجذري لكافة الانظمة في البلدان النامية التي عملت على اغراق بلادها بالديون واستبدالها بانظمة تعمل على خدمة مصالح شعوبها وتطور اقتصادها بما يتناسب ومصالح الامة.

٣- الامتناع عن دفع الديون التي استخدمتها الدول النامية في تعزيز ترسانتها الحربية، حيث ان استثمار هذه القروض في القطاع الحربي على حساب القطاعات الاقتصادية المدنية وبخاصة المنتجة عمل على تكريس وتفاقم حدة الازمة وسبب اندلاع العديد من الحروب بين عدد كبير من الدول النامية مما ادى الى دمارها الاقتصادي وتوجية معظم القطاعات الاقتصادية لخدمة مصالح القطاع الحربي.

٤- الامتناع عن دفع الديون التي استخدمتها الدول النامية في خدمة مصالح الفئات الحاكمة والتي لم تعد على الاقتصاد الوطني بالنفع بل كانت عاملا مساعدا في تخلفة واستنزاف موارده

Digitized by Birzeit University Library

وتحميلها لاصحاب الملايين والمليارات من الفئات الحاكمة التي نمت وترعرعت بشكل طفيلي على حساب شعوبها، لذلك فان شعوب هذه البلدان غير مسؤوله عن عبث فئات قليلة من الحكام كانت ولا تزال مدعومة من الرأسمال الاحتكاري الحكومي والخاص.

٥- اعلان البلدان النامية عن رفضها دفع فوائد الديون المستحقة عليها واحتساب الفوائد التي دفعتها جزء من الاقساط المستحقة. ان الرأسمال الاحتكاري يحقق ارباحا مرتفعة من البلدان النامية سواء كان عن طريق استغلال المواد الخام او القوى العاملة الرخيصة او السيطرة على الاسواق، ومن الجدير ذكره ان قيمة الارباح التي يحققها الرأسمال الاحتكاري من هذه البلدان اعلى بكثير من قيمة الديون المستحقة عليها.

٦- يجب على البلدان النامية ان تعيد النظر في قسم كبير من ديونها وتحميل مسؤوليتها الى ما خلفة الاستعمار الامبريالي القديم وكرسه الاستعمار الامبريالي الحديث، حيث عمد ويعمد الرأسمال الاحتكاري على استنزاف الموارد الاقتصادية في البلدان النامية واستخدامها لخدمة مصالح الاقتصاد الامبريالي وكرس التخلف الاقتصادي والاجتماعي للبلدان النامية، لذلك فان الدول الامبريالية بقدر ما كانت مسؤولة عن تخلف البلدان النامية يجب ان تكون كذلك مسؤولة عن دعم وتطوير اقتصاد البلدان النامية دون قيد او شرط وبما يتناسب ومصالح شعوب هذه البلدان حتى تتمكن من القضاء على التخلف الاقتصادي والاجتماعي ومواكبة التطورات الاقتصادية والتكنولوجية العالمية ورفع مستوى اقتصاد البلدان النامية الى المستوى العالمي.

٧- على الدول النامية اعتماد القروض التي استثمرت في عملية تطوير الاقتصاد الوطني وعادت بالنفع على افراد المجتمع.

٨- على الدول النامية ان تعمل على تقييم قيمة هجرة الادمغة الى البلدان الرأسمالية ومدى مساهمتها في تطور الاقتصاد الامبريالي واحتسبها جزء من الديون المستحقة عليها.

٩- ان اتفاق البلدان النامية على مبدأ تحديد قيمة صافي ديونها الخارجية والعمل على ترجمة هذا المبدأ في الحياة الاقتصادية والمالية المحلية والدولية يعتبر احد العوامل الاساسية الهامة ونقطة البداية للخلاص من مشاكل الديون الخارجية ويكبح جماح انفجار ما هو اخطر من القنبلة الذرية في البلدان النامية ويمكن من نقل خطر هذا الانفجار في ملعب الدول الامبريالية التي اغرقت البلدان النامية بالديون.

المراجع والمصادر

١- البروفيسور توماس سنتش: الاقتصاد السياسي للتخلف
الجزء الثاني، دار الطارابي بيروت ١٩٧٨ ص ٨٠ ترجمة فالح عبد الجبار.

٢- اسيا، افريقيا، امريكا اللاتينية، مجلة المجلس العلمي المركزي الى اسيا، افريقيا وامريكا اللاتينية في جمهورية المانيا الديمقراطية مطبعة برلين العلمية، ١٩٨٧ رقم ٦ ص ٩٧ باللغة الالمانية.

٣- راديو مونتكارلو شهر ايلول ١٩٨٩

٤- تقارير معهد الاقتصاد والسياسة العالمية، جمهورية المانيا الديمقراطية، برلين ١٩٨٨ رقم ٦ ص ١٠ (باللغة الالمانية)

- اسيا، افريقيا، امريكا اللاتينية مصدر سبق ذكره ص ٩٦٥

Digitized by Birzeit University Library

- حساب مباشر للمؤلف من نفس الجدول

٥- انظر الجدول رقم (١)

٦- مجلة اسيا، افريقيا، امريكا اللاتينية ص ٩٦٥ مصدر سابق

٧- تقارير معهد الاقتصاد والسياسة العالمية ص ٦٤ مصدر سبق ذكره ملحق احصائي.

٨- نفس المصدر السابق ص ٦٤، د. محمود ابو الرب: واقع البلدان النامية في الاقتصاد الرأسمالي العالمي مجلة الكاتب عدد ١١٠ ص ٦٢،٦٣

٩- نفس المصدر السابق ص ٦٤

١٠- نفس المصدر السابق ص ٦٤

١١- د. محمود ابو الرب: مصدر سابق ص ٦٢

تقارير البنك الدولي ١٩٨٠،١٩٨٥،١٩٨٧

وثائق المؤتمر الثامن لدول عدم الانحياز هراري ١٩٨٦

رمزي زكي ازمة الديون الخارجية رؤية من العالم الثالث الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٨

لينين: الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية، موسكو، دار التقدم ١٩٧٥

كلفر: لن يجوع العالم دار المعارف بمصر

شلنغ: ازمة النظام الاستعماري الامبريالي، برلين ١٩٧٧

مستوطن يهودي في قرية صوريف في الضفة وقد تمنطق بسلاحه الرشاش.

Digitized by Birzeit University Library

الصحافة السرية

للحزب الشيوعي العراقي

منذ نشوئها – وحتى العام ١٩٥٨

سعد عباس عبيد

فيما يلي فصول من رسالة الماجستير للاستاذ سعد عباس محمد عبيد، وهي بعنوان " الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها وحتى العام ١٩٥٨ "، ونظرا لأهمية الموضوع، سنقوم بنشر موضوعاتها على حلقات، هادفين بذلك، الى اطلاع قرائنا على جوانب هامة، من تجارب الحزب الشيوعي العراقي الغنية.

(٥)

بداية الهجوم الرجعي على الحزب الشيوعي العراقي

سقطت وزارة السويدي في ١٩٤٦/٥/٣٠ وجاءت وزارة أرشد العمري كاجراء لكبح النهوض الثوري المتصاعد في العراق وكان تشكيلها خرقا لحقوق الشعب (١٧٢).

ودشنت الوزارة اعمالها فعطلت جريدة العصبة في ٦ حزيران وأوقف أبرز قادتها وطلبت وزارة الداخلية الى رئاسة الادعاء العام في (٦ حزيران) اقامة الدعوى على مؤسسي حزب التحرر الوطني لممارسة العمل دون الحصول على اجازة واخلاله بالامن العام (١٧٣).

Digitized by Birzeit University Library

فاوقف اعضاء الهيئة المؤسسة. وجاء ذلك على أثر النداء الذي نشرته الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني في يوم ٦ حزيران ١٩٤٦. تحت عنوان: "الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني تدعو الى مظاهرات سلمية يعبر فيها شعبنا عن ارادته في عرض قضية فلسطين على مجلس الامن" وقد جاء فيه: "ان الواجب الوطني يقضي على المنظمات تنظيم نضال شعبنا وتوجيهها نحو الضغط على الحكومة العراقية لفرض عرض قضية فلسطين على مجلس الامن، وان من أهم الوسائل: هو تنظيم مواكب المظاهرات الشعبية السلمية: (١٧٤).

جاء في كتاب تاريخ الوزارات: "جرت مظاهرات صاخبه في جانب الرصافة من بغداد في يوم ٢٨ حزيران ١٩٤٦ قام بها (حزب التحرر الوطني) غير المجاز (وعصبة مكافحة الصهيونية) اللذان يمثلان واجهة الحزب الشيوعي السري وذلك احتجاجا على المظالم الجارية في فلسطين، وما لبثت ان عبرت الى جانب الكرخ فحاولت الشرطة أن تفرق المتظاهرين بالهراوات فاخفقت فالتجأت الى السلاح فقتل خمسة متظاهرين، طالب مدرسة، عاملان، جندي، وطفل (١٧٥) وهكذا قدم الحزب الشيوعي الشهداء من صفوفة لتدشين معركة التحرر ونصرة فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية.

واستنكرت الاحزاب السياسية الوطنية عمل الشرطة ونشرت الصحف احتجاجات الاحزاب والهيئات الوطنية: فعطلت الحكومة بعضها ولفتت نظر غيرها وقدم القسم الاخر الى المحاكم حتى أصبح عدد الصحف التي شملتها هذه التدابير نصف عدد الصحف التي تصدر في بغداد تقريبا وكدس المتظاهرون في الموقف.

ورغم ذلك بقي الحزب الشيوعي يناضل من اجل التقارب بين الاحزاب حتى أتمر هذا التقارب عام ١٩٤٦ الى اسقاط وزارة العمري بتاريخ ١٩٤٦/١١/١٦. (١٧٦)

وعاود الاستعمار والرجعية هجومهم لتفتيت هذا التقارب وتم لهم ما ارادوا: اذ استوزر قسم من ممثلي الاحزاب الوطنية في الوزارة السعيدية التاسعة في ٢١/ تشرين ثاني/١٩٤٦ حيث ساهم فيها ممثل حزب الاحرار وممثل الحزب الوطني الديمقراطي ولما كان هدف الاستعمار من استيزارهما هو تفتيت التقارب بين اطراف القوى الوطنية وسد الطريق امام قيام الجبهة واضعاف القوى الوطنية ككل محاربه الحياة الحزبية وزورت الانتخابات بشكل مفضوح واضطهدت الشعب وحرياته. وعندئذ أستقال ممثلو الاحزاب الوطنية من الوزارة بعد أن أتضح لهم بالتجربة العملية، عقم التعاون مع السلطات الحاكمة الرجعية في اصلاح الاوضاع السيئة السائدة. (١٧٧)

واستمرت نشاطات الحزب الشيوعي الايديولوجية والعملية في كافة الميادين الوطنية والقومية وعلى رأسها النضال من أجل تشكيل الجبهة الوطنية ومن اجل الحريات الديمقراطية باعتبارهما المنطلق الاساسي للنضال الجماهيري في بدء معركة الجلاء ومن اجل تحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية.

وفي غمرة هذه النشاطات اعتقل الرفاق فهد السكرتير العام للحزب وعضو المكتب السياسي زكي بسيم في كانون الثاني ١٩٤٧ كما اعتقل العديد من الكوادر الحزبية وعطلت اجازة بعض الاحزاب الوطنية (١٧٨). فكتبت جريدة القاعدة مقالا بعنوان "مغزى الهجوم الرجعي ضد العناصر الديمقراطية" جاء فيه "منذ خمسة اشهر تقريبا قامت الشرطة العراقية بغارات متكررة كان من نتائجها ان القت القبض على الرفيق فهد قائد الحزب الشيوعي العراقي وعلى عناصر

Digitized by Birzeit University Library

وطنية اخرى بعضها من مؤسسي حزب التحرر الوطني ومن عصبة مكافحة الصهيونية ومن عمال نقابيين بينهم علي شكر رئيس نقابة عمال السكك وبعضها عناصر لامسبقة لها ومن بعض منتسبي الاحزاب المجازة" واوضحت الجريدة ان السبب في حملة الحكومة هذه "انها كانت تخشى عرقلة الحزب الشيوعي للمشاريع الاستعمارية ومنها معاهدة اتحاد العراق وشرق الاردن والمعاهدة التركية - العراقية" في ٢٤ حزيران ١٩٤٧. اصدرت المحكمة الكبرى ببغداد قرارها المهيء مسبقا: الاعدام ليوسف سلمان (فهد) وزكي بسيم وابراهيم ناجي، والسجن مددا مختلفة على اخرين غيرهم.(١٧٩)

وبعد وقت قصير استدعى وزير العدلية انذاك جمال بابان رئيس المحكمة وعضويها، الذين حكموا على فهد ورفيقه بالاعدام ووزع عليهم كما جاء في مذكرات المرحوم كامل الجادرجي الصادرة في بيروت عام ١٩٧٠ مبلغ ٨٠٠ دينار من المخصصات السرية مكافأة وتشجيعا!

أثار حكم الاعدام على فهد ورفيقه ضجة في البلاد والعالم، في الداخل قام الحزب بنشاط واسع دفاعا عن حياتهم، ووزع الاف النشرات وأصدر جريدة "القاعدة" من جديد. ثم ان المحاكمة ناتها ونشر الصحف المحلية انبائها، واقوال فهد ودفاعه، ودفاع المحامين كل ذلك حولها الى منبر للتعريف بمبادىء الحزب واهدافه ونضاله. وفي الخارج تضافرت الجهود للاحزاب الشيوعية والرأي العام التقدمي وانصار الحرية في مختلف الاقطار، العربية منها والاجنبية وانطلقت حملة تضامن مع فهد ورفاقه وضغط على الحكومة العراقية للتدخل في الامر والغاء حكم الاعدام فاوعزت الى محكمة التمييز بأستبدال حكم الاعدام الصادر على فهد ورفيقيه بالسجن المؤبد، وبتخفيض باقي الاحكام كذلك، وبالفعل اصدرت محكمة التمييز في ١٣ تموز ١٩٤٧ قرارها بذلك (١٨٠)

وثبة كانون المجيدة.

استمر المد الثوري بالتصاعد وشنت الطبقة العاملة نضالات كبيرة حققت فيها انتصارات عمقت وعيها الطبقي والوطني كما رسخت وحدتها واظهرت دورها البارز الصدامي في الحركة الوطنية كما ناضلت القوى الوطنية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي من اجل الحريات الديمقراطية وتوحيد جهود جميع الوطنيين في جبهة وطنية موحدة (١٨١) اوغل الحكم في اضطهاد الاحزاب الوطنية عامة وقمعه للحريات فعطل الصحف الحزبية والوطنية وعطل حزبي الشعب والاتحاد الوطني كما اعدمت الحكومة في ١٩ حزيران ١٩٤٧ اربعة من الضباط الوطنيين الذين التحقوا بالحركة الكردية في بارزان لارهاب الحركة الوطنية والقوميين الاكراد، كما ابرمت اتفاقيتين مع تركيا والاردن تهدفان الى تهيئة الجو لحلف الدفاع المشترك وعارضت الاحزاب الوطنية هاتين المعاهدتين بشدة ونددت بأهدافهما (١٨٢) وعندها توهم الاستعمار وعملاؤه بان الامر استتب لهم وان الجو أصبح مهيأ لاجراء الخطوة الكبرى: تكبيل الشعب العراقي بمعاهدة جديدة تكرس الهيمنة الاستعمارية على العراق لعشرات السنين.

تسربت الى الجماهير والقوى الوطنية الخطوط العريضة للمعاهدة الجديدة فاذا هي اشد وطأة من سالفتها معاهدة ١٩٣٠. (١٨٣).

Digitized by Birzeit University Library

أدرك الوطنيون على اختلاف ميولهم السياسية خطر المؤامرة المدبرة ضد استقلال البلاد وسيادتها الوطنية فعمل الشيوعيون وسائر الاحزاب الوطنية على تحشيد الراي العام وتعبئته لرفض جميع المشاريع والمعاهدات المخلة بالسيادة والاستقلال الوطني فشكلت بمبادرة الشيوعيين لجنة " طلاب الكليات والمعاهد " لتنسيق نشاط الطلاب. كما شكلت وبمبادرة الشيوعيين ايضا " لجنة التعاون الوطني " التي ضمت الحزب الشيوعي العراقي وحزب الشعب والجناح اليساري للحزب الوطني الديمقراطي والحزب الديمقراطي الكردي واصدرت الاحزاب المجازة بياناتها عن " عدم جدارة الحكومة القائمة انذاك بالاضطلاع بمثل هذه المهمة لانها لا تتمتع بثقة الشعب ولا تستطيع تحقيق اماني الأمة في انجاز مثل هذه المهمة الخطيرة التي يتوقف عليها استقلال العراق وسيادته ومصيره (١٨٤) وفي منتصف كانون الثاني ١٩٤٨ وقع صالح جبر وبيفن وزير خارجية بريطانية القيد الجديد على ظهر الباخرة فيكتوري في ميناء بورتسموث وسموا المعاهدة بهذا الاسم تيمنا بموقع توقيعها (١٨٥).

على الفور دعا الحزب الشيوعي الى عقد الاجتماعات لتوضيح بنود المعاهدة لجماهير الشعب وتحديد اساليب الكفاح ضدها وتم تحديد اهداف الوثبة بما يلي:

١- رفض معاهدة بورتسموث والغاء معاهدة ١٩٣٠

٢- توفير الخبز والكساء باسعار معتدلة.

٣- تحقيق الحريات الديمقراطية

٤- اسقاط وزارة صالح جبر وحل المجلس النيابي واجراء انتخابات حرة لمجلس جديد.

وعقدت عشرات الاجتماعات العمالية والطلابية ففي ١٩/١/٤٨ خرجت بدعوة من اللجنة الطلابية مظاهرة كبيرة في بغداد استمرت الى اليوم الثاني فوقع عدد كبير من الشهداء بينهم الشيوعيين شمران علوان، جعفر الجواهري وقيس الالوسي. وفي ٢١/١ أوقفت الدراسة بقرار حكومي. الا ان هذا القرار جعل الحريق يمتد الى جميع المحافظات والى جماهير الشعب الغفيره وفي مقدمتها الطبقة العاملة. اما الجيش فقد نصح العقلاء من قادته بعدم استخدامه معتبرين ذلك لعباً بالنار وحذروا من أن تنتقل نار الانتفاضة الى هذا البرميل المحشو بالبارود ونامت بغداد يوم ٢٦/كانون الثاني ١٩٤٨ على فوهة بركان فقد أعلن العمال الاضراب السياسي فوضعوا الحد الفاصل في سير الوثبه. فقررت لجنة طلاب الكليات والمعاهد وكذلك لجنة التعاون الوطني بالتظاهر ومع اطلالة يوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٨. خرج ابناء الشعب العمال الطلاب بجموع غفيرة من مختلف جوانب المدينة للالتقاء في قلب بغداد .. الا ان الرصاص انهمر عليهم هذه المرة بجنون واستمر الزحف متحديا الموت. ومن جانب الكرخ اتجهت الجموع الى الجسر الذي سمي ما بعد بجسر الشهداء تخليدا لذكرى الشهداء الذين سقطوا على هذا الجسر.

استقال على أثر ذلك وفي نفس اليوم رئيس مجلس النواب وعدد من النواب كما استقال وزيران.. فقدم رئيس الوزراء صالح جبر استقالته مرغما وشكلت وزارة جديدة أضطرت الى الغاء المعاهدة والى الوعد باجراء التحقيق في الانتهاكات التي قامت بها الحكومة ازاء جماهير الشعب واطلاق الحريات الدستورية ومنها الافراج عن الصحف المعطلة واخلاء سبيل الموقوفين وحل البرلمان المزيف. فكان هذا النصر ثمرة للنضال الجماهيري وللأساليب المتعددة من الكفاح السياسي والاقتصادي والفكري التي نادى بها وعمل من اجلها الحزب الشيوعي العراقي ودليلا ساطعا على صحة سياسة الحزب (١٨٦).

Digitized by Birzeit University Library

لقد شهدت اشهر انتصار الوثبة نهوضا في الحركة العماليه لم يسبق له مثيل فلقد قام العمال بسلسلة من الاضرابات السياسية والاقتصادية والتضامنية والمظاهرات والاجتماعات (١٨٧).

لقد اضرب عمال النفط في عين زالة لمدة عشرة ايام في اواخر شباط ٤٨ وفاز العمال بمطاليبهم عدا المطلب الرئيسي والنقابة. وفي ٤ نيسان ١٩٤٨ قاد الشيوعيون اضراب ٢٠٠٠ عامل من عمال الميناء والبواخر في الفاو. وفي ٦ نيسان اضرب عمال السفن والكهرباء واسالة الماء وعمال الارصفة في البصرة وانتهى الاضراب في نفس اليوم بعد تلبية جميع المطالب لانه كان يمتاز بالتنظيم والشمول وكان أروع اضرابات سنة ١٩٤٨ التي قادها الشيوعيون اضراب عمال النفط في حديثه (كي ٣) فقد أضرب في حديثه والمحطات الاخرى حوالي ٧٠٠٠ عامل في ٢٣ نيسان ١٩٤٨ وكان المطلب هو الاعتراف بحق التنظيم النقابي (١٨٨) كما تجلى بأجمل وأوثق مظاهر التضامن بين عمال مختلف القوميات العربي، الكردي، الاشوري والارمني.

لقد لعبت جريدة "الاساس" الصحيفة اليومية التي اصدرها الحزب الشيوعي بعد انتصار الوثبة خلال عمرها القصير دورا مجيدا في فضح الدسائس الاستعمارية الرجعية ونشر الوعي الوطني بين الشباب وكل الشعب والوعي الطبقي بين العمال والكادحين ورفعت عاليا راية الجبهة ودافعت بثبات عن حقوق الشعب وحرياته الديمقراطية (١٨٩).

وفي مطلع نيسان ١٩٤٨ جرت انتخابات طلابية في المعاهد والكليات وتم عقد المؤتمر الاول لاول اتحاد طلابي في العراق هو "اتحاد الطلبة العام" وذلك في ٤ نيسان ١٩٤٨ في ساحة السباع في بغداد. وقد تولى الطلاب حراسة مؤتمرهم من اعتداءات البوليس المتوقعة وقد ساندهم بشكل فعال في ذلك فصائل صدامية من العمال الشيوعيين (١٩٠) وبعد بدء الحرب الفلسطينية في ١٥ أيار ١٩٤٨. اعلنت الاحكام العرفية وأخذت تشتد الاجراءات القمعية ضد الشعب بقصد تصفية المكاسب الديمقراطية لوثبة كانون. وفي هذه الاثناء قاد الحزب الشيوعي العراقي مظاهرة جماهيرية صاخبة في الكاظمية بتاريخ ١٧/ايلول/١٩٤٨ مطالبة بالغاء الاحكام العرفية وبالخبز والضرب على ايدي المحتكرين والمتلاعبين بقوت الشعب وانتهت المظاهرة بالقاء القبض على عشرات المواطنين (١٩١).

وفي اواخر عام ١٩٤٨ تلقى الحزب ضربة مزدوجة اذ اعتقل العشرات من كوادره وانهارت بعض العناصر الضعيفة. وفي ٢١/كانون الاول/١٩٤٨ تجمع السجناء في الردهة الكبيرة لسجن الكوت. واعلن الرفيق زكي بسيم فيهم ان ادارة السجن تلقت برقية من بغداد، تطلب تسفيرهم: الرفيق فهد والرفيق حسين محمد الشبيبي "صارم" وهو "لغرض التحقيق" ونهض الرفيق فهد وقال بهدوئه المعروف "سنسافر اليوم يا رفاق وقد لا نلتقي بعد وانتم مسؤولون عن تنظيمكم والدفاع عنه، وعن صيانة جوهركم الثوري".

كانت الحركة الوطنية تعيش انذاك جو انتكاس وكان النظام السعيدي قد عطل الدستور واعلن الاحكام العرفية كان يفعل المستحيل لتثبيت اركانه المهتزة وكان يعد العدة لاغتيال فهد ورفيقيه: تخلصا منهم كقوة حقيقية وارهابا للحركة الوطنية العراقية وقبل هذا وذاك تحطيما، كما توهم - للحزب الشيوعي. وبالاختصار فلقد كان الجو القمعي ملائما لانجاز الجريمة.. في ظله اعيدت محاكمة الرفيق فهد ورفيقيه صوريا أمام محكمة عسكرية وحكم عليهم مجددا بالاعدام.

Digitized by Birzeit University Library

وفي الرابع عشر والخامس عشر من شباط ١٩٤٩ اعتلى الابطال الثلاثة صهوة الموت شيوعيون شجعان أوفياء لقضية حزبهم وشعبهم وشقت اصواتهم صمت بغداد المعذبة الحزينة:

× "الشيوعيه أقوى من الموت واعلى من اعواد المشانق"

× "لو تيسر لي أن أولد من جديد لما اخترت غير هذا الطريق".

× "لي الشرف أن أشنق في هذا المكان الذي تنطلق منه مظاهرات أبناء الشعب" (١٩٢).

واندهش الشاعر: عجبا لاعواد المشانق فوقها يثقل الحقيقة كيف لا تتكسر، وفي اليوم التالي اذاع مدير الشرطة العام بيانا رسميا يعلن فيه ان قادة الحزب الشيوعي العراقي قد اعدموا وان تنظيمه قد أبيد ولم يعد للحزب من أثر أذاع راديو موسكو بالعربية البيان الرسمي من دون تعليق واذاع بعده فورا بيان الحزب الشيوعي العراقي الذي يدل صدوره بعد البيان الرسمي على مدى بطلان ادعاءات الاستعمار بتمكنهم من حل الحزب.. لقد ذهب فهد ولكن افكار فهد كانت حقا اقوى من الموت بقيت تعيش وتنمو وتزدهر مثل البراعم الغضة (١٩٣).

وفي ليلة عشرين شباط ١٩٤٩ وحين باع "يهوذا الاسخريوطي" اسرار الحزب وودائعه للعدو. والى بيت المطبعة السري في القاطر خانه توجهت اجهزة القمع ورموز النظام العميل برمتها لالقاء القبض على الطاقم الشيوعي العامل هناك (١٩٤) كنا ننهمك في عمل يومي دؤوب امام المطبعة القديمة. ننضد بيانات الحزب ونصف حروف "القاعدة" يتصدرها شعار مؤسس حزبنا "قووا تنظيم حزبكم، قووا تنظيم الحركة الوطنية، كنا في سباق مرير مع القمع، نحاول تعويض الخسائر الناجمة عن الضربة التي اصابت الحزب وتقوية معنويات الجماهير والرفاق لكن خيانة المتخاذلين وجهت الى الحزب المثخن بالجراح طعنة أضافية من الخلف. فكان لا بد من اصدار البيانات والنشرات الداخلية المخطوطة باليد وكان اعضاء الحزب يستنسخون مئات النسخ من كل نشرة سياسية أو تنظيمية ويتناقلونها فيما بينهم وينقلونها الى الجماهير.

وفي اب ١٩٤٩ حصل الحزب على آلة رونيو وطابعه فأصدر منشورا داخليا مطبوعا عبر فيه الحزب عن تقديره واعتزازه باعضائه الذين صمدوا أمام الشرطة والجلادين وحافظوا على اسرار الحزب وعلى شرف العضوية اما المنشور الثاني الذي صدر في ١٩٤٩/٨/٢٤ فقد كان بيانا سياسيا موجها الى الشعب حول الوضع السياسي ولاستنكار أعمال القمع والأرهاب ضد الجماهير ودعوة المواطنين على اختلاف عقائدهم وميولهم السياسيه الى شن كفاح موحد ضد الاستعمار وعملائه وقد وزع البيان بنطاق واسع وارسلت كميات كبيرة منه الى سائر انحاء القطر فاستبشر ابناء الشعب عامه والعمال والكادحون خاصة في حين جن جنون العملاء والرجعية فقد كان البيان مفاجئة غير متوقعة بالنسبة لهم فشددوا حملة الارهاب والاعتقال ومداهمة البيوت.

الحزب يصدر جريدته السرية القاعدة

تغلب الحزب على جميع الصعوبات التي كانت تعترض طريقه بجهادية رفاقه وبثبات التقاليد الثورية التي رسخها فهد مؤسس الحزب وثبتها في النظام الداخلي والبرنامج. واعاد أصدار جريدته السرية "القاعدة" مرة ثانية. وكانت طباعة الحزب انذاك بسيطة حتى ان العدد الأول من جريدة القاعدة الصادر في شباط ١٩٥٠ كانت خطية.. وخلال هذه الفترة كان الحزب ينهض من

Digitized by Birzeit University Library

جديد ويواصل اداء رسالته التاريخية في انهاض الحركة الوطنية، بمجموعها ودفعها الى معاودة الهجوم على معاقل المستعمرين والخونة. وقد شعرت بريطانيا بعمق عزلة الحكم في العراق عن الشعب فارتأت ان تقوم في البلاد وزارة جديدة تسير على سياسة التهدئة وجبر الخواطر وتسعى لتحسين علاقات العراق بالدول العربية.." (١٩٥).

وهكذا شكلت وزارة جديدة في كانون الاول ١٩٤٩ انهت الاحكام العرفية واجازت بعض الصحف الوطنية وحزب الجبهة الشعبية كما قرر الحزب الوطني الديمقراطي في ١٩٥٠/٣/٢٥ أن يستأنف نشاطه وهكذا استطاع الشعب ان يجد بعض الوسائل العلنيه التي تستطيع اسماع صوته وتعبر عن طموحاته الوطنية (١٩٦).

بدأت الحركة الاضرابية تنتعش مع انتعاش تنظيمات الحزب الشيوعي وتوطيد كيانه من جديد واستطاع العمال الشيوعيون من تشكيل مكتب النقابات الدائم وفرضه كممثل للعمال وانتعشت الحركة النقابية في سنة ١٩٥١ وتصاعدت الحركة الاضرابية (١٩٧).

اصدرت السلطه الرسمية بيانا في ١٠ كانون الاول ١٩٥١ بغلق المكتب الدائم لمجلس نقابات العمال المؤلف من بعض النقابات على اساس انه غير مجاز قانونا وقررت اجراء التعقيبات القانونية ضد القائمين بأدارته (١٩٨).

وفي اواخر ١٩٥١ ساهم الشيوعيون في قيادة انتفاضة "ال ازيرج" في العمارة، لقد كان اتجاه الحركة الفلاحية الثورية منسجما ومتفقا مع اتجاه الحركة الوطنية في البلاد وتؤلف جزءا مهما منها وكان تعاظمها متناسقا مع تعاظم الحركة الثورية في البلاد وكانت ذات أثر فعال في تعميق التناقضات في المجتمع شبه الاقطاعي وايقاظ الضمير الثوري للجماهير ودفعها للنضال ضد الاستعمار ومطيته الاقطاعية والحكومة العميلة وتهيئة الجو لانتفاضة تشرين ١٩٥٢ (١٩٩) وفي اطار التهيئة لانتفاضة تشرين ١٩٥٢ لعبت جريدة القاعدة دورا كبيرا في الهاب حماس الجماهير الشعبية وتوجيهها فلقد صدر العدد ١٨ في اواخر اذار ١٩٥٢ يحمل على صفحاته الشعارات التحريضية...

اتحدي يا جماهير شعبنا في جبهة وطنية متحدة وناضلي في سبيل توسيع وتعزيز جبهة انصار السلام - اسقاط حكومة السعيد المجرمة اسقاط مجلس كلايتون - الصدر المزيف - اطلاق الحريات الديمقراطية اطلاق سراح السجناء والمبعدين والموقوفين السياسيين الأحرار..

توفير العمل للعاطلين وتوزيع الأرض على الفلاحين - الغاء امتيازات الشركات الاستعمارية وتأميم شركات النفط والتنوير - الغاء معاهدة ١٩٣٠ وجميع المعاهدات والاتفاقات الاستعمارية - احباط المناورات الرامية الى جعل بلادنا قاعدة حربية للمستعمرين وربطها بالتكتلات والمواثيق العدوانية.

وكان المقال الافتتاحي للعدد المذكور.. كتب تحت عنوان "لاجل اسقاط الارهاب والديكتاتورية.. لاجل السلم وخبز الشعب وحقوقه الديمقراطية. وفي مقال آخر اشارت القاعدة الى قرب الانتخابات ودعت الى مقاطعتها وكتبت الشعب تطالب بأطلاق الحريات الديمقراطيه وحرية الانتخابات بجعل الانتخاب مباشر وباشراف حكومة وطنية مخلصة على الانتخابات مع منح المرأة العراقية حقها في الانتخابات (٢٠٠) وكذلك دعت الى النضال من اجل اسقاط الديكتاتورية واسقاط حكومة التجويع والمذابح وتزييف الانتخابات. ولأجل الحريات

Digitized by Birzeit University Library

الديمقراطية وحقوق الشعب الانتخابية. وفي الصفحة الثانية اشارت الى دور الطبقة العاملة في النضال..." مرة اخرى يظهر عمال الشعيبة بأن الطبقة العاملة تسير في طليعة النضال الثوري وفي الصفحة الثالثة.. لجنة تغطية الجرائم.. في حادث المذبحة المروعة بين عمال الميناء وعلى صدر الصفحة السادسة تقرير عن الدور القذر الذي تقوم به سينما الدعاية الامريكية.. قصف شاشة السينما الامريكية بالبيض الفاسد والطين (٢٠١).

وجنبا الى جنب مع السعي لتقوية تنظيمات الحزب. فلقد ساهم الحزب بنشاط أساسي في الجهود من أجل اعادة تشكيل بعض المنظمات الديمقراطية حيث اعيد تنظيم اتحاد الطلبة العام وتشكلت رابطة الدفاع عن حقوق المرأة واتحاد الشبيبة الديمقراطي والجمعيات الفلاحيه وتأسست كذلك حركة السلم العراقيه. وكذلك نتيجة لتنامي الحركة الثورية في الاقطار العربية خاصة في سوريا ومصر.. سلسلة الانقلابات في سوريا.. وأنتصار ثورة ٢٣ يوليو في مصر عام ٥٢.. بالاضافة الى تعميق الازمة الاقتصادية السياسية الاجتماعية الداخلية صاغ الحزب الشيوعي العراقي ميثاقا وطنيا جديدا أقرته اللجنة المركزية في عام ٥٢. مطورا برنامجه السابق في النقاط الاساسية التالية:

١- النضال والتعاون اللاشرطي مع قوى السلم وحرية الشعوب في العالم تحت قيادة الاتحاد السوفييتي من اجل سلم دائم يقوم على الصداقة والتآخي بين الشعوب.

٢- القضاء على نظام الحكم القائم وتحقيق الاستقلال الوطني واقامة حكم جمهوري شعبي يمثل ارادة العمال والفلاحين والجماهير الشعبية.

٣- مصادرة أراضي الاقطاعيين وكبار الملاكين وتوزيعها مع كافة الاراضي الأميرية وبقطع صغيرة وبدون بدل على الفلاحين.

وتلقفت الجماهير شعار اسقاط الملكية وهتفت به اثناء التظاهرات الجماهيرية التي انفجرت على اثر سن الحكومة قانون انتخابات رجعي جديد وفي انتفاضة الشعب في تشرين الثاني ١٩٥٢.(٢٠٢)

ان من الدروس الهامة التي قدمتها انتفاضة تشرين هو ضرورة وجود جبهة وطنية راسخة تستطيع ان تتخذ المواقف الموحدة مهما تغيرت اساليب العدو وضرورة تطوير أساليب الكفاح.. وضرورة كسب الجيش سياسيا وفعلا فلقد كانت الأنتفاضة عاملا اساسيا في تنضيج وانجاح مبادرة الجنود والضباط الشيوعيين لتشكيل اللجنة الوطنية لاتحاد الضباط والجنود في كانون الثاني ١٩٥٥ التي عبأت الجنود والضباط للوقوف صفا واحدا مع الشعب ضد الاستعمار والخونة فكانت البداية لحركة الضباط الأحرار التي فجرت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ (٢٠٣) وفي عدد القاعدة الرقم ٧ في اواسط ايلول ١٩٥٣ كتبت في صدر صفحتها الأولى الشعارات التالية ناضلي يا جماهير شعبنا لاحباط مؤامرة أنقلاب عسكري فاشستي. ناضلي يا جماهير شعبنا للانتقام من سفاكي دماء السجناء السياسيين الأحرار. اتحدي يا جماهير شعبنا في جبهة وطنية للدفاع عن السلم ولأسقاط الحكم الديكتاتوري والغاء الأحكام العرفية ولتحقيق مطالبنا الشعبية العادلة:

وفي المقال الافتتاحي المعنون "الوضع السياسي الحاضر ومهامنا الانية المستعجلة" كتبت القاعدة: لقد اظهرت الحوادث بكل وضوح بانه لم يبق هناك أثر للدستور العراقي والقوانين المحلية التي سنتها الفئة الحاكمة المحلية بوحي من الاستعمار البريطاني في سياسة الوصاية

Digitized by Birzeit University Library

الحاكمة عصابة نوري السعيد وعبد الاله والمدفعي وفيصل الثاني رغم رجعيتها ولم يبق هناك أي أثر لتمسك هذه العصابة بالألتزامات الدولية وميثاق هيئة الامم المتحدة ووثيقة حقوق الأنسان باعتبارها عضوا في هذه الهيئة كما كتبت القاعدة وفي نفس العدد خبرا عن جرائم الديكتاتورية ضد السجناء السياسيين في ١٨ حزيران ١٩٥٣ اقامت حكومة المدفعي - السعيد المجرمة مذبحة مريعة ضد السجناء السياسيين الأحرار في سجن بغداد المركزي وكان عدد القتلى يزيد على العشرين واما الجرحى فلم يستثنى منهم أحد. وفي ١٤ آب ١٩٥٣ أطلقت حكومة المدفعي - السعيد الدموية الرصاص على السجناء السياسيين الأحرار في سجن الكوت فأدى الى قتل اثنين منهم وجرح آخر. وفي الصفحة الخامسة ذكرت خبر تدبير الأنقلاب العسكري الفاشي في ايران من قبل الامريكان بواسطة عصابة الشاه (وزاهدي) كما ذكرت في الصفحة السابعة خبر عن عمال شركة الدخان الأهلية يخوضون اضرابا بطوليا.. (٢٠٤).

وفي العدد الحادي عشر الصادر في اواخر تشرين الثاني عام ١٩٥٣ كتبت القاعدة مقالا بعنوان "النهوض الثوري يتطلب منا استيعاب القوى النضالية من حيث التعبئة والتنظيم والقيادة" جاء فيه:

يمتاز الوضع الحاضر بنهوض ثوري لدى جماهير شعبنا وخاصة العمال والفلاحين والكادحين.. وأضاف ان هذا المد لم ينقطع وان رافقه بعض الفتور بسبب وجود مشاكل ونواقص واخطاء في السياسة التعبوية والتنظيمية - مشيرا الى طابع هذا المد بالطابع العمالي والفلاحي والطلابي بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ حركتنا الوطنية التحررية الديمقراطية. نتيجة انعطاف حزبنا الشيوعي العراقي انعطافا جذريا نحو العمال والفلاحين والكادحين وقد تجلى هذا النهوض الثوري باضرابات عماليه في أخطر مواقع العدو الستراتيجية والاقتصادية والعسكرية في شركة نفط البصرة وعمال السكك الحديدية في بغداد وكذلك في مشاريع محلية كالسجاير والنسيج وتجلى ايضا في المصادمات الفلاحية في القطر والاضرابات الطلابية في جميع انحاء القطر وتقديم العرائض والوفود من أجل حقوقها وأهدافها الوطنية ومن اجل السلم (٢٠٥) وفي العدد الاول من سنة ١٩٥٤ الصادر في اواسط شباط وفي الذكرى الخامسة لاستشهاد الرفيق الخالد فهد وفي المقال الافتتاحي المعنون "فهد - باقي وقائد ومرشد حزبنا جاء فيه ان شرف بناء هذا الحزب - حزبنا الشيوعي العراقي وقع على عاتق فهد ابن الطبقة العاملة العراقية. ابن الشعب العراقي الرفيق الخالد - فهد - وقد انجز هذه المهمة الخطيرة في تاريخ شعبنا بكل أمانه ونكران ذات وتفاني ومنذ ذلك الوقت تحول تاريخ شعبنا ونضاله ضد المستعمرين تحولا جذريا من حيث ضمان استمرارية النضال في كل الاحوال والثقة بالنصر وحتمية اسقاط الاستعمار وطرده من بلادنا (٢٠٦) وفي نفس العدد نشرت القاعدة تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المنعقد في كانون الثاني ١٩٥٤. وقد قسم التقرير الى قسمين:

القسم الاول: يتناول فيه القضايا السياسية والخططية من ناحية تكوين جبهة كفاح وطني ضد الاستعمار والحرب ومن ناحية النضال من أجل تأليف حكومة وطنية ديمقراطية.

والقسم الثاني: يتناول فيه قضايا تخص سياسة الحزب الداخليه من حيث السياسة والشعارات والتنظيم والخطط التعبوية ويعالج فيه القضايا الفكرية ويكشف بصورة مبدعة على ضوء الماركسية - اللينينيه اخطاء وانحراف الحزب (اليساري) وارتباكاته الخططية والتنظيمية

Digitized by Birzeit University Library

والفكرية في سياسة الحزب منذ اعتقال باني وقائد ومرشد حزبنا الرفيق الراحل فهد حتى هذا اليوم. وقد أقرت اللجنة المركزية لحزبنا هذا التقرير واعتبرته أساسا لسياسة ونشاط الحزب وبذلك سجل حزبنا انتصارا عظيما في ميدان السياسة والتنظيم والأيديولوجية ويعتبر هذا التقرير ذو أهمية استثنائية في تاريخ حزبنا وتسجيل رائع لسياسة حزبنا والسير على سياسة بانيه وقائده "فهد" على هدى الماركسية اللينينية.

الهوامش

١٧٢- نفس المصدر ص١٤٢-١٤٤

١٧٣- كتاب وزارة الداخلية الموجهة للادعاء العام

١٧٤- تاريخ الوزارات/مصدر سابق ص١١١

١٧٥- سعاد خيري/مصدر سابق/ص١٤٦

١٧٦- نفس المصدر

١٧٧- تاريخ الوزارات مصدر سابق مجلد ٧ ص٥٤

١٧٨- سعاد خيري، مصدر سابق ص١٦١

١٧٩- جريدة القاعدة العدد ٣ سنه ٥ حزيران ١٩٤٧

١٨٠- الثقافة الجديدة العدد ١٣٢ تموز ١٩٨٩ ص٥٢

١٨١- نفس المصدر ص١٦٤

١٨٢- نفس المصدر ص١٦٥

١٨٣- نفس المصدر.

١٨٤- تاريخ الوزارات المجلد ٧ ص٢١٨

١٨٥- نفس المصدر ص ٢٢٦

١٨٦- سعاد خيري مصدر سابق/ ص١٦٦

١٨٧- نفس المصدر ص١٧٠

١٨٨- الفكر الجديد - عدد ٤٠ مقاله بها، الدين نوري

١٨٩- سعاد خيري، مصدر سابق ص١٧٢

١٩٠- اتحاد الشعب في ١٩٥٩/٣/٣١

١٩١- سعاد خيري مصدر سابق ص٧٤

١٩٢- نفس المصدر ص١٧٧

١٩٣- ث.ج تموز ١٩٨١ ص٥٣،٥٤

١٩٤- سعاد خيري، مصدر سابق ص١٧٨

١٩٥- عميدة المصري، ث.ج آذار ١٩٨٢

١٩٦- اتحاد الشعب ٥٩/٣/٣١. ذكريات بهاء الدين نوري

١٩٧- تاريخ الوزارات مجلد ٨ ص١٣١

١٩٨- سعاد خيري/ مصدر سابق ص١٨٤

١٩٩- نفس المصدر

٢٠٠- تاريخ الوزارات ٨٠ ص٢٣٢

٢٠١- القاعدة عدد ٢٣ سنة ١٠ ايلول ١٩٥٢

٢٠٢- نفس المصدر

٢٠٣- نفس المصدر

٢٠٤- سعاد خيري، مصدر سابق، ص٢٢٣

٢٠٥- من تاريخ الوزارات

٢٠٦- القاعدة عدد اواخر ايام ١٩٥٤

دي كوليار:

الانتفاضة تذكر، بصورة درامية، بضرورة التوصل،

عاجلا، الى حل لمشاكل الشرق الاوسط، بالتفاوض

الجزائر - الوكالات - اعتبر السكرتير العام للامم المتحدة، خافيير بيريز دي كوليار، أن الانتفاضة الشعبية في فلسطين المحتلة التي دخلت شهرها الثامن والعشرين تذكر بصورة درامية ب "ضرورة التوصل عاجلا الى حل بالتفاوض للمشاكل في المنطقة". وذلك في مقابلة نشرتها، مساء ٣/١١ الاحد، صحيفة "آفاق" الجزائرية.

واضاف دي كوليار أن "المجتمع الدولي الزم اسرائيل بضرورة احترام الواجبات التي تفرضها عليها اتفاقية جنيف الرابعة التي اكد مجلس الامن مرارا انها تنطبق على الأراضي المحتلة".

وتابع دي كليار:" ما زلنا نقوم بذلك بالوسائل المتوافرة لدينا وما زلنا، أيضا، نعمل من أجل ان تحترم المعايير الدولية المتعلقة بحقوق الانسان في الاراضي الحتلة".

Digitized by Birzeit University Library

آراء حرة

سقطات في مقال أسعد الأسعد

بقلم حاتم أبو ديه

بقراءة متأنية لمقالة الكاتب أسعد الأسعد تحت عنوان " سقوط الأباطرة " المنشورة في مجلة الكاتب العدد رقم ١١٧، نجد هناك بعض السقطات الواردة في المقالة التي نتمنى على كاتبنا ان لا تكون تعكس توجها فكريا جديدا للكاتب أسعد الأسعد غير الذي عرفناه من خلال كتاباته. فعند قراءة المقال وجدت من الضروري مناقشة بعض هذه السقطات بطريقة الحوار الديمقراطي وليس من باب ردة الفعل السريعة التي تميز سيكولوجية الانسان العربي.

لا شك أن تسارع الأحداث في دول أوروبا الشرقية فاجأ الكثير من الناس المتابعين للأحداث بمختلف توجهاتهم السياسية والأيديولوجية، حتى أن بعض الاحزاب السياسية في الدول النامية لم يكن تصور واضح لها وتفسير ما يجري في أوروبا الشرقية. كما أن هناك عدم وضوح لدى بعض الكتاب فاطلقوا لأنفسهم العنان في التفكير والتفسير، ولا شك أن الاعلام المعادي للاشتراكية - اعلام الدول الغربية والمحلية- أربك كثيرا من الناس بحيث افقدهم قواعد التحليل السياسي المنطقي.

حيث طالعنا كاتبنا أسعد ببعض اسقاطاته في المقالة المشار اليها أعلاه التي تستوجب الرد من كل مخلص لمثل الاشتراكية العلمية، فمثلا يقول كاتبنا العزيز ان ديكتاتورية البروليتاريا لا يمكن أن تكون ديمقراطية، وأن تطلعات الشعوب أساسها الاشتراكية الديمقراطية التي تعتمد على النظريات والمناهج المختلفة بما في ذلك الماركسية اللينينية.

وهنا نلاحظ خلطا واضحا بين الفلسفات المختلفة، نود أن نسأل عن مفهوم الديمقراطية هل يريد تطبيق الديمقراطية البرجوازية؟ ديمقراطية بوش وريغان من قبله اللذين يعطيان لانفسهم الحق في التحكم بمصائر الشعوب والتدخل في شؤونها الداخلية وتنصيب من يروق لهم وتنحية من لا يروق لهم ولو كلف ذلك تدمير دولة بأكملها ازهاق أرواح آلاف البشر كما كان واضحا في دول مختلفة ومنها غرينادا واخيرا بنما، وديمقراطية بوش والادارات الامريكية المتعاقبة التي

Digitized by Birzeit University Library

عانت منها شعوبنا العربية وبالأخص شعبنا الفلسطيني التي لا زالت تتنكر لحقوق هذا الشعب في اقامة دولته المستقلة وتقرير مصيره ولا زالت تمارس الضغوط المباشرة وغير المباشرة عبر عرابيها في المنطقة على م.ت.ف لتتنازل عن مبرر وجودها.

هل معنى الديمقراطية هو اعطاء الحق لمصاصي دماء البشر والحركات الفاشية والعنصرية في تشكيل أحزابهم السياسية التي عانت البشرية من تربعهم على قمة الهرم ودفعت البشرية الخسائر المادية والاقتصادية والبشرية في سبيل كنسهم؟.

والقضية التي تستوجب المناقشة حسب ما ورد في مقال كاتبنا العزيز " ان الاشتراكية الديمقراطية تعتمد على النظريات والمناهج المختلفة بما في ذلك الماركسية اللينينية ".

وهنا اود أن أسأل كاتبنا هل أفلست نظرية الاشتراكية العلمية، ومكوناتها الاقتصاد السياسي الفلسفة المادية بشقيها الديالكتيك والتاريخية، والشيوعية العلمية. ولم تعد تفسيراتها صالحة لحركة المجتمع في هذا الزمن؟ نحن مع الذين يطرحون بأنه كان خطأ في تطبيق النظرية الاشتراكية في المجتمعات الأوروبية الشرقية في مجالات الحياة الأقتصادية والأجتماعية والحزبية ومن هذه الزاوية لا يمكن القاء هذه الأخطاء على عاتق النظرية الاشتراكية العلمية. والذي يجري في دول أوروبا الشرقية وداخل الأحزاب الشيوعية هو الرجوع الى تلك النصوص ومحاولة مواكبتها لظروف المرحلة والعصر. وليس الغاء هذه النصوص. وفي اعتقاد اغلبية المراقبين للاحداث على الساحة الدولية ان البيروسترويكا عمليا هي تخليص للنظم الاشتراكية القائمة من كل التطبيقات الخاطئة وتخليص للنظرية من الجمود الذي وقعت فيه خلال التطبيق ضمن المرحلة التاريخية السابقة ومحاولة اغناء هذه النظرية، ووضع مقدمات راسخة لتطوير الاشتراكية.

وحتى هذا التاريخ لم نسمع الا بوجود تيارين فلسفيين لتفسير العالم هما:- الفلسفة الماركسية اللينينية، والفلسفة المثالية بمختلف تياراتها.

فلا ادري اذا كانت هناك نظريات فلسفية تفسر حركة العالم المادي غير هاتين الفلسفتين، فهل يروج صاحبنا الى النظريات التوفيقية التي هزمت منذ امد طويل؟.

الحقيقة والتي يجب الاعتراف بها ان الامبريالية متقدمة تكنولوجيا واقتصاديا على الدول الاشتراكية نتيجة عدة عوامل منها عدم الاستغلال التام لطاقات الاشتراكية، والتطبيق الخاطىء، وعدم وجود ادارات فعالة للمنشآت الاقتصادية وكذلك عدم خلق روح المنافسة الحقيقية في المجالات العلمية والاقتصادية وعدم توسيع الديمقراطية الاشتراكية وتطبيقها في مختلف مجالات الحياة السياسية والحزبية. مقابل ذلك دفعت الثورة العلمية التكنيكية اقتصاد الدول الامبريالية بخطى سريعة رغم ازماته العميقة، بالاضافة الى استمرار استغلال ثروات الشعوب وعدم التبادل المتكافيء مع الدول النامية والتي اصبحت في الفترة الاخيرة هذه الدول مصدرة للاموال تحت بند فوائد الديون والاموال الموظفة لخدمة هذه الديون.

ولن تستطيع الاشتراكية هزم الامبريالية الا بتجديد نفسها والخروج من ازمتها الحالية والتخلص من جميع الثغرات التي اعترت تطبيقها خلال العقود الماضية، وخلق اقتصاد قوي متقدم تكنولوجيا يستطيع استيعاب كل ما تتوصل اليه مراكز الابحاث بحيث تجد هذه الابحاث مجالا للتطبيق في الاقتصاد الاشتراكي، وكذلك ادارة هذا الاقتصاد بطرق فعالة قادرة على تنمية

Digitized by Birzeit University Library

هذا الاقتصاد بوتائر متسارعة، وكذلك يلبي الحاجات الاستهلاكية لافراد المجتمع الاشتراكي ويرفع من مستوى رفاهية الفرد.

يطرح بعض المحللين والكتاب على ضرورة انسنة الاشتراكية، وهنا يجب التفريق بين النظرية والتطبيق الموجود حاليا " التطبيق الخاطىء " حيث ان ما هو موجود في النظرية لا يمكن الفصل فيه بين الاشتراكية والديمقراطية، ولكن هل هي ديمقراطية الطبقات البرجوازية ام ديمقراطية جميع الطبقات والفئات الكادحة؟ هنا يجب الاعتراف بأنه اعترى المجتمعات الاشتراكية نوع من الاستبدادية الفردية والحزبية، وهذا ما تقطف ثماره هذه الاحزاب حيث الديمقراطية الاشتراكية وترسخها في مختلف ميادين الحياة حسب ما نصت عليه النظرية الاشتراكية العلمية.

ولكن يجب ان لا نذهب الى حد تصوير صورة المجتمعات الاشتراكية في دول اوروبا الشرقية بصور سوداوية وانظمة استبدادية مطلقة. ولكن الحق يجب أن يقال فهناك صفحة مشرقة في تاريخ هذه الانظمة وهناك ثغرات تحاول الاشتراكية التخلص منها، وان لم تكن هناك ديمقراطية نسبية لما توصلت اليه هذه المجتمعات من تقدم في مختلف ميادين الحياة علميا وتقنيا واقتصاديا ولكن هذا التقدم فيما لو استغلت طاقات الاشتراكية بصورة فعالة لتقدمت بوتائر عالية واستطاعت ان تسبق الانظمة الامبريالية في مجال المباراة الاقتصادية.

وهنا تجهد بشكل فاضح في مسألة انسنة الاشتراكية وكأن الاشتراكية في جوهرها لم تكن في السابق انسانية وأنها الآن بحاجة لأنسنة.

حقيقة يعترف بها أغلبية العالم ولا يختلف عليها اثنان.

أولا: ان القضاء على استبداد واستغلال القيصر للدول التي كان يستعمرها ولشعب روسيا نفسه من قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية بقيادة لينين التي أنهت هذا الاستغلال وفضحت مشاريع الامبريالية لتقسيم العالم ونخص بالذكر هنا اتفاقية سايكس - بيكو. وفتحت المجال امام شعوب المستعمرات وحركات تحررها للتخلص من استعمار الدول الامبريالية.

ونعتقد من ان هذا يعكس وجه الاشتراكية الانساني.

ثانيا: مساعدة الشعوب المستعمرة وحركات تحررها للتخلص من كابوس الامبريالية والاسهام في بناء اقتصاد تلك الشعوب وهذا ما لمسته شعوبنا العربية في مساعدات الدول الاشتراكية في أحلك الظروف التي مرت فيها، في الوقت الذي كانت تضغط فيه الدول الامبريالية لاسقاط أنظمة وطنية ومن هذه المساعدات بناء السد العالي ومجمعات الصلب والحديد، وكذلك المنشآت الاقتصادية في مصر وسوريا والعراق وتسليح جيوش بعض الدول العربية، وكذلك المساعدات الثقافية. كل ما سبق ما زال ماثلا للعيان.

أليس هذا يعكس وجه الاشتراكية الانساني؟

ثالثا: ان القضاء على النازية والفاشية التي كانت تهدد العالم بأكمله وتحرير شعوب أوروبا من هذا الوحش المفترس ومساعدة حركات التحرير في بناء دولها في أوروبا الشرقية وجه انساني آخر.

وهذه أمثلة على سبيل المثال لا للحصر على انسانية الاشتراكية.

ان ثقتنا بأن الاشتراكية عندها الامكانية والقدرات للتخلص من جميع الثغرات في البناء

Digitized by Birzeit University Library

الاشتراكي سوف تخرج من أزمتها الحالية أقوى مما كانت عليه، وان الرأسمالية وتحويل اقتصاد تلك الدول الى نمط الاقتصاد الحر ليس هو الطريقة القادرة على اخراج هذه الأنظمة من أزماتها، وهذا ما تدركه بعض الحركات القومية المعارضة للأحزاب الشيوعية في الدول الاشتراكية.

ان الأزمة الحالية بالنسبة لنا كحركة تحرر ومجتمعات عربية تكمن في طريقة التعامل بين تلك الحركات وداخلها، ولا يمكن الخروج من الأزمة الا بانتهاج سياسة التفكير الجديد ونبذ البيروقراطية واشاعة الديمقراطية الحقيقية وتحديد برامجها النضالية على ضوء واقع مجتمعاتنا وآخذين بعين الاعتبار التغيرات الجارية على الساحة الدولية، والاستفادة من تجارب الشعوب والأنظمة في البلدان الأخرى وخاصة دول أوروبا الشرقية.

رد أسعد الأسعد

من حق كاتبنا علينا، أن ننشر رسالته كما وردت الينا، وقد فعلنا ذلك، دون حذف أو تغيير، ومن حقنا أن نرد عليه، ونأمل أن يأخذنا بحلمه.

يقول أبو دية في مقالته، أنه "يتمنى على كاتبنا أسعد أن لا تكون مقالته تعكس توجها فكريا جديدا، غير الذي عرفناه من خلال كتاباته...كذا". هكذا بدأ الكاتب حاتم مقالته، وأود هنا أن أؤكد مخاوف صديقنا، فان ما طرحه أسعد يعكس فعلا توجها فكريا جديدا، ولكن ليس كما يفهمه. وقبل أن أبدأ بالمناقشة، أود أن أشير الى ان ما جرى ويجري في البلدان الاشتراكية، اذا لم ينعكس على توجه فكري جديد لديك، فأنت ياعزيزي تتناقض مع ما تطرحه في سياق ردك على مقالتي، وتطلق العنان لخيالك، يحملك بعيدا، ويحلق بك، في تناقض مع ذاتك قبل أي تناقض آخر.

فصديقنا أبودية يعزو ما جرى من انهيار للأحزاب الشيوعية في البلدان الاشتراكية، الى أخطاء في التطبيق الاشتراكي ليس إلا، ويضيف على شكل تساؤل، هل أفلست نظرية الإشتراكية العلمية ومكوناتها، الإقتصاد السياسي، الفلسفة المادية بشقيها الديالكتيك والتاريخية..الخ . ربما أتفق مع كاتبنا، في أن الأخطاء الفادحة التي ارتكبت في التطبيق، خلقت إنطباعا بأن ما يجري، هو فشل للنظرية، وأنا لا أقول ذلك تماما، ولكني أصر على أن ما يهمنا أن نقيم جرد حساب لمسيرة عمرها أكثر من مئة عام، وفي اعتقادي - وهذا ما قلته في مقالتي تلك وغيرها - أن علينا إعادة النظر في التجربة - فكرا وتطبيقا - بعيدا عن العواطف والتمنيات، وبرأيي أن التجربة زكت مجموعة من الحقائق أوردها كما يلي :-

١- لا أحد يمكنه أن ينكر الإنجازات والمكاسب التي تحققت على يد الإشتراكية، وبرأيي، لا مجال للمفاضلة بين الرأسمالية والإشتراكية، ولست أدري كيف توهم كاتبنا ما توهمه حتى دخل في تنظيره عن أفضلية النظام الاشتراكي، إذ انني لم أقل ما يتناقض وهذا الموقف، فالاشتراكية هي الطريق التي يجب التمسك بها، وعدم التخلي عنها مطلقا، والرأسمالية يا صديقي، لن تكون بحال من الأحوال البديل أو الطريق التي يمكن أن نسلكها، غير أن ذلك، يجب أن لا يمنعنا عن رؤية الوقائع الجديدة، التي دفعت بها التغييرات العاصفة في البلدان الاشتراكية.

فاذا كانت هذه الأحداث، عصفت ببعض الأحزاب الشيوعية الحاكمة، وألفت احتكار بعضها الآخر للسلطة وأجبرت غيرها على تعديل أنظمته ودساتيره التي حكم بها طوال عشرات السنين،

Digitized by Birzeit University Library

فهي لم تفعل ذلك حبا وطواعية، بل نزولا عند رغبة الجماهير، من جهة، ومحاولة منها للمحافظة على بعض وجود لها في السلطة، قبل أن تطيح بها جماهيرها. أما هذه الجماهير، فما كانت لتفعل ما فعلته لو أن الأحزاب الشيوعية الحاكمة، وفرت لها رغباتها، وعبرت عن طموحاتها، وأجابت على تطلعاتها، وقد يكون صحيحا الانخداع ببعض المظاهر الرأسمالية الغربية، لكن الأمر يتعلق بأخطاء ونواقص وممارسات لم يكن لها ما يبررها، تتعلق بأبسط حقوق الانسان، وأعني حرية التعبير، حرية التنقل والسفر، البيروقراطية أكلت ياصديقي من جنوب شعوب البلدان الاشتراكية، مما أدى الى تراكم الفساد في المؤسسات، ونقص فاضح في المواد الاستهلاكية، في بعض الأحيان، لأسباب غير منطقية وغير مبررة، عشرات آلاف الأطنان من المواد الغذائية الأساسية، كانت تفسد في الموانىء، وهي تنتظر قرار تخليصها وشحنها، ولست بصدد الشرح والاسهاب في هذا الموضوع، ومع ذلك، لم يمت أحد من الجوع، ولم ينم أحد في العراء، وكان بوسع الجميع أن يجدوا ما يريدون ويتلقوا العلاج والتعليم والعمل والحاجات الأساسية، ولكن "ليس بالخبز وحده يحيى الانسان"، ثم لماذا تعود لتتحدث عن مقارنة الاشتراكية بالرأسمالية، ما من مجال للمقارنة، ويجب أن تكون الاشتراكية أفضل من الرأسمالية.

٢- أما سؤالك عن ديكتاتورية البروليتاريا، ورفضي لها، فأنا فعلا أرفضها، أرفض الديكتاتورية، حتى لو كانت للبروليتاريا، وان كنت "طالعتك ببعض "اسقاطاتي" في مقالي المشار اليه "كما تقول، مما استوجب ردك - بوصفك أحد المخلصين لمثل الاشتراكية العلمية كما تقول أيضا - فان ما يجب التمسك به فقط، ما يتعلق بالمنهج العام للماركسية، بالمنهج الجدلي، وما عدا ذلك فلست أرى ضرورة للتمسك به.

اما تساؤلك عما إذا كنت أدعو بذلك الى تطبيق ديمقراطية بوش وريغان..الخ، فذلك أمر يثير الضحك حقا، فأنا أطالب بديمقراطية لا تجبرني على تغيير اسمي من أسعد الى "سعدانوف"، أطالب بسلطة منتخبة من الشعب، وليست مفروضة عليه، أنا لست مع ديمقراطية بوش وريغان، ولكني أيضا، لست مع احتكار الأحزاب الشيوعية للسلطة، ولست مع الديكتاتورية، حتى وان كانت ديكتاتورية البروليتاريا كما قلت سابقا، أما الصفحات المشرقة في تاريخ الأحزاب الشيوعية التي حكمت في البلدان الاشتراكية، فأنا أؤكد عليها، وهي صفحات تستحق التقدير والاحترام، ولكن رؤيتنا لهذه الصفحات المشرقة، يجب أن لا تحول دون رؤيتنا لصفحات أخرى سوداوية، شرط ان ننظر الى الأمر بموضوعية، وبدون إجحاف. وأما البيرسترويكا، فهي قضية تعني أصدقاءنا السوفييت في المقام الأول، ونتمنى أن تكلل مساعيهم بالنجاح، للخروج من أزمتهم، وتصحيح ما أفسده التطبيق غير الصحيح للاشتراكية في بلادهم.

أما وجهة نظري فهي مع الاشتراكية الديمقراطية، التي تعتمد المنهج الجدلي، وتغتني بالتراث الانساني،لاقامة مجتمع التقدم والعدالة الاجتماعية، من أجل رفاهية الانسان، بغض النظر عن إنتمائه الطبقي، فان كنت ترى ياصديقي في ذلك الفكر سقطات، فهي بلا شك "سقطاتي"، وأنا فخور بها، فحذار من السقوط فيها.

وعند مناقشتك لبعض هذه السقطات، لا أدري إن كنت إلتزمت بطريقة الحوار الديمقراطي الذي أشرت اليه، أم أنك وقعت في محظور "ردة الفعل السريعة التي تميز سيكولوجية الانسان العربي، حسب تعبيرك" ولعلك آثرت التمسك بموروث الانسان العربي السيكولوجي، رغم أني لا

Digitized by Birzeit University Library

أتفق معك في ذلك.

ولا أدري، أي حوار ديمقراطي هذا الذي تطلبه، وتخرقه في الأسطر الأولى لمقالتك حين تتهم الآخرين بعدم وضوح الرؤية لديهم، وتبرىء نفسك - بالطبع - من ذلك، ثم توغل في - حوارك الديمقراطي - لتتهم الآخرين بأنهم يطالبون بديمقراطية "تعطي الحق لمصاصي الدماء والحركات الفاشية والعنصرية في تشكيل أحزابهم السياسية"، ولست أدري أين قرأت ذلك، وعلى لسان من ؟.مما يدفعني إلى مقولة لك في الأسطر الأولى تقول فيها "إن هناك عدم وضوح لدى بعض الكتاب، فأطلقوا لأنفسهم العنان في التفكير والتفسير "، ترى من أطلق لنفسه العنان في التفكير والتفسير، أنا أم أنت ياعزيزي حاتم ؟

ثم ألا ترى معي بأنك لو كنت تقول قبل سنة من الآن، أن هناك خطأ في تطبيق النظرية الاشتراكية،لاتهمك الكثيرون بأنك منحرف، أما وقد قالها زعماء الأحزاب الشيوعية الحاكمة، وعلى رأسهم الزعيم السوفييتي غورباتشوف، صار ذلك مباحا، فقد اتهمت الأحزاب الشيوعية في أوروبا الغربية بالانحراف يوما، لأنها إجتهدت بما يتعارض وسياسة الحزب الشيوعي السوفييتي، أليس كذلك ياصديقي؟ ثم، تعود لتؤكد نفس النهج السابق، حين تلحق بالمطبلين المزمرين للبيريسترويكا، وبأنها البلسم الشافي للأمراض التي أصيبت بها النظم الاشتراكية القائمة، ترى ماذا ستقول، اذا فشلت البيريسترويكا، وطار غورباتشوف وجاء من يخطّىء غورباتشوف، وينتقد البيروسترويكا، هل ستقول لي، كان خطأ، أم ستصمت كما فعلت حين اعترفوا بخطأهم في أفغانستان، وربيع براغ وغيرهما؟!.

فهناك من يعتبر البيروسترويكا سبب الانهيار الذي حدث، برغم كل ما حملت من تغيير وتوجه جديد، اذ ان بعض الشيوعيين يرون انه كان بالامكان أن لا يتم إعادة البناء من الصفر، وهناك من يعتبر أن غورباتشوف هدم أو أنه في طريقه الى هدم كل شيء، واعادة بناء شيء جديد، فيه بعض الملامح والمرتكزات من القديم، ليس إلا، أما أنا فأقول،هل المطلوب منك أن تبصم فقط، أم أن من حقك أيضا أن تعمل فكرك وتجتهد؟! وحتى لو أخطأت، فغيرك أخطأ وها أنت تبرر له، لماذا لا تكون لك مدرستك واجتهادك المرتكز أساسا على موروثك الوطني والقومي والانساني الخاص، والاستفادة بالقدر الذي تسمح لك ظروفك - من الفكر الاشتراكي ومنهجه العام؟!

نحن ياصديقي حركة تحرر وطني، خلصني من الاحتلال أولا، ثم اترك لشعبي حرية اختيار النظام الذي يرى فيه سعادته ورفاهيته، واعلم بأننا ونحن نسعى الى هدفنا، ندرك تماما، عداءنا للامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية، وندرك أيضا، تحالفنا مع أصدقائنا وعلى رأسهم الاتحاد السوفييتي، طالما بقي على تحالفه معنا.

Digitized by Birzeit University Library

من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة

د. محمد شحادة

" ان أول ما يكتبه الإنسان، أو ما يجب أن يكتبه، هو عن حياته الخاصة، عن تجربته..."

حنا مينه

(٢)

ظواهر جديدة في الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال:

طرأت على التركيبة الاقتصادية-الإجتماعية للضفة الغربية وقطاع غزة، خلال العشرين سنة الماضية ويزيد من عمر الاحتلال، تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، استوجبت عددا من الظواهر الجديدة في حياة المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال، أفرزها واقع الاحتلال ذاته، بكل أدواته ومؤسساته القمعية وقوانين اضطهاده، وواقع المواجهة الفلسطينية اليومية الشجاعة، لأدوات القمع والاضطهاد، وكفاح الجماهير الفلسطينية المتواصل والمتصاعد ضد الاحتلال، من أجل إزاحة الاحتلال الإسرائيلي الغاشم، الجاثم على صدر الأرض العربية الفلسطينية، في سبيل حقها في تقرير المصير، ومن أجل نيل الحرية والفوز بالاستقلال الوطني، واقامة الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلة. وقد وجدت تلك الظواهر المشار اليها تعبيرا عنها في القصيدة الفلسطينية، التي واكبت تطور القضية الفلسطينية، فأرّخت للقضية، وسجّلت للظواهر الجديدة، التي برزت في حياة المجتمع الفلسطيني، وبالتالي في حياة الشعب الفلسطيني اليومية، واستوجبها كما ذكرنا قبل قليل، وأفرزها عاملان أساسيان، تمثل أولهما في واقع الاحتلال، وثانيهما في المواجهة اليومية، مع الاحتلال العاتي والبغيض.

وسوف نسجل لجملة من تلك الظواهر الجديدة، بنماذج شعرية فلسطينية جسّدت هذه الظواهر، وتعرض لها عدد من شعراء الأرض المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) في أشعارهم. تلك النماذج التي قرأناها بتأن وروية، واستخلصنا منها الظواهر الجديدة، التي سنختتم بها هذه الدراسة.

Digitized by Birzeit University Library

الأرض

" إن صلة الانسان بأرضه لم تظهر، في الشعر العربي كله، بشكل اكثر بهاء وعمقا، من ظهورها في نتاج شعراء الأرض المحتلة. لم تعد الأرض كوخا أو حانوتا، لم تعد صلة الانسان بها، كصلة بمكان مجرد. الأرض في هذا الشعر هي الوجه الآخر للشخص. هي امتداده الكياني وجزؤه المكمل الآخر." (٦٤) ويقول الناقد الفلسطيني عادل الأسطة، أن الشاعر علي الخليلي، يحاول الاتحاد بالأرض، ويعتبر ان الانسان مركز الحياة فيها:/كان يلوح يلوح/ويحزن بين مصابيح الدور/ ويلثغ في الماء، عن الماء عن العربات/الفولاذية/والأسماء/الحركية/والعلم الوطني المطوي بحبة قلب/أو في شق تحت السور/... ها هي ثنائية الأرض والانسان عند شعرائنا، حيث التوحد مع الارض الفلسطينية تحت العلم والنشيدالفلسطينيين. والانسان يصادر حين تصادر أرضه، كما في قصيدة الأرض لعلي الخليلي، أيضا:/... أنا شاهد المذبحة/وشهيد الخريطة/ أو حين يقول:/ ... فيا وطن الأنبياء ...تكامل/ يا وطن الزراعين تكامل/ ويا وطن الشهداء تكامل/ويا وطن الضائعين .. تكامل(٦٥). أما الناقد حسين البرغوثي فيقول، ان علي الخليلي لديه حلم واحد هو الاتحاد بالارض، فالارض موجودة في داخله، ولذلك فهو يملك أن يسترد منها رائحة الأعشاب ويملك أن ينشرها، يملك أن يسترد رائحة الأرض، وينشرها، ويخاطب زهر البستان ومخيلة الانسان، ويده هي البيدر، بمعنى انها جزء من الارض، وهو القابض على الحياة، يعطيها للأرض، ملتصق ومكتمل بها، والانسان مركز الحياة في الارض. إنه يجعل من ايمانه بالوطن علامة نبوته، لكونه مركز الحياة، والمؤمن بالفقراء والسرو الحزين، وسيفوز بنفسة (بالداخل) وبالخارج (الأرض) يقول:/واوقظ الجبال/وعلامتي آمنت بالبلد الأمين/بغصة الفقراء والسرو الحزين ../" فوز بالداخل وبالخارج والذي يجيش بالحشا/يبوح بالأسرار/.(٦٦)

ويرتبط الانسان الفلسطيني بالارض ارتباطا وثيقا، يفوق أي ارتباط عند أي انسان آخر. وذلك عائد بالدرجة الأولى إلى خصوصية التجربة الفلسطينية ذاتها، فهي تجربة قاسية ومرة، تجمع في اطار واحد معاني النفي وذكريات الطفولة ومرارة الواقع الجاثم أمام الناظر على هيئة" مخيم "...، لقد فقد الفلسطيني أرضه وبيته قسرا، فتوزع في مناطق شتى من العالم الواسع حاملا ذكرياته المعنوية والمادية، ولم يفرط الانسان الفلسطيني بأرضه وحملها حفنة من التراب في " صرة " بجيبه. فالأرض عنده تساوي الحياة.(٦٧) وها هو الشاعر توفيق الحاج يقول في قصيدة" أغنية الرجال ":/في أتاح الزهر/يسكن ألف معنى/لاحتضان الأرض جرحك/لبقاء الأرض حبلى بالعطاء/ويظل الدفء يملاء راحتيك .../.." يازريف الطول "/فوق هذي الأرض تبقى/ويضم الطين جذرك/فوق هذي الأرض ... ترتجف أعتزازا/وبذور الامنيات بصدرك المنقوع حزنا/تكتسي ذرات صبر سرمدي/حين تشتم من اللوز المحبة/حين يأخذك العناق السنبلي/لحضن كرمة/.(٦٨)

وتظل الأرض هي الخد الحاني، ويظل الفلسطيني أصابع ولهى عاشقة. إن القصيدة الفلسطينية تلتصق بالأرض، فتصير خميرتها، ويصير الشاعر حراثا متشقق القدمين والكفين، وهو يرفض الرحيل حين يصبح زراعا يحلم بالمطر والقمح، وممتلئا بالعشب والتراب، يغني حزينا، واعيا حزنه أمام الذين رحلوا، وها هو الشاعر، أسعد الأسعد، يقول في قصيدة" أغنية الحصادين ": رحلوا/تركوني مسبيا/فوق بيادر قريتنا/أجمع حبات القمح/وانتظر الآتي/أخباري تعرفها/مازلت

Digitized by Birzeit University Library

أقاوم/طير الرخ/يحاول سلب البيدر/زينب حلفت/الا تذبح فرختها/إلا في يوم لقاء أحبتها/والفرخة تكبر./(٦٩) ولا ينسى الشاعر أسعد الأسعد أن يؤكد جذور شعبه عميقة في هذه الأرض، فليس ثمة قوة من قوى الشر قادرة على اقتلاعها، فالأرض رمز البقاء، يقول في قصيدة " مطر ":/ أنا وأنت ها هنا/من ألف عام/نواصل السهر/نعد حبات المطر/على سطوح بيتنا العتيق/نلملم الظلال والزهر/نعانق الرياح...(٧٠)

ويؤكد الشاعر محمد شحادة جدلية وحدة الأرض والانسان، ويؤكد ارتباطه السرمدي بالأرض، فيقول في قصيدة "نكون":/نبقى هنا/في أرضنا/نحادث الشجر/ونحكي أغنيات الريح والمطر/نبقى هنا/نعانق الصباح/نضم الزهور باقات/ونزرع الأقاح/..(٧١)

كما يلتحم الشاعر بالأرض بعاطفة خالصة، فحياته يؤمن أنها جزء من وجودها، انه يتحد بالأرض:/هذه الأرض ذاكرة البوصلة/تحتسي خمرة الصمت/والزلزلة/شكلها .. برقها/نومها يقرأ الرعد ... والشعر/يمنح أحلامه قنبلة/بثينه/بثينه/حبك عندي عبادة/وأنت أمامي/ترفرف حولي طيور السعادة/فنامي/لأجلك روحي عطاء/وقلبي وسادة./(٧٢)

إن الأرض هي كل القوى المسحوقة والمضطهدة، وهي مخزون ضخم يتجاوز ذاكرة الشاعر، وهو الذي يلتصق بها، انتماءه الطبقي إلى الفلاحين، الى انتماء شامل للجماهير الكادحة من عمال وفلاحين، ضمن معاناة مستمرة ومتوهجة، كأنما تذوب " الذات " كليا في " الأرض ". يقول الشاعر وليد الهليس، في قصيدة " كتابة على جدران المقبرة ":/ وحين تشجرت حولي/وأرخيت نصف غدير من الشعر فوق ذهولي/بكيت/تشابك في الذهن لون التراب/وطعم غريب طفولي.../.(٧٣)

الشعر الشعبي/الزجل

يعتز الشعب العربي الفلسطيني بالزجل الشعبي بجميع فروعه، في شتى المناسبات الحياتية والوطنية، فقد تعشقه شعبنا وحفظه وصار يردده في حفلاته واحتفالاته، حتى أصبحت الميجانا والعتابا جزءا من كيانه، ونبضة خفاقة من نبضات قلبه. (٧٤) يقول الشاعر توفيق الحاج في قصيدة " مغدوشة ":/يا قرية فوق جبل الهموم مزروعة/ يا موحدة لرفاق وحشايا موجوعة/يا كاتبة التاريخ من أولو وجديد/عاش الفلسطيني البطل/والراس مرفوعة/،/بوسة لكل جبين في الخنادق صد/رش القنابل مطر ولكل حاقد حد/بوسة لهلأشبال والنصرة في ايدهم/رد المناضل عدل/عالباغي والمرتد/....(٧٥).

إن دور الشعر الشعبي في حياة فلسطين دور بارز جدا، وقد وضعت سلطات الاحتلال عددا من الزجالين والشعراء الشعبيين في السجن، وطلبت اليهم عدم التغني بفلسطين وبمنظمة التحرير الفلسطينية. لكن الكلمة تفعل أكثر من فعل النار وتستطيع أن تخترق الحصار. ان الشعر الشعبي في الأرض المحتلة لم يكف أبدا عن القيام بدورة في المقاومة، مستخدما كافة الوسائل، التي يستطيع الذكاء الشعبي تجنيدها ليجعل منها سلاحا وقت الحاجة. إن زج الشعراء الشعبيين في السجون انما هو محاولة للوقوف في وجه زجلياتهم، وآلاف من المواويل والعتابا والميجانا، التي يزرعونها في طول الأرض المحتلة وعرضها ضد الاحتلال وحكمة. ولكن البطش لا يستطيع

Digitized by Birzeit University Library

أن يجبر الشعر والشعراء على الصمت، فالشعر الشعبي يفرّخ في البراري والبيوت والأعراس، انه نتاج جماعي يتطور كلما انتقل من لسان إلى آخر.(٧٦) إن الأدب الشعبي يعكس فكر الجماعة ونفسيتها وعواطفها، وهو لذلك يبقى قريبا إلى كل الفئات، تفهمه وتتفاعل معه.(٧٧) لقد عانى الزجال الشعبي الفلسطيني المعروف، راجح السلفيتي، من عسف السلطتين، الأردنية والاسرائيلية، فقد اعتقلته السلطات الاسرائيلية عام ١٩٧٤، وما زالت تعتقله في أكثر من مناسبة، وقد انتخب السلفيتي في عضوية بلدية سلفيت، في عام ١٩٧٦. ويقول الشاعر الفلسطيني، سميح القاسم، في تقديمة لمجموعة راجح السلفيتي الزجلية: ان اسم راجح السلفيتي مرادف لمعاني الكفاح الشعبي ضد الظلم والغبن القومي والاجتماعي، انه شاعر شعبي ملتزم واكب كلماته الحارة الصادقة، كفاح حار وصادق ضد الاحتلال وضد القمع العنصري والاستغلال الطبقي، ويلعب شعره الشعبي دورا هاما في معركة شعبه التحررية على الصعيدين القومي والاجتماعي. فشعره ليس مجرد شاهد على الأحداث، ولم يكتف بتسجيلها، وانما شارك في صنعها وتعميق مجراها وتحديد مسارها.(٧٨) فتعالوا بنا نستمع إلى راجح السلفيتي، يقول من قصيدة " إسمي عربي فلسطيني "،/بسما بأرض بحر بفي/بغير إسمي لا تسميني/مقيد مطلق ميت حي/إسمي عربي فلسطيني/عامل بنا أو فلاح/ مهندس أو طبيب جراح/ثائر وتحت السلاح/وفي أي موقع كفاح/ريشه في مهب الرياح/مالعيشة ما بترضيني/وين ما أقداري تودّيني/بهتف إسمي فلسطيني/.../عامل محجر أو حداد/طاع لي الصخر والبولاد/ما خلقتش للاستعباد/هدفي تحرير البلاد/ونحيا بوطنا أسياد/ما في قوة بتثنيني/باكل الدنيا اعرفيني/ثائر عربي فلسطيني.(٧٩)

ويحتل شعرنا الشعبي مكانة بارزة بين أنواع الابداع الأدبي الشعبي في المجتمع، ولعل ارتباطه بالغناء، والمناسبات العامة والخاصة، التي تحتفل بها الجماهير الشعبية، ومسايرته لتطورات الحياة المتلاحقة، كان له الأثر الأكبر في ازدهاره وانتشاره واحتفاظ المجتمع به وحفظه وترديده في الأغاني كلما دعت الحاجة إلى ذلك. إن الشعر الشعبي يستمد أصالته من ملاحقته لواقع الجماهير الشعبية، يعبر عن همومها وتطلعاتها ويسجل لانتصاراتها.(٨٠) فمن دفتر الشعر الشعبي الفلسطيني، هذه قصيدة " على دلعونا للسطة الوطنية " للشاعر محمد شحادة، التي قالها، حين اعتلى ياسر عرفات، في ١٣ تشرين الثاني من العام ١٩٧٤، منبر الأمم المتحدة، والقى كلمته المعروفة، واسمع صوت القضية الوطنية للشعب الفلسطيني للعالم، يقول:/الدنيا نملاها شموع وغناني/والعالم لفلسطين يبعث تهاني/تهنى يا شعبي يا وطاني/وغني للدنيا على دلعونا/../ ما بتحلى الدبكة ولا الغنية/إلا بتحرير الأرض العربية/وما بنسى الضفة وغزة الأبية/القدس ديرتنا ونور العيونا/../ ياسر ع الأمم رفع علمنا/وفي دار الأمم زرع قدمنا/وبقلب العالم يبقى علمنا/بظل البارودة وغصن الزيتونا .(٨١)

نقد الأنظمة العربية ومهاجمتها

لقد ظل أسلوب المتاجرة بالقضية الفلسطينية، والمزاودة عليها في كل مرة، فتاريخ التآمر على القضية الوطنية للشعب الفلسطيني، يعيد نفسه مليون مرة، فما زال شعب فلسطين بالنسبة للأنظمة العربية، تلك الدمية العجيبة والحزينة، التي يستعملونها للتسول، والشاعر الفلسطيني يحرض على الأنظمة، ينقدها ويهاجمها، انها عنده، تلك الأنظمة المتآمرة والمرتبطة

Digitized by Birzeit University Library

بالامبريالية.(٨٢) ان الأنظمة العربية المتهالكة غير مرشحة لدرء الهجمة الامبريالية، تلك الأنظمة لا تملك غير الأناشيد الجوفاء المحشوة بتمجيد السلطان والتسبيح بحمده. ان الشاعر ينتقد هذه الانظمة ويهاجمها، انه يراها لاهية، منصرفة عن المعركة الحقيقية، ولكنه، اي الشاعر، في الوقت ذاته، لا ييأس، فانه يبصر روح شعبه حية متوثبة:/أين نفطك يا أمتي؟/والدرر/أين بردي اليماني؟/وخيل مضر/اين وجهك؟/اين قبور التتر؟/.../هو.../عندما فتشوا دمه../وجدوه/كان يحرس شمسا...وبعض الصور/كان ما كان../لكنه أطلق الروح قنبلة/فانتصر/عندما فتشوا عن هويته/وجدوا عمره فاق حصو الثرى/وجذور الشجر/...(٨٣)وينتقد الشاعر خليل توما مواقف الأنظمة العربية من القضية الوطنية للشعب الفلسطيني، فيقول في قصيدة " صور متحركة ":/ وفوق ترابك المسروق يا وطني/خيول الفرس والافرنج قد عادت/لتذبحني/وأفعى الشك والتضليل قد عادت/ترش السم من أسوان لليمن/(٨٤). أما الشاعر اسعد الاسعد، فيقول من قصيدة "خذي لحمي إسفلتا "/سقطت عواصمهم على اعتاب بيروت/وما بقيت سوى اليونان واليمن/سلاطين عشش القيء في عباءتهم/واستوزر القواد والعفن/.../ومخافر التفتيش مثل النفط وأكثر/والعدل شيمتهم/فلكل مواطن مخفر./.(٨٥) ويقول الشاعر توفيق الحاج في نقده الأنظمة العربية، المتأمرة على القضية الفلسطينية، من قصيدة " الغجر والوجوه المهترئة "وقصيدة " سطور على جدار المرارة " على التوالي:/يا سادة الهزل الرفيع من المحيط إلى الخليج/من يأتني منكم وأنتم../..تحلمون../وتحلمون../وتحلمون/أن تخلفوا رهط أميه/ويحل جهلكم... القضية/بابتهالات وقمة/.../من يأتني منكم وانتم/تملأون الأرض .. عارا.(٨٦)/جاءتنا الأخبار الخجلى/من صدر الشام المتفرج/والنيل المنكفىء .. جهارا/التتر يحزون الأعناق/والسطوة توغل في الأعماق/وشيوخ الحكمة يقتتلون بقرب فناجين القهوة/ماذا عن نخوة مولانا/هذا المتسكع فوق جماجم اخوتنا/وصلتنا الأكفان../فشكرا للعطف النجدي القادم/ليتم مراسيم الدفن/في هذا الليل المتأخر/مرحى../مرحى../امراء القمة ينتحلون لخور الهمة../اعذارا/.../(٨٧).

وينتقد الشاعر فوزي البكري بلا حدود الأنظمة العربية من خلال دورها تجاه القضية الفلسطينية، ذلك الدور المتراوح بين التواطؤ والقتل، يقول من قصيدة " هل يسقط بيت المقدس ":/عاصمة العباسيين/على بعد/قبل قليل كان مفاعلها ينهار/عاصمة الأمويين/مدافعها تنسحب إلى الخلف/وأقطاب الحرب تولي الأدبار/آه .. حين يكون النفط إلها/وحجيج الباكستان جياع/ونبي النفط الأعظم/في مكة/يستورد من ايران الكافيار./.(٨٨) وفي قصيدته " صعلوك من القدس القديمة " ينتقد فوزي البكري، دور الأنظمة العربية في إرسال " أموال الصمود " إلى الأراضي المحتلة، هذه الأموال، التي تخدم في المحصلة النهائية أذناب تلك الأنظمة، حيث تصب في جيوبهم، ولا تراها جماهير الأرض المحتلة الكادحة، ان هذه الأموال لا تهدف كما يقال، إلى تعزيز صمود الأهل، يقول:/سبحان النكبة/سبحان النكبة/سبحان الدعم المبعوث صمودا/في جيب " المبعوص "/نقودا/...(٨٩).

تجسيد الهوية الوطنية ورفع راية التحرر الوطني

ويكمن في صدر الشاعر الفلسطيني غضب ساطع، ولهيب كفاح، فهو يناضل مع شعبه البطل في سبيل طلوع الشمس، وتجسيد الهوية الوطنية الفلسطينية، وحمايتها من الضياع، وازاحة

Digitized by Birzeit University Library

الاحتلال الذي يقف عقبة في سبيل احقاق الحقوق الوطنية، وفي طريق التحولات الثورية والاجتماعية، انه كفاح شعراء الأرض المحتلة، من أجل الحرية والتقدم والتحرر والاستقلال الوطني. فهذا خليل توما في قصيدة " أصوات " يخاطب المحتلين بقوله:/أن من يحتل شعبا/ما به خير لشعبه/والذي يهدم بيتا/يرتفع سدا بدربه../.(٩٠) ان الشاعر الفلسطيني، شاعر الأرض المحتلة، يتعلق بوطنه، ويحرص على هويته الوطنية، فهذا علي الخليلي يقول في قصيدته " للزورق نهر، للغصن شجرة ":/ها وجه فلسطين يطالع في الردم منارات الرحلة/يا رمحا يخرج من عنت الميقات المستقبل/يا طقس العالم/يطأ السفاحون لبناتك الأولى/تتكسر في الصدر نصال ونصال/من يمنع عنهم رقعة أرض ريانه/من يغلق رمانه/حجرا حجرا.(٩١).

التجديد

ان الشاعر الفلسطيني، شاعر يتجدد في شعره، ودلالة التجديد الأولى في الشعر، هي طاقة التغيير التي يمارسها الشعر بالنسبة إلى ما قبله وما بعده، أي طاقة الخروج على الماضي، من جهة، وطاقة احتضان المستقبل من جهة ثانية.(٩٢) إن الفلسطيني ينتفض خارجا من غيابته إلى موقع جديد، فلنستمع الى ما يقوله الشاعر خليل توما، من قصيدة " العودة الى القمة ":فلتصفي ايتها الأرض/ولتحني قامتها الزرقاء سماء الدنيا/فأنا أتكلم/عدت من الغربة/من أدغال القارات الموبوءة/من تحت حطام العربات اللاتي/انزلقت من قمم الرفض الى الوديان/قافلة مرت يوما وأنا في البئر/كانت أنفاسي توشك أن تغرق/كانت كلماتي تتلاشى، تتلاشى/فانتشلتني/عدت وفي صدري خارطة/عدت وفي جيبي أشرعة انشرها للريح./.(٩٣).

وهذا هو التجديد في شعر راجح السلفيتي:/شو اسوي بقلبي يا رب/بدربي فتح عينه وحب/وما بدو الا هالشب/اللي بكتفه بندقية./.(٩٤) ان شعراء الأرض المحتلة وهم يعانون وطأة الهزيمة، وثقل الاحتلال، لا يلبثون حتى ينكصوا الى الماضي، لعلهم يجدون فيه العزاء، ويستمدون القوة، للوقوف في وجه الاحباط، كما يقول د. جمال سلسع في قصيدته "راية جعفر تورق دربا ":/في مؤته/راية جعفر كانت تورق أملا/كانت تزهر إيمانا/كانت ترسم للشمس مدارا آخر أقصر/كانت تصنع إنسانا/أقوى من هول العصف/ وعصف الهول/.(٩٥).

الجسور

لم تغلق سلطات الاحتلال الاسرائيلي الضفة الغربية وقطاع غزة، امام سكانها على البلدان العربية، بل أبقت ولأغراض اقتصادية تتمثل في الأموال الضخمة التي تصب في جيب الاحتلال من وراء استخدام سياسة " الجسور المفتوحة "، أبقت عليها مفتوحة، ويتعرض الفلسطينيون على جسري دامية والملك حسين على نهر الأردن، اثناء مغادرتهم الأرض المحتلة، أو عودتهم اليها، إلى القهر والاذلال والتفتيش المخزي حتى حد " التعرية من كامل اللباس " وفحص حتى الأحذية. وقد وجدت هذه الظاهرة، التي تعتبرها السلطات من إحدى نعم احتلالها في الأرض المحتلة، وجدت تعبيرا لها، عند شعراء الضفة والقطاع. وها هي الشاعرة الفلسطينية الكبيرة فدوى طوقان، تقول:/وقفتي بالجسر أستجدي العبور/آه أستجدي العبور/..وفي قصيدة " انتظار على الجسر " حيث يقف الفلسطينيون في صفوف طويلة، في انتظار السماح لهم بالعودة إلى أرضهم، تقول فدوى طوقان:/.../ليالي واقفة، ضفة النهر عطشى/ونحن على الجسر - عيني وقلبي وأذني

Digitized by Birzeit University Library

-/على الجسر نحن عطاش عطاش/ولكنما الأردن اليوم يلجمه الليل، لا يتدفق/لكنما الأردن اليوم ليس يغني/...(٩٦) وفي التعبير عن هذه الظاهرة، يقول الشاعر فوزي البكري، من قصيدة "آهات لا تحمل معنى الحسرة ":/آه .. ما أقسى الفرحة/حين يكون الوطن/حروفا عجماء/فوق تصاريح الزوار/..(٩٧) أما الشاعر محمد شحادة فيثور على هذا الوضع على الجسور، ذلك الوضع الذي يجعلك تظل تدور في دوامة الخروج والعودة والانتظار، فيقول من قصيدة " أقوى من الجلاد ":/.../صوبوا نحوى آلاف البنادق/وقالوا أنت مارق/ناقم أنت على خفض الأجور/ثائر أنت على وضع الجسور/فلماذا لا تغادر/اترك الأرض وهاجر؟..؟لن اغادر/لن اهاجر/يا غزاة فقدوا حتى الضمائر/سلبوني كل شيء/غير أخلاقي/وإصراري المكابر/ويلكم من غضبة الشعب/فان الشعب ثائر./.(٩٨).

المعاناة

ويؤكد شاعر الأرض المحتلة ضرورة التضحية والبذل والعطاء، ففي قصيدته " المهرثمين "، يقول الشاعر الفلسطيني، سميح فرح، شاعر المعاناة والألم الذي لا يحمل معنى الحزن، شاعر المخيم وابن المخيم، شاعر الهم الفلسطيني، يقول متمثلا معاناة شعبه العربي الفلسطيني:/أصوات الزيف تموت .. تموت/والحب يصير عواصف/فوق التل الأخضر يولد/يكبر تحت جناح الليل/../لكن البركان/ينفتح .. يتأجج .. يعلو/يلثم فاه الشمس/الموسم خصب والريح شديد/ويزف عريس يتبعه ألف عريس ../ثم يقول:/يا هذا الساكن فوق جباه الأحزان/أن تعشق هذا الدرب فتغني/كلمات تجمع اشلاء الجسد المبتور/أمواج البحر العالي/فالمهرثمين/...(٩٩) ويتمثل الشاعر الغزاوي توفيق الحاج، معاناة شعبة في شتى بقاع الأرض، على إيدي مضطهديه، في مخيماته في لبنان، في الأردن وفي الشتات، يقول من قصيدته " سطور على جدار المرارة ":/ما بين جهات الموت الخمس/ونصل الغزوة تتريا../أتحسس خطوي../بالقنديل الخالد في الأرض وقلبي/عانقني قمر السبعينات!!/تحت المقصلة../وذكرني/بالهمج ال- مروا على جسدي/في " جسر الباشا "../ والبقعة/.../ما بين جهات الموت الخمس وثوب الغزوة دمويا/لم يذق الطعن سوى صلبي/هذا الممتد من "الوحدات " إلى " صبره "/هذا المنفي بأمر الزمن إلى الغربة./.(١٠٠).

الأممية والنزعة الانسانية

ان القصيدة عند شاعر الأرض المحتلة موجودة ومتميزة، لا بوجودها المستقل، ولكن بقضيتها الانسانية، التي اخترقت الوجدان البشرى، فالتحمت بتراث الشعوب المقهورة والمناضلة معا. إن شعرنا وأدبنا إنساني شمولي، يلتقي بطموحاته وانسانيته، بكل جهات الدنيا في وقت تواجه فيه الأرض المحتلة أصعب ظرف عرفه تاريخها المعاصر.(١٠١) وها هو الشاعر توفيق الحاج يتألم ويتعذب مع بني جلدته من الناس وابناء الشعوب الذين سقطوا ضحايا للنازية، خلال الحرب الكونية الثانية. يقول عن ضحايا بشرية للنازية في اوشفتس (معسكر

Digitized by Birzeit University Library

الابادة)، من قصيدته " مشاهد الدم واكتمال البدر ":/..توقف القطار/..يهبط الرجال ..والاطفال ..والشيوخ/تهبط النساء/والمساء لن يعود يا برلين مشتاقا كعادته اليك/فهؤلاء يعرفون..لمن اعددت/عرس المحرقة/للمرة الأخيرة../قلبه " مايا " الجملية زوجها المشدوه/ضمته قليلا../..بأن عاصفة الابادة قادمة../ما زال " داني " طفل مايا/لحنها المحسوس .. يبكي لعبتيه./...(١٠٢) وهذه شمولية وبعد إنساني ورؤيا كبيرة، في قصيدته " ما قصدت أيتها الحلاوة القاتلة "، وهو يسخط على الوضع التي تردت اليه القضية الفلسطينية، لكن الضحية عنده ليس فقط الفلسطيني المعذب، بل كل معذب في الأرض:/وما قصد ضحكات الرؤوس المقطعة المكدسة في/الرياض والقاهرة ومراكش والخرطوم وجنوب إفريقيا/وتشيلي وواجهات العرض الزجاجية الفاتنة في/نيويورك،/وما قصد النيل حين يخاف،/وما قصدك أيتها الحلاوة القاتلة؟../..اندفع المتفرجون كتلة واحدة متراصة حتى ذاب/اخر مهرج في الدائرة المرسومة ورفعت الضحية يدها من جديد لتنتزع/القمة./.(١٠٣).

وتقول الشاعرة فدوى طوقان في قصيدتها " إيتان في الشبكة الفولاذية " مجسدة هذا البعد الانساني الفلسطيني، رغم كونها بنت الشعب المقهور والمضطهد، تقول مخاطبة صبيا يهوديا:/يا طفلي أنت غريق الكذبة/والمرفأ يا " إيتان " غريق مثلك في بحر الكذبة/يغرقه الحلم المتضخم../...ليتك تبقى الطفل الانسان/أخشى وأراع/أن تكبر في هذي الشبكة/في هذا الزمن المبتور الساقين المتسربل بالكاكي/بالموت القاسي بالنيران وبالأحزان/أخشى يا طفلي أن يقتل فيك الانسان/...(١٠٤)ويقول الشاعر جبرا حنوه في قصيدة " لا بد أن يأتي الطوفان " في هذا الزمن الجائر، زمن الخوف والقهر، وقتل بسمات الزهور والاطفال:/" في هذا الزمن الجائر ..زمن القحط../وزمن الشر../العطش .. الجوع .. الخوف ..القهر ../ما أبشع أن تقتل بسمة أمل فوق شفاه صبي/لم يعرف معنى الغدر ..".(١٠٥) وعن الأطفال، أطفال العالم، وليس أطفال الأرض المحتلة وحدهم، يكتب الشاعر أسعد الاسعد، من قصيدة " دروب الشمس ":/..لنبني في الجباه السمر في وطني/قلاعا في علو الغيم شامخة/لأطفال بعمر الورد/في كوبا/وفي سونغ مي/في هانوي .. في القدس/..(١٠٦) أما شاعرنا راجح السلفيتي فيبين في زجله وشعره الشعبي اتجاهه الوطني والانساني وبعده الأممي:/نصر الشعب الكمبوتشي غلة أيار/ونصر الشعب الفيتنامي هدية ثوار/..(١٠٧)

الحماس

وفي شعر الأرض المحتلة حماس واضح، انه الحماس العالمي النازف من جرحنا الوطني طريقا الى الثورة في كل أرض، انه الحماس الذي لا ينغلق على جانب دون آخر، والذي عبره، يحقق شاعر الأرض المحتلة، وعيه الانساني، وموقفه الجدلي. في هذا يقول الشاعر محمد شحادة، في قصيدة "كلمات من القلب" ، التي يهديها الى كل صامد، تتحطم على صخرة صموده هجمات الطغاة:/أقول الشعر في المهجر/أقول أقول للعمال/أقول أقول للفلاح/أقول الشعر للأولاد،/للأجداد للأعياد/للشغيل في الدكان/في المحجر/أقول الشعر للأزهار،/للأطيار، للأشجار/للزيتون للزعتر./.(١٠٨).

الحروب والمعارك

Digitized by Birzeit University Library

لقد وجدت حرب حزيران ١٩٦٧، التي انتهت بهزيمة الأنظمة العربية، ومجزرة أيلول عام ١٩٧٠ ضد الشعب الفلسطيني وحركة المقاومة في الأردن، وحرب تشرين الوطنية التحررية، التي احدثت خلخلة كبيرة، في سياسية واقتصاد إسرائيل، ومعركة الكرامة في ٢١ آذار عام ١٩٦٨، التي تصدت فيها الفصائل الفلسطينية لغزو اسرائيل للكرامة، وجدت تعبيرا واسعا لها في الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة. يقول الشاعر الشعبي راجح السلفيتي في قصيدة "ذكرى الكرامة" و"في ذكرى حزيران المشؤوم":/في كل واحد وعشرين من آذار/يقضي الوفا عاكل أهل الشهامة/تمجيد ذكرى من قضوا أبرار/يوم الكرامة وردوا النا الكرامة/../يوم الكرامة كنت يوم الثار/عنا غسل دم الشهيد العار/اذ طالب العادر بوقف النار/لما أقمنا فوق راسه القيامة/..ويقول:/ما أروعك يا ستة من تشرين/أبلج أغر الوجه وضاح الجبين/هليت بسمة نور ع شفاه السنين/وضحكة بعيون اطفالنا العرجانه/../بارليف وقف شعر راسه وشاب/لما سمع من هاتفه افظع جواب/حصنك تحطم ذوبوا سد التراب/../وصاروخ سام وحاملة المغوار/ما فات من شره ولا طيار/..ويقول أيضا:/../وعادت بواشقنا تناوشهم رفوف/تزرع بأعشاش البغاة الخوف/رجعوا الطريق الغدر عالمكشوف/ودفعوا احتياطيهم ملك عمان/وبنهار أسود طالعه من أيلول/فقناع طعنه ظهر من مغلول/يا صاحب التاج عالجماجم صول/واغفي قرير العين يا ديان./. وأخيرا يقول في حرب حزيران:/وجه النحس يا فجر خمسه حزيران/الحق فيك انتكس وتغطرس الطغيان/../بتظل يا يوم النحس شاهد حقير/عسياسة الافناء وخطة التهجير/../من عنجهية موشي ديان ومئير/نقنا المرار كبيرنا قبل الصغير/وما ظل في العالم ولا صاحب ضمير/الا وصرخ فليسقط العدوان/مع سيئاتك الك مردود وعطا/شعبي انتبه من غفلته وحث الخطى/وانزاح عن عينه ألف ستر وغطا/ وكشف الجريمة وعرف الجاني مين/...(١٠٩).

الشهادة والشهداء

يقدم الشعب الفلسطيني الشهداء على درب الكرامة والتضحية، وعلى درب التحرر الوطني واقامة دولته الوطنية المستقلة، ومنذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن قدم الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة وفي الشتات العديد من أبنائه على مذبح التضحية والحرية. ويتحدث الشاعر خليل توما عن ظاهرة الشهادة، يقول من قصيدة "أوراق حمراء":/نصري يتلوى والخنجر/في الصدر يغور/جسد يترنح تحت الشمس/والأرض العطشى تشرب، تشرب لا تروى/والدم بحور/شفتا نصري مصت كل الحقد الأحمر/ بصقت قبل الموت في وجه العسكر/...(١١٠) ويشيد الشاعر عبد القادر صالح ببطولة الشهيد في قصيدة "وردة لسامي، حمامة للوطن" يقول:/ليس سامي صريع رصاص الغزاة فحسب/ليس سامي المؤذن في غبش الفجر/او في خلال اليقين وحسب/انه الدرب والسائرون على الدرب/انه عنفوان الارادة/وهو احتفال الشهادة/وهو النبي الجديد الى القاعدين/على الدرب/ان سامي يسير/ونحن نسير/وان الدروب تسير:/(١١١)

ويقول الشاعر ماجد أبو غوش من قصيدة "الى ...الحب الدائم" في الشهيد داود العطاونة:يتناثر دمك/يصير سنابل/تصير قمر(بيت كاحل)/يأتي بدرا كل مساء/تصير الاقحوان/ تتطاول في أرض/تعبق بالشهداء/هذا هو الموت الذي/ يزهر فرحا للبؤساء/ وقمحا للفقراء/واغنية للحب الدائم./(١١٢)

Digitized by Birzeit University Library

ويرى الشاعر الفلسطيني فيمن يسقط شهيد اقبل بزوغ شمس المستقبل "مدماكا" يعلي البناء، أو درجة من درجات السلم التي توصل الى الهدف الاخير في الحرية والاستقلال الوطني. كما أنه يرى "زفاف" الشهيد شرف الطيبي الذي سقط في بير زيت، بروح مستشرقة للأمل، للمستقبل، فهو اذ يرفع النعش عاليا ينشد اغنيات الوطن الحر القادم في غد قريب، فدماء الشهيد عبدت الطريق الموصل للوطن، يقول الشاعر المتوكل طه في قصيدته "السؤال الاخير لشرف الطيبي":/وتعال نرفع نعشك العرّحي../ننشد اغنيات العرس، نهتف للوطن/يا ارجواني الضلوع، زفافك الدامي يتوج/أجمل الفرسان/في هذا الزمن/.(١١٣)

أما الشاعر محمد شحادة فيغني للشهداء في قصيدة "أعراس" وفي قصيدة "قصائد قصيرة" يقول:/حلحول أجيئك عالى الرأس/وأدفن في جرحي الأحزان/وتزغرد أمي قدامي/أن زفوا رابع للعرسان/والناي يغنى يا حلحول/نصري يا زين الشبان/وبنات القدس لهن نشيد/في عرس الشهداء الفرسان/رابع يا ورد الجوري/نصري يا زين الشبان/...ان سالت في الأرض دمانا/تخضر وتزهر بالأغصان/ولذا أجيئك عالى الرأس/أدوس على كل التيجان/ثم يقول: قد مات شهيدا يا ولدي/من مات فداء للأوطان/ويفوت الجنة يا ولدي/من حرر من قيد إنسان/..ويضيف: نعرفها أسماء الشهداء/نحفظها اسما، اسما/نعرف خضر/محمود/رجاء/من منا لا يعرف لينا/انا ندرك/أن البذرة/ان دفنت/في بطن الأرض/تموت تموت/لتعطينا.(١١٤)

ويقول الشاعر سميح فرج من قصيدة " سبل عيونه ومدا يده يحنونه "الى الشهيدة الهام أبو زعرور:/بزغت وهي تردّد/كانت تنبع من ذاكرة السامر/من مستقبل عاصفة الأيدي/من خاطر الظلمة../"وأبت الهام "الجبلية أن تبلغ سن العشرين ولكن/ قفزت فوق الأعوام وقالت/اعوام الفرحة ليست زمنا عاريا/وانكسرت في عمق الصورة ...(١١٥)/ ومن قصيدة " على قمة الدنيا وحيدا " ترثي فدوى طوقان الشهيد وائل زعيتر، كما تتحدث عن الشهداء في قصيدة "انشودة الصيرورة " تقول:/... حينما الدنيا الهلوك/وقفت ضدك واستعصيت أنت/وتأبيت على العالم أنت/اقبلوا في معطف الليل وداروا في الظلام/دورة غدارة واقتنصوك/.ثم تقول:/كبروا أكثر من سنوات العمر/صاروا العابد والمعبود/صاروا "سمحان" "عفانه" "صاروا "عبد الله" "محمد" صاروا "لينا" "أحمد" "محمود".(١١٦)

التمييز بين الصديق والعدو

في خضم كفاحه الوطني، كان على الشعب الفلسطيني أن يميز اعداء قضيته، الذين يقفون ضد حقه في تقرير مصيره، ويتآمرون من أجل طمس هويته الوطنية، هذا على الصعيد العالمي، وفي الميدان الدولي، حيث تناقش القضية الفلسطينية، وبين اصدقائه، الذين يقدمون على الدوام دعمهم المادي والمعنوي في كل محفل دولي، من أجل نصرة القضية الفلسطينية، واحقاق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. وتغنى شعراء الأرض المحتلة، في أشعارهم، بهذه الظاهرة، فها هو الشاعر محمد شحادة، يقول من قصيدة "على دلعونا للسطلة الوطنية":/شعبك ي فلسطين عارف طريقه/وعارف عدوه وعارف صديقه/وشعار الدولة واجب تحقيقه/ودولتنا بصدر العدى اشتراكية/وأول ما نذكر وطن لينينا./(١١٧)

Digitized by Birzeit University Library

ويقول الشاعر راجح السلفيتي في هذا الاتجاه، من قصيدة "في ذكرى حزيران المشؤوم":/حزيران درسك علم شعوبنا الكثير/عرفوا صديق العمر ورفيق المصير/السوفييت يا نعم المؤيد والنصير/شدد أزرنا ودعم الأركان/...(١١٨)

الحب القديم / الجديد

يقول الشاعر وليد الهليس في الحب القديم - الجديد:/شجرا يورق تحت الجلد وينمو/شجرا يزهر في العين وينمو/شجرا يثمر عند القبر وينمو/ينمو، ينمو/موتاك يحبون الشجر المورق/والمزهر والمثمر/ويحبون المدن الضائعة ويمضون/موتاك يجيئون./"من قصيدة" قصيدتان عن حب قديم".(١١٩)

المراجع

٦٤- محمد دكروب. الأدب الجديد والثورة. بيروت، ١٩٨٤،ص ٩٨.

٦٥- الكاتب، العدد (١) تشرين الثاني، ١٩٧٩، ص ٣٤.

٦٦- حسين جميل البرغوثي. المصدر المذكور سابقا، ص ٥٨

- ٦٠. راجع كذلك قصائده عن الأرض في ديوان: علي الخليلي. وحدك ثم تزرحم الحديقة. القدس، ١٩٨٤، ص ١١٧ - ١٥٨.

٦٧- ابراهيم جوهر. الأرض في القصة الفلسطينية. القدس، ١٩٨٧، ص ٢.

٦٨- توفيق الحاج. سنابل العشق. القدس. ب.ت ،ص ١٣ - ١٥.

٦٩- أسعد الأسعد. كلمات عن البقاء والرحيل. رام الله، ١٩٧٧، ص ٣٦ -٣٧. علي الخليلي. شروط وظواهر ... ص ٢٠٣

٧٠- أسعد الاسعد. أنا أنت القدس والمطر. عكا، ١٩٨١، ص ٢٨. ابراهيم العلم. الشعر الفلسطيني...ص ٦٥.

٧١- محمد شحادة.أقوى من الجلاد. الديوان، المخطوط، ص ٢٣. الأخبار.بيروت، ١٩٧٤.

٧٢- ابراهيم العلم.الشعر الفلسطيني ...، ص ١٠٥

٧٣- وليد الهليس. الذهاب مبكرا إلى الموت. ب.م.ن، ١٩٨٠، ص ١٨ علي الخليلي. شروط وظواهر.....، ص ٢٠٤.

٧٤- عبد دعيم. لزيف الجرح الفلسطيني. عكا، ١٩٨٦، ص٧.

٧٥- توفيق الحاج. قال السامر. غزة، ١٩٨٧، ص١٣.

٧٦- غسان كنفاني. المصدر المذكور، ص١٣،١٥،١٧-١٨.

٧٧- نبيل علقم. مدخل لدراسة الفولكلور. البيرة، ١٩٨٢، ص٣٤.

٧٨- راجح السلفيتي. زجليات. عكا،١٩٨٧،ص٥.

٧٩- المصدر السابق، ص٧-٨.

٨٠- علي الجريري. الأصالة والتجديد في شعرنا الشعبي الفلسطيني.- مجلة الكاتب. العدد (٤٤) كانون الأول،١٩٨٣،(ص٧٢-٨٥).

٨١- محمد شحادة. أقوى من الجلاد.....، ص١٨،١٩. فلسطين الثورة. بيروت. كانون الثاني، ١٩٧٥.

٨٢-الكاتب. العدد(٤٥) كانون الثاني، ١٩٨٣، ص ٢٢.

٨٣- عطا الله قطوش. كنعان يقرع الأجراس. القدس، ١٩٨١، ص ٩١ - ٩٢. ابراهيم العلم. الشعر الفلسطيني ....ص ١٠٥، ١٠٧.

٨٤- خليل توما. اغنيات الليالي الأخيرة. القدس، ١٩٧٥، ص ٩.

٨٥- الكاتب. العدد (٤١) أيلول، ١٩٨٣، ص ١٠٣، ١٠٤.

٨٦- توفيق الحاج. سنابل العشق...،ص ٢٤.

٨٧-المصدر السابق، ص ٣٨. وانظر أيضا: البيادر. العدد (٥) تموز، ١٩٧٨، ص ١٩.

٨٨- فوزي البكري. صعلوك من القدس القديمة. القدس، ١٩٨٢ - ص ٣٠ - ١٣. وراجع كذلك: البيادر العدد (١) آذار، ١٩٧٦، ص ٢٢.

٨٩- فوزي البكري. المصدر اعلاه، ص ١٠١.

Digitized by Birzeit University Library

٩٠- خليل توما.نجمة فوق بيت لحم. القدس، ١٩٧٧، ص ٨٤.
ابراهيم العلم. الشعر الفلسطيني ...ص ٦٤.
٩١- ابراهيم العلم. الشعر الفلسطيني ... ص ٦٩.
٩٢- أدونيس. مقدمة للشعر العربي. عكا، ١٩٧٧، ص ١٠٠.
٩٣- خليل توما. أغنيات الليالي ... ص ١٠٨ - ١٠٩. على الخليلي. شروط وظواهر ... ص ١٩٥.
٩٤- راجع السلفيتي. نفس المصدر المذكور، ص ١٣. علي الجريري. نفس المصدر المذكور، ص ٨٣، ٨٥.
٩٥- ابراهيم العلم. الشعر الفلسطيني...، ص ٦٨.
٩٦- فدوى طوقان. قصائد سياسية. عكا، ١٩٨٠، ص ٢٥.
٩٧- فوزي البكري. المصدر المذكور، ص ٢٨-٢٩.
٩٨- محمد شحادة. أقوى من الجلاد ... ص ٢٥،٢٦،٢٧.
٩٩- ابراهيم العلم. الشعر الفلسطيني...، ص ٩٩-١٠٠.
١٠٠- توفيق الحاج. سنابل العشق ... ص ٣٥،٣٦. وانظر: البيادر، العدد(٥) تموز، ١٩٧٨، ص ١٩.
١٠١- علي الخليلي، شروط وظواهر ... ص ٢٠٢.
١٠٢- توفيق الحاج. الأرض لا .. السفر. القدس ب.ت، ص ٧-٨.
١٠٣- علي الخليلي. مازال الحلم محاولة خطرة. القدس، ١٩٨١، ص ١٦١. ابراهيم العلم. الشعر الفلسطيني... ص ٨٨.
١٠٤- فدوى طوقان. قصائد سياسية ...ص ٧٥-٧٦.
١٠٥- الغد. حيفا. العدد (٦) آب، ١٩٧٨، ص ١١.
١٠٦- أسعد الأسعد. الميلاد في الغربة. القدس ١٩٧٥، ص ٣٦.
١٠٧- علي الجريري. المصدر المذكور، ص ٨٣.
١٠٨- محمد شحادة. سوف أبقى...ص ١١. وأنظر كذلك: علي الخليلي. شروط وظواهر...ص ٢١٤.
١٠٩- راجع السلفيتي. مصدر سبق ذكره، ص ٢٣، ٣٢-٣٥.
١١٠- خليل توما. نجمة فوق بيت لحم... ص ١٧. حسين جميل البرغوثي، المصدر المذكور، ص ١٨.
١١١- ابراهيم العلم. الشعر الفلسطيني ...ص ٦٧-٦٨.
١١٢- الكاتب. العدد (٣٢) كانون الأول، ١٩٨٢، ص ١٠٧.
١١٣- المتوكل طه. مواسم الموت والحياة. القدس، ١٩٨٧، ص ٣٧. الوحدة. القدس. العدد (١٢٩) تشرين الأول، ١٩٨٧، ص ٥٦.
١١٤- محمد شحادة. أقوى من الجلاد... ص ٩-١٠، ١٦،١٧.
١١٥- الكاتب. العدد (٤٧) آذار، ١٩٨٤، ص ١١٢-١١٣.
١١٦- فدوى طوقان. قصائد سياسية...ص ١٢-١٣،٣٨.
١١٧- محمد شحادة. أقوى من الجلاد... ص ١٩-٢٠.
١١٨- راجع السلفيتي. مصدر سبق ذكره، ص ٣٤، ٣٥.
١١٩- وليد الهليص. المصدر المذكور، ص ٥٨-٥٩. علي الخليلي: شروط وظواهر...ص ٢١٤.

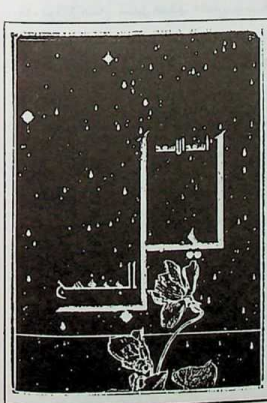

ليل البنفسج
في طبعة جديدة

عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، بالتعاون مع دار نشر" شرق برس" صدرت في العاصمة القبرصية نيقوسيا، طبعة جديدة لرواية أسعد الاسعد " ليل البنفسج "، وهي الطبعة الثانية بعد الاولى التي صدرت في القدس عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين.

الجدير بالذكر أن رواية ليل البنفسج سوف تترجم الى اليونانية والانجليزية والفرنسية، بموجب اتفاق تم التوقيع عليه مؤخرا، بين الكاتب وإحدى دور النشر اليونانية.

Digitized by Birzeit University Library

انعكاس الفعل الابداعي في قصص سامي الكيلاني

علي الجريري/دير جرير/رام الله

النقب - أنصار ٣ - أيلول ١٩٨٩م

سامي الكيلاني شاعر وكاتب فلسطيني، الى جانب عمله محاضرا للفيزياء في جامعة النجاح الوطنية، من مواليد بلدة يعبد قضاء جنين سنة ١٩٥٢م وعضو الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب الفلسطينين في الضفة الغربية وقطاع غزة، اعتقلته سلطات الاحتلال أكثر من مرة، بتهمة نشاطاته السياسية، دفاعا عن حق شعبه في الاستقلال الوطني، وكان آخرها اعتقاله اداريا للمرة الثانية في نيسان ٨٩ في سجن النقب الصحراوي، وكان لي معه شرف اللقاء هناك بين مجموعة من الفنانين والمبدعين والشعراء، ومثلما كنا نكتب الشعر والقصة، كنا نغني للفرح الآتي ونكتب بعض النقد، وهذه واحدة من تلك الدراسات التي حرصت على انجازها وتهريبها خارج حدود المنفى، انها دراسة لابداعات الكيلاني القصصية من أنصار ٣ حيث تجلت ابداعاته الشعرية كذلك. وهذه الوقفة على قصصه ما هي الا بداية لتناول أدب الكاتب بشكل متكامل وتحديدا ابداعات النقب.

"سيكون عقدا جميلا، جلسا وتشاورا، تأمله ثم قال لصاحبه، سيكون عقدا جميلا، أخرج الأول مسمارا صغيرا، وبدأ بالحفر والنحت على جاري السابق، ثم مضى الى ظل الخيمة ليكمل عمله، حسدت جاري كثيرا على هذا الاتجاه الجديد في حياته، سيكون تحفة، سيحتفظ به في بيت ما .. أما أنا فسأبقى هنا، دون عمل، دون قيمة تذكر .."

هكذا لو لم يكن هذا الفعل الثوري قد قاد الكاتب الى هذا الموقع، لما رأى وسط أقسى الظروف جماليات الأرض وحجارتها التي ناضل من أجلها، ولما حول الحجارة الى تحف فنية، ولا أبدع في فنه وشعره ونثره هذا الابداع، انها حكاية الفعل الثوري في الابداع الانساني، حيث يترابط الفعلان في الأثر الانساني والهم البشري الذي يجمع الكاتب بالأرض والحجر ومن عليها، ويوحد الانسان المنطلق من مجال الملاحقة بذاته وبالآخرين، حيث استقر وسط خيمة

Digitized by Birzeit University Library

صحرواية تعصف بها الامطار والرياح شتاء والعواصف الرملية وحرارة شمس الصحراء اللاسعة صيفا.

ففي قصته "جمع الأسرى جمع" يحكي الكاتب قصة فرح الحرية في غنائية واضحة، حيث عنوان القصة من الأغنية الشعبية دائعة الصيت.

جمع الأسرى جمع .. في معسكر أنصار
والشمس لما بتطلع .. بتواعد الثوار

ويعكس الكاتب فيه تجربة الافراج من هذا المنفى الصحراوي، بعد انهائه لفترة الاعتقال الاداري حيث أمضى ستة أشهر أو نصف عام بالكامل معزولا عزلا تاما عن الحياة الكونية وتحديدا عن أهله، أطفاله، وزوجته ووالديه وأخوته وأخواته وأهل بلدته وناسه الذين يحبهم ويحبونه، دون رسائل ودون أخبار، الا ما يصل عبر المعتقلين الجدد، القادمين اليهم من مختلف مواقع الصراع، في الضفة والقطاع. فهل هي معاناة الأدب أم أدب التجربة والمعاناة أم كلاهما معا؟!

فالصور: تدور في رأسه على شكل ذاكرة اختزنت كل الآلام والقهر، وتلك صورة المعاناة وبقدر ما تكون المعاناة مؤلمة، تكون فرصة الافراج مكثفة حيث تلمع حبات الفرح في كل زاوية وناحية من بوابة المعتقل اللعينة "الحديدية الهزلة" تلك التي تحتجز خلفها الرفاق والأصدقاء، والأيام المليئة بدقائق المعاناة والتحدي

والخيمة رقم ١٦: في القسم الثاني من المعسكر الاعتقالي "ب" جمعت كل لوحات قصته عائدا الى كل خيمة، حيث تختزن الخيمة ألف قصة وقصة، وتشهد وجوها لا يشهدها أحد غيرها، وبقدر ما أصبحت تلك الوجوه مجرد أرقام لدى ادارة المعتقل، صغيرة بحديدها وحراسها، أسيرة فعلها، فهي كبيرة بحجم روح البطولة بحجم الجبل والفعل المارد المختزن بهؤلاء خلف هذه الأسلاك والحواجز.

وهو في رحلة العودة من الاعتقال في المنفى، يجمع كل ذكرياته معزيا نفسه، يتفحص الطريق التي يراها للمرة الأولى ويمشيها للمرة الثانية، يحلق في الذاكرة حيث يتوحد الفعل الأثر الانساني في ذات الحدث، فتقوده الذاكرة الى تفاصيل الرحلة الصعبة من الفارعة الى أنصار ٣ قبل ستة شهور بالكمال والتمام، والقيد البلاستيكي المتوحد في اللحم الانساني، مشدودا منغرزا في ساعديه، والعيون المعصوبة بقطع الملابس، والمعاناة لا تصفها الكلمات والصور ولا يعرف بها الا من عاش التجربة ذاتها، ولم تنته لوحاته عند مشهد الجنود بمنتهى الحقد واللؤم، وكل ممارساتهم وصلفهم وغطرستهم، لم تمنعه من تجميع ذاكرته نحو الأغنية التي فهمها وزاد رغبة في سماعها منذ غنتها خيمهم بصوت واحد بعد مداهمة القوة المسلحة المعسكرة في المعتقل لخيم المعتقلين بالغاز المسيل للدموع، حيث انصبت قنابل الغاز عليهم كالمطر، فرد الجميع بالحجارة والصحون، وكل ما وقعت عليه الأيدي، وقد انطلق صوت عبد السلام بالغناء تبعه الأسرى بصوت واحد، "جمع الأسرى جمع، في معسكر أنصار .. والشمس لما بتطلع، بتواعد الثوار". كانت الأغنية هذه المرة لا تعنيهم، وكأنها ليست تحديا للباسهم وأسلحتهم ولروحهم، ذلك لأنه هذه المرة متجها نحو الحرية وليس الى المعتقل اللعين.

ويقف الكاتب موقف الصراع مع ادارة المعتقل، والكاتب هو بطل القصة وان صاغها بضمير الغائب، وذلك كي يتجنب شكل السيرة الذاتية، وكي لا يقال أن الكاتب غلبته ذاتيته، ولا أحد يعرف أن الكاتب هو بطل القصة الا من يعرفون الكاتب ليس فقط خارج المعتقل بل عاشوا معه داخل المعتقل، فتفاصيل الحياة الاعتقالية لا يعرفها غير المعتقلين، ورغم أن البطل المسيطر على قصص الكيلاني، هو

Digitized by Birzeit University Library

الشعب، جموع المعتقلين، وتلك واقعيته التي تفرد بها عن غيره من كتاب القصة الذاتية.

والبطولة هنا نسبية فأقل تحد لادارة المعتقل قد تقطع عليه رحلة الحرية، أو تضع حدا فاصلا لحياته بطلقة سيقال عنها فيما بعد أفلتت خطأ، فموقف الصراع مع ادارة المعتقل العسكرية ذات الصلاحيات المطلقة ليست أمرا سهلا يتخيله من لم يعبر التجربة، ويدور الصراع حول توقيع تعهد ينص على عدم العودة الى الاخلال بالنظام كما يسمونه في صحافتهم، وينتهي الصراع لصالح المعتقلين فيرفضون التوقيع على تعهد كهذا التعهد. لعد نجح مرة أخرى في اجتياز امتحان التحدي للمرة الثانية عندما اختاروا "أحمد الخالد" ليكون بوز المدفع.

وتدور الذاكرة لتعود به للمرة الأولى، حيث كانت تصلهم أخبار قريتهم مع القادمين الجدد الى المعسكر الاعتقالي فكان ينتشي بأخبار قريته، وتقطعه الذاكرة حين يتذكر الشهيد مصطفى جامعا حيرته بين التوجه الى بيت أم محمود، بين ناقل لسلام محمود الذي وصل سالما الى سجن النقب، وبين قلبه الحامل ثقل حزنه واعتزازه معزيا بالشهيد مصطفى، ولم يفق من حيرته الا عندما توقف الباص على مفترق الطرق الذي يوصلون اليه الشباب المفرج عنهم في الباص الاعتقالي اياه الذي نقلهم الى المعتقل، تلك النقطة المشهورة اليوم على مثلث عراد شمالي مدينة بئر السبع، وتجمع الصورة أبلغ تعارضها، فمثلما يقلهم الباص الاعتقالي في رحلة الحرية، يقوم الضابط الذي كبلهم قبلها وكبل الآخر المعتقلين، بقص القيود البلاستيكية معلنا تحرر المعتقل من الاعتقال.

وهكذا يسقط قيد "أحمد الخالد" بين رجليه ويمضي يملأ رئتيه بنسيم الحرية، ملتفتا خلفه والقيود المتقطعة تملأ الأرض وأخذ يردد في سره "لكل سجن نهاية".

واذا كان لي أن أسجل بعض الملاحظات على تكنيك البناء في هذه القصص، فأول ما نلاحظه، تكرار الصورة الى الوراء، قاطعا تتابع أحداثها من بدايتها الى نهايتها، حيث ينعكس فعل الفرح الممزوج بالقلق على نفسية هذا البطل الانسان العاشق للحرية وسط حراب القمع والارهاب، وكأنه لا يركن الى ايصال فكرته من رسم الصورة، فيعتمد على المباشرة في تأكيد مراده، كقوله: "كانت معاناة حقيقية" هذا المصطلح خفف من حدة المعاناة القاسية التي تنعكس من لوحاته ولو أنه استغنى عنه لكان بروز المعاناة أكثر وضوحا، كذلك في قوله: "من وسط الدموع ومخاط الأنف والقحات المتلاحقة." فقد حصر المعاناة الداخلية أقطع من تلك المظاهر العابرة في سياق المعاناة الكلية، ولو أنه ترك القارىء يتصور المعاناة بنفسه لأدرك ثقلها وجمع أكثر من مظهر من مظاهرها. وحتى هذا الاسترسال لا يعطيه الاطمئنان فيقرر في جملة تقريرية واضحة بقوله:- "يعلو كل الآلام". أما في ختام قصته: فكان عليه أن ينهي قصته بقوله "لكل سجن نهاية" دون أن يهبط بحرارة الحركة الى استقلال الشباب لسيارة متوجهة الى الجنوب وأخرى نحو الشمال: وكان أولى به أن تجمع الذاكرة صورة أخواته وأخوته الأيتام الذين سيستقبلونه أخا وأبا وأما، وصورة أم محمود في ذاكرته عندما جمعت ذاكرته الحيرة بين بيت رفيقه وبيته في اللوحة السابقة، وليس عندما يدخل بابها ليقول لها ان الذين تركهم وراءه في أنصار هم أبنائها وأن محمود بخير.

في قصته بعنوان "حجر": جمع بين الشاعرية والرومانسية الواقعية الحالمة بمستقبل أكثر أمانا، وأبهى جمالا في لغة ذات جمالية عالية، ويمكن القول، ان بداية القصة تبدأ عندما تقدمت الجرافة وبدأ يحدث نفسه بالكارثة "قلت في نفسي انتهت حياة الهواء والشمس وستعلونا

Digitized by Birzeit University Library

طبقة من الاسفلت وسأصبح في خبر كان" ولم يفق القارىء من خياله الا عندما يدرك أن الكاتب يتحدث على لسان حجر، "حاولت توديع الشمس والهواء وأن أقفز من فم الجرافة قبل أن أسقط الى قعر وعاء الشاحنة، ثم جاءت فوقي أكوام وأكوام حتى امتلأت الشاحنة .. وجاء حظي لأكون على سطح التلة الصغيرة التي شكلتها الحمولة، فحمدت الله على هذه العودة الى حياة الهواء والشمس" ويذهب الكاتب بعيدا في خياله، فرغم وحدة الزمان والمكان التي تجمعه مع الحجر الذي يتحدث على لسانه، الا أنه لا يفلت من اسقاط نفسيته على صاحبه الحجر!؟ "اشتدت حرارة النهار أدركت أنني في الصحراء، مرت فوقنا منحلة فتماسكنا مع الأرض بشكل قوي، انغرست في الأرض لكن وجهي بقي مكشوفا يواجه السماء، توحدنا نحن والحجارة والأسلاك والحديد والخيام".

انه انعكاس فعل التوحد في الذات الانسانية المبدعة التي حولت الحجارة الى لوحة فنية، والأسلاك والخيم والصحراء الى أغنية، فاندفع الكاتب بفعل انعكاسها يحكي حكاية الحجارة وانتزاعها من الأرض، ونحتها فنا جميلا بصورة رومانسية دراماتيكية على شكل لوحات، ابتداء بلوحة التفكير بالحجر في مكان وزمان لا يوجد فيه سوى الانسان والحجارة المتناثرة بين رمال الصحراء المترامية داخل سجن عسكري، تحت سقف خيمة محاطة بالأسلاك الشائكة في منفى النقب.

غير أنه يخطيء التاريخ ويسير بعكسه وان تبدلت أيامه بقوله: "فلم ير أحد من أجدادنا الحجارة منظرا كهذا" ولكن ربما قصد في ذات الزمان والمكان والحال، رغم ذلك، فأنصار ٣ النقب يقع الى جوار خرائب قيل أنها استخدمت منفا زمن الأتراك العثمانيين الذين حكموا البلاد في الماضي القريب، وسجنا زمن الانجليز الذين احتلوا البلاد بعد رحيل الأتراك، وتذكر الروايات الشعبية، أن الشخصية الشعبية الثائرة والتي عرفت باسم "هبوب الريح" التي ذاع صيتها في أدبيات التراث الثوري لمنطقتنا، قد اعتقلت في ذات المنفى، وأسمعت حكايات حول رئيس دولتهم "شامير" وقائد المنطقة الوسطى الاحتلالي الحالي "يتسحق مردخاي" وآخرين من أعضاء المنظمات الارهابية الصهيونية الذين احتجزوا أيضا في تلك الخرائب بتهم مختلفة، والجديد في المكان اختلاف الزمان وما أتى عليه الدهر فبدل تفاصيله، وأصبحت خرائبه تذكر بأطلال الشعراء الرومانسيين العرب زمن الجاهلية، وبدل الخرائب بل الى جانب هذه الخرائب الدارسة أقيمت ساحات أقسام معتقل انصار ٣ وكل قسم يمتد على ساحة واسعة تحيط بها أسلاك شائكة محددة على أعمدة حديدية قصيرة، ثم نصبت خيام كثيرة، توحدنا نحن والأسلاك والحديد والخيام، ولعل ابداع الكيلاني يبرز في التفاته ليتحدث باسم الحجر، الذي يقول عنه ضباطهم وجنودهم، انه ملهمكم ومعبودكم، ويبدو لي أنه أصبح كذلك لدى الفنانين والشعراء والكتاب، ومثلما هو منعكس بالفعل الثوري والفعال.

"في يوم من الأيام امتلأت الساحة بالأقدام، أقدام كثيرة تروح وتجيء فوقنا، كانت فرحتنا بقدوم البشر أكبر بكثير من ألم الدوس علينا، فنحن حجارة، ولا تهان كرامتنا اذا مر فوقنا بشر"

انها ذات الحجارة التي رقص لها الزمان، وهي تعبر عن حالة الرفض الثوري للاحتلال في أكف الأطفال، وصدحت بها حناجر الشبيبة، وطارد بها الفتيان الجنود في كل شارع وحارة، فحملت معها هم وطنها الى كل مسامع العالم المتحضر والمتأخر ان جاز التعبير الأخير!!

وفي يوم آخر قرفص فوقي كائن بشري سكب

Digitized by Birzeit University Library

علي قليل من الماء، ثم تفحص لوني، لم يستطع أن يقرر قيمتي من النظرة الأولى على ما يبدو، فانتزعني من الأرض بمسمار كبير، ثم أعاد وسكب الماء علي، وبعد تشاور مع شخص آخر قرفص بجانبه قرر أنني لا أصلح، ما هو العمل الذي لا أصلح له؟! لم ادرك الأمر الى حين صبا الماء على حجر مجاور، فأظهرا اعجابا كبيرا بلون جاري وانتزعه الأول من الأرض وغسله جيدا، تأمله ثم قال لصاحبه: سيكون عقدا جميلا.

كانت تلك بداية قصة الفعل الابداعي الفني الذي استوحاه المناضل الثوري وسط القهر الصحراوي، من مصدر الهام الحجر الذي تحول الى تحفة فنية فرحت بها فتاة كانت في استقبال مبدعها وحاملها من رحلة المنفى الى بيت العائلة، وفي القصة لوحة الكرة الطائرة، وما أدراك ما الكرة الطائرة التي لا يستخدمها المعتقلون هنا لألعابهم بل لنقل رسائلهم عبر الأقسام، رغم الحواجز الشائكة التي تفصل بينهم، فهي الوسيلة الوحيدة التي بها ينسقون أعمالهم، ويطلعون على أخبار بعضهم البعض، كما يذكر قصة تهريب الحجارة التي باتت من المحرمات والسرية في حملها تقضيها ظروف التفتيش والمصادرة.

ان الفعل المنعكس يمتد من أول الرحلة الى ذلك الخيط الذي شارك صاحبه الاعتقال ورحلة الحرية. ولا نجد في القصة ما نأخذه عليه لولا تلك البداية التي انطلق بها في لغة مخاطبة انشائية خطابية نحو قوله: لا تستغربوا ان تحدثت معكم، لا تقولوا هذه أضغاث أحلام. اليست هذه لغة؟! كذلك هذا التأثير بالشعر والغناء وانعكاسه على شعره وانعكاس شعره في نثرة نحو استخدامه لكلمات أغنية مرسيل خليفة: اني اخترتك يا وطني .. وجمالية اللغة وترابط القصة في تكنيك متقدم تجعل القاريء يتجاوز العبارات القليلة الخارجة عن السياق الجمالي لمجمل النص كقوله: "تحركنا مسافة طويلة" وكذلك في عبارات نحو: "كان حظي جيدا .. ورغم أن القوائم الحديدية ضعف قامة الانسان فقد وصفها بالقصيرة بالنسبة للحجارة الا اذا أراد أن ينصب الحجارة تمثالا يناطح السحاب. وبعيدا عن انعكاس الفعل الانساني انعكاسات المكان والزمان يحقق الكيلاني ابداعا آخر في قصة للأطفال بعنوان "ليلى ولولو" وهي قصة مناسبة لجيل ٨ الى ١٠ سنوات والقصة في سياق كلاسيكي، ومع أن الكاتب استخدم بعض الالفاظ الركيكة ظانا انه استخدم لغة سهلة، الا أنه استخدم كذلك مفردات رصينة أعلى من المستوى الادراكي اللغوي لهذا الجيل، فمن الالفاظ الركيكة استخدامه لكلمة بابا وماما في نص كلاسيكي وكان أولى به استخدام مرادفاتها في اللغة السليمة، كذلك كلمة أعقاب، وتغلق وتضايقت والبطارية، غير سلسلة ولا مستساغة في سياق لغة الأطفال، في حين يستخدم كلمة الألعاب التركيبية، والتي قد لا تكون مدركة كما في سياق اللعب.

ولعل كل ذلك يخفى على القاريء في سياق البناء التكنيكي العام للقصة، فقد وفق الكاتب الى حد بعيد في لغة القصة وموضوعها وحبكتها ومغزاها التربوي في الرفق بالانسان من خلال اظهار ضنك الاعتقال لدى الانسان باسقاط ذلك عبر اظهار ثورة القطة على سجانها، ثمة اشارة رمزية أخرى تظهر في القصة، وهي قرار الطفلة بطرد القطة المعتدية من بيتها واظهار الرفض للسلوك العدواني، ولو كان الكاتب اطلع على قصة "الجندي واللعبة" للكاتب الفلسطيني محمود شقير، لتجنب ذلك التشابه، واتقن اللغة والحبكة أكثر.

وتداخل الفعل المنعكس في الشيء وضده نجده لدى الكيلاني في هذه القصة، ان الثورة

Digitized by Birzeit University Library

على السجن والسجان مظهر ثوري، وانساني وكلاهما اجتمعا في قصة الكيلاني في موقفين متناقضين في رفض القطة للسجن والسجان ممثلا في سلوك القطة ضد الطفلة "السجانة" وفي رفض الطفلة للسلوك العدواني للقطة والعمل على طردها للقطة كمحتلة.

وان كان لي أن اسجل ملاحظة ايجابية لهذه القصة، فهو هذا الاهتمام الذي يبديه الكاتب من الأطفال آملا من كتابنا المزيد من هذا الأدب لابقاء أطفالنا حقهم في الكتابة شعرا أو نثرا، وليس أخيرا، ان الكاتب أوفى المرحلة انعكاسها الانساني وفعلها الثوري في الانسان في قصصه كما في شعره الذي يعتبر بمجمله معلما من معالم الحركة الأدبية والأدب الانساني في سياق ديالكتيك الانعكاس والفعل في الأدب.

الضحك في اخر الليل جديد رشاد ابو شاور

رشاد ابو شاور

صدرت للقاص والروائي الفلسطيني رشاد ابو شاور "الضحك في اخر الليل"، وهي آخر مجموعة قصصية له، عن دار كنعان للطباعة والنشر والتوزيع في تونس.

وجدير بالذكر ان الروائي رشاد ابو شاور قد اصدر خمس روايات حظيت جميعها باهتمام نقدي واسع في العالم العربي، من كبار النقاد العرب.

كما ترجمت بعض اعماله القصصية والروائية الى لغات عالمية، بينها او البكاء على صدر الحبيب التي صدرت منذ سنوات بالروسية.

ومن اعماله القصصية والروائية الجديدة (الرب لم يسترح في اليوم السابع)"رواية" و(حكاية الناس والحجارة)"مجموعة قصصية".

وقد صدرت "آه يا بيروت" في طبعة رابعة عن دار الثقافة الجديدة في القاهرة.

× × ×

"قصص الانتفاضة"

منع توزيعها بالاراضي المحتلة

ذكرت صحيفة "عل همشمار"الاسرائيلية بأن الحاكم العسكري الاسرائيلي منع توزيع كتاب "قصص الانتفاضة" للمؤلف درور جرين. في الكتاب ١٦ قصة مكتوبة بأسلوب الاساطير الشعبية تصف الاحتلال من وجهة نظر الفلسطينيين.

وأضافت الصحيفة بأن في القصة الأولى يتحدث "عزمي شاهين" وهو موهوب يقص القصص كيف ان الادارة منعته من نشر قصصه ويصف عملية هروبه من السجن بواسطة قدرته الخارقة على اجتياز الجدران وكيف أن رصاص الجنود يعبر جسمه دون أن يصيبه بأذى.

Digitized by Birzeit University Library

مسرحية "القميص المسروق" - تصفية للبرجوازية الوطنية بقالب بريختي -

محمد داود

عرضت مؤخرا على خشبة المركز العربي للثقافة والفنون في القدس مسرحية القميص المسروق احدى روائع الاديب الفلسطيني غسان كنفاني، حيث كان الحضور يزيد عن استيعاب القاعة في كل عرض مما يدل على مدى النجاح الذي حققه العمل من ناحية، ومن ناحية اخرى يدل على تقدير الجمهور لاعمال غسان كنفاني الذي اخذ على عاتقه اعادة سرد تاريخ النكبة من منظار اللاجئين الفقراء والملتزمين بقضايا الشعب والوطن حتى اخر لقمة عيش وحتى اخر قطرة دم.

تدور أحداث المسرحية في احد مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية أو الشرقيةأو قطاع غزة أو لبنان أو أي مكان لجأ اليه الفلسطينيون بعد تشريدهم عام ١٩٤٨.

والقصة باختصار تدور حول محاولة أحد لصوص الطحين المحليين باقناع أحد اللاجئين الفقراء المعدمين بالتعاون معه في سرقة طحين وكالة الغوث وتهريبه لصالح احد الموظفين الكبار في الاونروا وهو امريكي الجنسية.

وبالطبع يرفض هذا المعدم (أبو العبد) عرض لص الطحين (أبو سمير) بعد صراع نفسي تدفعه اليه ضرورة العيش. على اثر ذلك يفتعل لص الطحين صراعا آخر مع ابو العبد محاولا الضغط عليه وتهديده اذا لم يرضخ ويعمل معه في اللصوصية.

ويتطور الصراع دون وعي من ابو العبد لنتائج هذا الصراع الى ان يبلغ حدا يحتم قيام احدهما بقتل الآخر فيقوم ابو العبد بقتل اللص واضعا حدا لصراع عائلي الشكل طبقي المحتوى.

ماذا يريد غسان كنفاني ان ينقل الينا من خلال هذا العمل؟

ليس من السهل الاتفاق على الرسالة التي يريد لها كنفاني أن تصلنا والسبب بسيط، لكنه ذو شقين: الاول هو تفريغ صراع طبقي اقتصادي واجتماعي وسياسي يدور ما بين قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية في شكل صراع فردي ما بين الرجلين، احدهما يمثل الالتزام بمصلحة جماهير اللاجئين الفقراء، والثاني يمثل مصالح فردية انانية طفيلية مرتبطة مع الاجانب.أما الثاني فهو [illegible]

Digitized by Birzeit University Library

والادراكي، والقدرة على التحليل والخلفية الطبقية وبالتالي الثقافية ما بين كل مشاهد وآخر.

ومن هنا فان اجابتي على السؤال لن تكون معبرة عن قصد غسان كنفاني وهدفه من العمل، بقدر ما ستكون معبرة عن كيفية فهمي واستيعابي ومستوى قدراتي التحليلية لعمل من هذا النوع.

انني افهم هذا العمل المسرحي كتعبير أدبي وفني عن صراع طبقي حامي الوطيس وعلى كل المستويات، بدءا بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي وانتهاء بالمستوى الثقافي والسياسي الدائر بين طبقات وفئات شعبنا الفلسطيني. وبالطبع فان هذاالفهم لا ينم عن ارادة كاتب هذه السطور، بل هوانعكاس لصيرورة واقعية تأخذ مجراها وتفعل فعلها بشكل موضوعي سواء أردنا ذلك ام ابيناه.

يمثل ابو العبد جماهير اللاجئين الفلسطينيين الفقراء الذين فقدوا ارزاقهم في فلسطين بعد النكبة وسكنوا الخيام ينتظرون العودة الى الوطن اكثر من انتظارهم لكيس الطحين الذي كان يتأخر في الوصول نتيجة تلاعب وسرقات موظفي الوكالة الكبار سواء الفلسطينيين منهم ام الاجانب. وبالطبع لو حاولنا اجراء مسح طبقي للاجئين الفلسطينيين لرأينا أن واقع التشرد وفقدان مصادر الرزق من اراض زراعية وبيارات.. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى سيطرة الفقر والفساد والتخلف على المجتمعات والدول العربية، دفع هؤلاء اللاجئين بغالبيتهم العظمى الى صفوف الطبقة العاملة التي لا تملك الا قوة العمل والتى تشكل في ظل الظروف السائدة انذاك جيش عمل احتياطي لا عمل له، ينظم صفوفه ويصقل عقليته ويكسبه انتماء طبقيا جديدا، ولا قيادة توحد كلمته وتسير في طليعته صوب أهدافه وغاياته الوطنية والطبقية، وهذا ما ساهم في

Digitized by Birzeit University Library

تعميق مأساته وتشتت جهوده والابقاء على العقلية السائدة في أوساطه انذاك وهي عقلية البرجوازي الصغير الريفي بشكل خاص .

اما لص الطحين، فقد مثل طبقة البرجوازية الوطنية الصاعدة والتي اصطدمت بواقع عجزها وعدم قدرتها امام القوى الامبريالية- الامريكية والاوروبية فأثرت التعاون معها على سرقة جهود شعبها في عملية تدر عليها مالا وفيرا دون عناء المغامرات التصنيعية والسياسية .

لما عملية القتل التي اراد لها كنفاني ان تنهي الصراع ما بين ابو العبد واللص من ناحية وما بين نوازع أبو العبد الذاتية فانها تمثل وفق هذا التحليل انهاء الصراع الطبقي الفلسطيني حول القيادة السياسية بقيام جماهير الطبقة العاملة بشكل خاص وجماهير الفقراء بشكل عام بتصفية البرجوازية الوطنية كطبقة قيادية على الصعيدين السياسي والثقافي كشرط اولي لضمان مسيرة نضالية مظفرة تتجاوز حدود الثورة الوطنية لبرجوازية تتقاطع مصالحها الاقتصادية والاجتماعية، بل والسياسية على المدى البعيد -نسبيا- مع مصلحة الامبريالية العالمية .

هذا بالنسبة للمحتوى الاجتماعي والسياسي للمسرحية، أما بالنسبة للقالب الفني، فلا شك ان مخرج المسرحية(سواء كان فردا أو مجموعة)أظهر براعة جيدة على عدة مستويات . فالموسيقى والاغاني كانت موفقة بشكل جيد خصوصا وانها كانت تواكب الحدث وتعطيه زخما روحيا .أما الديكور فهو على بساطته فقد خدم بشكل ممتاز .

أماالممثلين وهم أهم عامل في العمل المسرحي فقد أعطوا كل جهودهم، فالآنسة ريم اللو كشفت عن طاقات عظيمة تعجز بعض الممثلات المخضرمات في مسرحنا الفلسطيني المحلي عن الاتيان بمثلها . أما كامل الباشا فقد اثبت بجده ومثابرته انه ممثل جيد ومتطور باستمرار، فهو في هذه المسرحية مثل نقلة نوعية أفضل مما كان عليه في أعمال مسرحية سابقة .

يبقى لدينا درويش ابو الريش، ان درويش هذا لا علاقة له بدرويش الذي عمل مسرحية(ليلة في لينينغراد)، فهذا درويش آخر اكثر تطورا بما لا يقاس . ثم ان ثقافته المسرحية وغير المسرحية انعكست على كل حركاته التي كان يختارها بدقة قبل أدائها .

هناك ضعف بسيط لاحظته في دور درويش وهذا في رأيي ليس ضعفا خاصا به كممثل، بل هو ضعف مسرحي في العمل ككل، لقد كان دوره يتسم احيانا بدور من يلقي خطابا في الناس وقد تكررت هذه الخطابية بدون مبرر، اذ ان دوره لم يكن يتطلب هذا، وعندما جاء دور مخاطبة الجمهور التحريضي والذي كان من اللازم ان يقوم به كامل لموقع دوره في النص(ابو العبد)، قام درويش (ابو سمير) بهذا الدور ولكن بشكل مقلوب .

ان الجمهور لا يحتاج الى من يحرض على فعل الشر من خلال القيام بدور المنظر المستهتر بفعل الخير ان جاز التعبير، ان العملية التحريضيه يفضل أن تأتي عن طريق فاعل الخير، أوبالاحرى عن طريق الشخص الذي يكافح ضد الشر بكافة اشكاله، وعلى كل حال فليس هناك قضية اخرى في نبرة الصوت التي افتعلها كل من درويش وكامل في مقطع (البنا) وهي ما يمكن تسميته بنبرة "ابو عنتر" السورويه اللكنه وهو ما أضعف شخصيتهما اذ لا حاجة لاستعارة لكنه لاحاجة لها.

أما بالنسبة للقالب الفني الذي اختاره طاقم العمل، واقصد بالتحديد النمط أو الاتجاه فقد كان والحق يقال اتجاها مغايرا مما دفع الكثير من الجمهور خصوصا انصاف المثقفين الى الدهشة

Digitized by Birzeit University Library

الانسات تقول بالانجليزية ما معناه: "هذا كثير جدا". على حين آثر البعض الآخر التعبير عن سخريته واستنفاهه والحقيقة عن - سطحية فهمه - ترك القاعه ومقاطعة العرض.

اذكر انه عندما مثلت فرقة الحكواتي مسرحية "الاستثناء والقاعده" قال البعض عنها معلقا "بريخت يزور القدس". أما أنا فلن اقول هذا بل سأكتفي بالقول ان تيارا بريختيا يولد في القدس ويفرض نفسه بجداره.

فهنيئا لجمهور المسرح بهذا التيار وهنيئا للمسرح الفلسطيني بهذه الطاقات.

شباط ١٩٩٠.

ملاحظة: طاقم العمل مكون من : عماد متولي، ريم اللو، درويش ابو الريش، كامل الباشا.

يساري اسرائيلي خلال محاكمته:

منظمة التحرير منظمة سياسية وغير ارهابية

التماس ل "العليا" لكشف مواد سرية

صرح دافيد ايش شالوم "٤١ عاما" احد اعضاء اليسار الاسرائيلي في سياق محاكمته التي جرت يوم ٣/١٩ بمحكمة الصلح بالقدس ان "منظمة التحرير الفلسطينية هي منظمة سياسية لا منظمة - ارهابية.

ويتهم شالوم بتجاوز ما يسمى بقانون "مكافحة الارهاب" الذي يمنع عقد لقاءات مع اعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية. واعترف بانه عقد لقاء مع الشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ومع بسام ابو شريف المستشار السياسي لعرفات ومحمد ملحم رئيس مكتب الاراضي المحتلة في منظمة التحرير.

وعقد شالوم هذه اللقاءات في شهر شباط عام ١٩٨٨ عندما كان وبرفقة يساريين اخرين في اثينا حيث التقوا ممثلي منظمة التحرير.

وقال المدعي العام بان قضية تحديد ماهية المنظمة امر غير خاضع للنقاش لان القانون يصفها بانها "منظمة تخريبية" هذا وقد تم تأجيل المحكمة لتاريخ ٥/٢٧.

والجدير بالذكر ان سبعة من اليساريين الاسرائيليين المتهمين بعقد لقاءات مع اعضاء منظمة التحرير، قدموا يوم ٣/١٩ التماسا للمحكمة العليا مطالبين بالكشف عن المعلومات السرية التي جمعت ضدهم قبل التحقيق الذي اجرته الشرطة معهم وبعده.

ويؤكد السبعة من خلال المحاميان ابيغدرو فلدمان ودان اسن بأن السرية التي فرضت على مواد التحقيق تلحق اضرار بحقوق الفرد، كما ان الهدف منها ليس امنيا، وتستهدف التستر على الوقائع التي تؤكد استخدام المخابرات من اجل التحقيق مع معارضين سياسيين.

ويتهم السبعة، وكذلك دافيد ايش شالوم باجراء مباحثات مع اعضاء في منظمة التحرير بتاريخ ١٩٨٧/٦/٤ في المجر ويؤكدون بانه لا توجد مصداقية لسرية مواد التحقيق.

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

رحلة الى المدينة

عمر أبو عقاب

عندما سرى ذلك الشيء في ظهره هابطا الى أسفل عاوده خوف قديم مألوف لديه، وانتشر في رأسه دخان كثيف. لم يكن يرى غير عينين قاسيتين. ويدا كبيرة كان يحسها تطبق على قميصه مع جلد ظهره. انهارت مقاومته امام حاجته للتبول فانزلقت على فخديه قطرات من سائل ساخن وخرج من مؤخرته ريح اختلط صوته بصوت الوحش وصوت (الازعكاه) " بتضرب (دمس) يا ابن الشغموطة. لقد وجد نفسه فجأة محاطا بتلك الوحوش وعندما تصايح أصحابه " جاءوا .. جاءوا " حاول أن يقفز قفزة كبيرة ولكن شيئا ما قضى على محاولته .. وكأن حبلا ما انقطع في داخله. أو ثقبا واسعا افرغ الهواء من صدره.

[تدافعوا امام بوابة المدرسة، وكانت نظرات المعلم قاسية ساخرة وكان هو متأخرا في اتخاذ مكانه عند خط السباق، وفجأة انطلقت الصافرة فاراد ان يستجمع قواه كلها لينطلق ولكن ولسبب لا يعرفه تسمرت رجلاه في الارض .. وتخلف دون بقية التلاميذ .. وكم كانت عيون المعلم قاسية كان يشعر بها سياطا تلهبه ببرودتها وتجردها.]

وعندما اخذت الهراوات تنزل على ذراعيه وساقيه رفع كفيه ليتلقى بهما الضرب، ولكنه أخيرا توقف اذ كان الضرب موجعا ووحشيا الى درجة لم يستوعبها. وفي العينين المركزتين عليه لم يكن هناك سخرية أو تجرد أو غضب كان فيهما شيء أقرب الى الجنون جنون خائف مخيف. وما لبثت ذراعاه ان ارتختا ولم يعد مهتما بتفادي الضربات المؤلمة التي كانت تنهال عليه كان يحملق في تينك العينين متابعا مأساة كان هو احد اطرافها. كان مشدوها بتلك النظرات الوحشية المرتعدة رغم وحشيتها.

[بتوب يابا بتوب يابا قال متوسلا أباه وما أن نطق بها حتى كانت ضربات العصا قد فعلت فعلها الساحق على ذراعيه. كان الالم فائقا بحيث تجمدت كل التوسلات والتأوهات. لم يكن ذلك ابوه .. " لا ليس هو " وتانك العينين ليستا هما عينا ابيه الدافئتين الضاحكتين كانتا غائمتين فيها بريق ثلجي. تبلد ذهنه وكأن دخانا غطى على عينيه وامتلأت اذناه بصنين. وما لبثت عينا والده ان رقتا ولاحظ كيف اشاح والده بوجهه بعيدا، وكأنه يعتذر او ينهزم امام نتيجة قسوته. لقد شعر وقتها بالشفقة على والده ..]

أخذ الدخان ينتشر في رأسه كانت عينا الجلاد تقتربان شيئا فشيئا وكلما اقتربتا لفهما الدخان الى ان ضاعتا وسط دخان لف الغرفة فلم يعد يعي من الكون حوله سوى اصوات الوحوش تلاحقه بالأسئلة أين .. متى .. هل .. رأيت.. من يكتب .. من الذي يحمل .. أين كنتم .. من تعرف .. كانت الأسئلة تتراكم وتتراكم.

[واخذت كتل اللحم تتراكم من حوله في الغرفة كان يرقد في بيتهم مريضا وكانوا

Digitized by Birzeit University Library

يقنعونه بان يأكل لحما." لا اريد أن اكل لحما " لا أحب اللحم " كانت رائحة اللحم تولد لديه غثيانا فكيف له ان يأكل كل هذه الكتل من اللحم المكدسة فوق بعضها.]

افاق على صوت الجلاد يقول " حسبناك مت يا ابن الشغموطة " كان جسمه يرتجف حاول أن ينهض فشعر بالم حاد في فخذه الأيمن تصبب منه عرق غزير. أجبروه على النهوض كان اسطكاك اسنانه يسبب له آلاما في فكه السفلي. وعندما اراد فتح عينيه لم يستطع فتحسسهما بيده كانتا منتفختين وعندما افلح في فتحهما قليلا تسللت اليهما حزمة من ضوء الغرفة حاملة معها ذلك الوجه ذو العينين المجنونتين المذعورتين محاطا بنجوم متطايرة كتلك التي في شاشة التلفزيون. وعندما احس بسرواله مبتلا وباردا ساوره قلق وطفرت من عينيه دموع سارع بمسحها فاحس بحريق نحو وجهه اسفل عينه اليسرى. قام احدهم وربط حول عينيه عصبة رغم عدم الحاجة لها. دفعوه الى الخارج فحجل متفاديا أن يدفعوه فيتعثر. ولكن دفعة مفاجئة اقعدته ارض (الدبابة) ساوره شعور بالارتياح اذ اعتقد بانهم ينقلونه الى السجن وبعد خروجه سيفد شباب القرية للسلام عليه تماما مثل الشباب الكبار كانت تصوراته مفرحة ولدت لديه شعورا عظيما جعله لا يحس بالالم عند ارتطامه بارض السيارة. حتى انه ابتسم ابتسامة عريضة كتمها خوفه من ان يلاحظها ذلك العملاق المصفح الرابض الى الاعلى منه على مقعد (الدبابة) الخلفي. لم تشأ الاقدار أن يستمر حلمه الجميل طويلا: فقد توقفت (الدبابة) بعد دقائق من انطلاقها وبحركة من قدمية قذف به ذلك العملاق الى الشارع. كان الالم قاسيا الى درجة لم يحتملها فلبث ممددا على أرض الشارع وقتا لم يستطع تحديده.

أفاق على صوت سيارة مرت مسرعة على مقربة منه ومن الممكن أن السائق لاحظه فخفف سرعته " الحمد لله " قال لنفسه " سوف يوصلني الى القرية اذا ما اخبرته بانني خارج للتو من هناك. انه بالتاكيد سوف يرفض ان يتعاطى اجرا ولكن امي سوف تصر مرت هذه الافكار في ذهنه وهو يحاول ان يعدل وضعه على الشارع فنتج عن ذلك الم شديد سرى في فخذه الايمن " لا بد أنها كسرت " " سوف تقاضيه أمي اجرة مضاعفة " ولكن السيارة خيبت ظنه فقد واصلت سيرها ثانية ". وران صمت مخيف على الشارع كانت اشباح شجر السرو تتراقص في فسحة الفضاء بين عمارتين أمامه. عاودته صورة امه فرآها تذرف الدموع وقد التفت حولها جاراتها يواسينها فآلمه أن يسبب لها ما تعانيه الأن من حزن وقلق.

كان الليل شديد البرودة وكان سرواله قد ابتل تماما بمياه الشارع فاشعره ذلك بنوع من الاطمئنان بأن احدا لن يكتشف امر تبوله في سرواله. لقد اشغله ذلك عن التفكير برجله التي كانت تمزقها آلام حادة.

راوده القلق من جديد فها هو ملقى على ارض الشارع في هذه الليلة الباردة غير قادر على الاتيان بأي حركة وعلى مقربة منه كانت تقبع حاوية قمامة فاغره فاها باحتجاج ابكم. كان شارعا لم يعهده من قبل وحتى المدينة نفسها كانت مجهولة لديه فلم يزرها من قبل سوى مرة واحدة عندما جاء برفقة امه لزيارة جده في المستشفى." لا بد وانهم سيدخلوني المستشفى " "او ربما استشهد " نفرت الدموع من عينيه وهو يتصور نفسه محمولا على أكف الشباب يجوبون به شوارع القرية هاتفين " يا أم الشهيد وزغرتي " كان الامر بالنسبة له سيان فأهل القرية سيحتفلون به على اي حال. ومكانته سترتفع بين اولاد القرية وشبانها. كان ذلك الامر يمده بارتياح عميق وكان يداخله شعور بالنصر فقد

Digitized by Birzeit University Library

خاض تجربة قاسية بنجاح لم يكن يتوقعه ورغم آلامه ومأساته كلها فقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة عندما تذكر عيني الجلاد ووجهه وهو يقول "حسبناك مت يا ابن الشغموطة".

شباط ١٩٩٠

رحيل الناقد المصري البارز د.عبد المحسن طه بدر

القاهرة - خاص ب"الاتحاد" توفي هنا بعد مرض عضال، في أواسط آذار، الناقد الادبي البارز الدكتور عبد المحسن طه بدر، رئيس قسم اللغة العربية في كلية آداب القاهرة واحد الاعضاء البارزين في حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي في مصر.

وقد نعت الفقيد الكبير مجموعة من الفعاليات السياسية والاكاديمية والثقافية المتنورة في العاصمة المصرية.

ولد الدكتور عبد الحسن طه بدر عام ١٩٣٢ في احدى قرى مصر (السنطة - غربية). وكانت لنشأته الاولى اثرها في تبلور وعيه الاجتماعي الذي ظل منحازا الى قضية العدالة الاجتماعية. ومنذ ان دخل كلية الاداب في جامعة القاهرة عام ١٩٥٠ الى ان تخرج فيها عام ١٩٥٤ وعمل بها معيدا واستاذا ثم رئيسا لقسم اللغة العربية، الى ان مات وهو يحلم بمستقبل مشرق لهذا القسم.

يقول الناقد المعروف الدكتور جابر عصفور في تأبينه:" ظل عبد المحسن بدر يؤكد المعنى الاجتماعي للدراسة الاجتماعية. وبقدر ما كانت الواقعية ملاذه الادبي ومنهجه كانت الرواية هي النوع الذي عشقه والذي وجد فيه وسيلة من الوسائل الكاشفة والاكثر دلالة على العلاقة بين الاديب والواقع. واذا كانت النشأة الريفية جعلته اكثر ادراكا لقضية الارض من حيث عدالة ملكيتها والظلم الناتج عن علاقات ملكيتها في القرية فان هذا الادراك نفسه هو الذي جعله يخص الارض بكتابه المتميز عن الروائي والارض".

ويعتبر الفقيد من ابرز نقاد الرؤية الواقعية والمبلورين لمعناها، نظريا وتطبيقا. ومؤلفاته في النقد الادبي شاهدة على ذلك، ابتداء من رسالته عن "تطور الشعر العربي الحديث في مصر" (١٩٥٧) وكتابه عن "تطور الرواية العربية الحديثة"(١٩٦٢) ودراساته عن "الروائي والارض - حول الاديب والواقع" (١٩٧١) وأخيرا كتابه المتميز عن "نجيب محفوظ - الرؤية والاداة" (١٩٧٨). وهذه الكتابات كانت توازي اسهامه الحاضر والدال والرائد في الندوات والملتقيات والمؤتمرات واسهامه التخطيطي الموجه لمجلات مؤثرة مثل "المجلة" و"الكاتب" و"أدب ونقد".

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

لحظات حلم

عائشة المغربي

عندما وطئت قدماي ارض المطار، بدا لي كل شيء بحجمه الطبيعي، وكبرت في لهفتي عليك وتطاول في حنيني اليك، حتى أصبحت أبنية ومدارج المطار، في عيني، صغيرة صغيرة، لا أكاد أراها أو أحس بها.

حتى سمعي لم يعد يستوعب هدير محركات الأليات الصاخبة.

التقينا. لنروي عطش السنين التي لم اعرفك.

ونخمد أتون لوعة الزمن الآلي ونبقى معا. قطفت زنبقة روحي فتمرد ذلك الاحساس الكامن في داخلي وفي داخلك. فصرت في دمي قرنفلة تماما. انت كما حلمت بك وأردتك. بشعرك موسم ثلج دائم.

في نبرات صوتك رعشة وجد. اسمعها خفقات قلب تعيد صياغة تكويني.

خذني اليك!! لا تتركني للزمن، ولا نترك معا لحظة من عمرنا تمر فراغا. ولا تباعد بيننا مسافة، او مدى. عدوت أمامك بكل رعونة الطفولة، وكانت الأرض في حالة عشق لاهب مع المطر. حالة حب متسرع لا يمهل ولا يتمهل، ينهمر فوق جسد هذه المدينة اللا محدودة الأفق. حبال الاضواء الكاشفة تترامى على أقدام الشوارع فتبهت مصابيح الأرصفة الرطبة. وتبسم الغمزات في ظلام لندن المثير. السماء تمطر، ثوبي يمتص طاقته ويلتصق بي أكثر فأكثر، وجسدي يستصرخك، صامتا .. أحبك .. أحبك، والمطر لا ينقطع. خصلات شعري المبلل تقطر رذاذا. كحقول سنابل. وأنت يغمرني خريفك. يشدني إليك، كلما اقتربت مني، فنعبر معا صيف الشوق المتوهج فينا. ويزهر النوار، كالتماع بريق عينيك وتندمج الفصول ليكتمل العام. ننصهر من جديد ويذوب العالم كله فينا، يتلون الكون بلون الشفق ثم تهدأ العاصفة. نفترق. وترتسم خارطة الاغتراب على جرح قدرنا، السرير الصامت والأغطية المرتبة، وبقايا راسبة في فنجاني القهوة من ليلة الأمس، لا تشي بشيء، أغادر الفندق، تاركة في تلك الحجرة رسالة خرساء للزمن المجهول.

تحلق بي الطائرة من جديد وتبتعد بي عن الأرض. العمارات والقباب. والقرميد المظلل بالضباب، والشوارع الفسيحة تتضاءل وتتضاءل، وحلم، يعشش في مخيلتي، كان سيكبر. لولا انك وهم في رجل لا تتحقق فيه أمنية.

لا تبحث عني....

أرجوك لا تهاتفني.

واذكرني امرأة بلا عنوان .. امرأة من حلم دافيء، ما أن تهب عليه نسيمة رخاء. حتى يتلاشى كالدخان، لن أنسى ان أشكرك.

فاغفر لي تمردي على لقاء لمرة يتيمة.

كان فراقنا صعبا.

الدمعتان اللتان انزلقتا على وجنتيك خلقتا

Digitized by Birzeit University Library

عاصفة في البحر، فثار موجا صاخبا. هو ذا ربان الطائرة، يعلن، عبر المذياع الداخلي. اننا على وشك الوصول، وصوت المضيفة يختلس الحلم الجميل، ويردني الى الواقع.

مع انزلاق الطائر المعدني على مدرج المطار. يرسو احساسي على شاطيء الحقيقة، وينتشلني من بحر العواطف ليلقى بي الى أحضان رهبة اللقاء.

ومع ذلك، أرى وجهك في كل الوجوه. ألقاك في كل صالات الاستقبال. لقد أصبحت حنينا ... قابعا مقيما في قلبي وفكري.

ولكني سوف انسى إسمك. وأفرغ هذا البحر المتلاطم الأمواج عند مرفأي، من حلمي واحتراقي.

لماذا ... وبأي حق احترق فيك ومنك وأنت حب لم يعد له فيه أي أمل.

لانغز لدى عودتها من الولايات المتحدة:

الرأي العام الامريكي يشهد تحولا ملحوظا نحو التخلي عن الدعم الاعمى لحكام اسرائيل وسياستهم

حيفا - مكتب "الاتحاد" - اكدت المحامية فيليتسيا لانغر، رئيسة عصبة المواطن، لدى عودتها من الولايات المتحدة في أواسط آذار، ان الرأي العام الامريكي يقظ اليوم، اكثر من أي وقت مضى لحقيقة ان سيل الدعم المالي الذي تقدمه الولايات المتحدة لاسرائيل يستخدم في قمع الفلسطينيين في المناطق المحتلة وفي بناء مستوطنات جديدة في هذه الاراضي وفي منع احلال السلام. واشارت لانغر الى انها لمست هذا التغيير الجذري في الرأي العام الامريكي.

وكانت لانغر القت سلسلة من المحاضرات حول حقوق الانسان المهدروة في المناطق المحتلة وعمليات العنف التي يمارسها جنود الاحتلال والتقت عددا من رجال القانون الامريكيين وشخصيات اجتماعية اخرى واثارت اهتمام وسائل الاعلام الامريكية.

واوضحت لانغر ان دعوتها لاعادة فتح الجامعات الفلسطينية استقبلت بحراة. وفي الكلمة التي القتها امام طلاب جامعة "ويسكونسين"، التي دعتها لزيارة الولايات المتحدة، بالاضافة الى مجموعات فلسطينية ومنظمات انسانية اخرى، اشارت لانغر الى ان اوساطا معينة في اتحاد طلاب هذه الجامعة هي التي احبطت خطة توأمة الجامعة مع جامعة النجاح في نابلس."على كل حال - اضافت لانغر فان هنالك قطاعات لدى الجالية اليهودية الامريكية، كانت تدعم اسرائيل بشكل اعمى، تصب اليوم غضبها على ممارسات اسرئيل في الأراضي المحتلة وعلى رفضها (اسرائيل) التحدث مع قيادة الفلسطينيين م.ت.ف".

Digitized by Birzeit University Library

شعر

تحية
من أب الى إبنه في المعتقل

فؤاد حرب
الدهيشة

يؤرقني ويذبحني خيال
فبت لا تحركني مدام
أناديك اذا جاء صباح
فألمح من ثنايا الحجب ثغرا
وألمح من ثنايا الحجب وجها
سجون في العراء قد ترامت
وأبطال الحمى فيها تساموا
شباب سار في درب طويل
هم الركن الذي لولاه مادت
هم الغيث الذي إن عز غيث
هم الأنفاس للقلب المعنى
وليد السجن للأبطال فخر
من الظلمات في السجن الرهيب
ولا أصغي الى لحن مذيب
وأدعو طيفك عند المغيب
يبوح بكل مكنون غريب
عليه بشائر النصر القريب
غدت مأوى لشبان وشيب
يفوح أريجهم من كل طيب
الى العلياء في وجه خضيب
بنا الأرض في اليوم العصيب
سقى الأزهار في الحقل القشيب
هي الانفاس نبضات القلوب
فته فخرا بسجنك ياحبيبي!

١٩٩٠/٢/١٨

Digitized by Birzeit University Library

شعر

عيون لجباليا

هشام أبو ضاحي

(مهداة الى الطفلة فاطمة من مخيم جباليا التي فقئت عينها برصاصة اسرائيلية)

لفاطمتي
لزهرتنا
لطفلتنا التي ولدت على عتبات فرحتنا
لأجلك نزرع البيدر
أهازيجا
وإعصارا
فيا حبا ورثناه
ويا قمحا بذرناه
ويا وردا سقيناه
تنوح الريح لا نرحل
يجف الدمع لا نحزن
ينز الدمع والجفن
وتنتفض الأناشيد
وتغضب مقلتا تيار
وتصعد صرخة خمرية حرة
وتبقى وردة خضراء
ولا يبقى سوى الرفض
سوى الرفض
xxx
تباشير
تعالي يا سفوح القلب
لنزرع عيننا زعتر
ونصرخ في رصاص الموت

لنا عين
لنا زعتر
فآه يا شهيدتنا
وآه يا أميرتنا
فمنا الدم
ومنك العين
ومع زحفي
ستبقى تبرق الشارة
xxx
أيا وطني
أترفض أن تبيع الموت
أترفض رقصة التنين
أترفض أن تموت ببطء
أتعصر من بقايا العمر لو قطرة
أيا جرحي
ألا ترحم
فعيناها
ستلبس ثوبها الأبيض
وتصرخ في براري الرب باحثة
على وطن
وعن جفن
وعن حدقة
ومع شمسي

Digitized by Birzeit University Library

ستهتز البساتين
وتعلو أرضنا غضبي
ففي رجفاتها اختبلوا
ومع دمعاتها التحموا
ومن حدقاتها إنطلقوا
وفي الأرض التي أحببتم إنتفضوا
xxx
فعذراء
تحب الغوص في الأعماق
فتمضي رعشة مدفونة في الرمل
لتغمس وردها بالدم كي يزهر
تحاول أن تحب الصبر
وتعشق موتها الليلي
فتصلب لحمها اليافع
وترتفع راية الأحرار
تموت..تموت..ولا تغفر
وتزرع حبها للشهداء

مشهدان من القدس يوم ١٩٩٠/٣/٨

○ رجال الاطفاء في شارع صلاح الدين

○ السيارة التي قلبت في شارع صلاح الدين

Digitized by Birzeit University Library

شعر

موت
الى أحمد عبد

ماجد أبو غوش

كل هذا الليل
ملكك وحدك
هذه الشبابيك المضاءة
بعيون الصبايا
قلق الحواري
ارتعاش الياسمينة
في الليلة الباردة
كل هذه العباءة
ملكك وحدك!

لك الأغاني
دعاء الصبح
صهيل الشوراع
عند اشتداد الحر
والكر
والفر
كل هذا الحب
ملكك وحدك!

لك وحدك
خبئنا هذه الدمعات
لك وحدك
خبئنا هذه الشمعات
وهذه المناديل الحزينة
لك وحدك هذا الهتاف
كل هذا الغار
ملكك وحدك!

في أول الفجر
يعانق الندى
خاصرة العشب والتعب
وفي أول الفجر
عانق الشبابيك الفقيرة
دمك الملآن بالأزهار والشهب!

١٩٨٩/٨/١٥

Digitized by Birzeit University Library

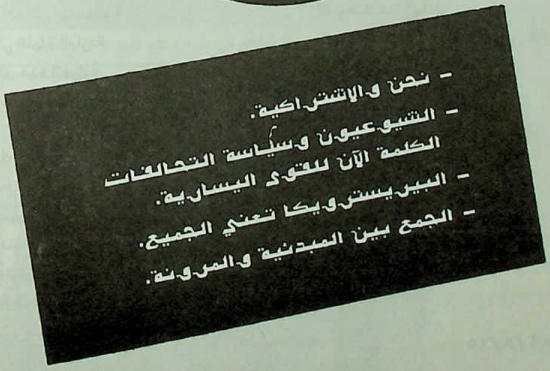

Digitized by Birzeit University Library

نحن والاشتراكية

جورج مارشيه

السكرتير العام للحزب الشيوعي الفرنسي

ثمة فكرتان يمكن مصادفتهما اليوم في اراء العديد من الصحفيين والشخصيات السياسية في فرنسا. اولا، يزعمون ان الحزب الشيوعي الفرنسي يخاف من اعادة البناء والاصلاحات التي بدأت في عدد من البلدان الاشتراكية. وثانيا، يعتبرون ان المصاعب التي تواجهها هذه البلدان تدل على انهيار الاشتراكية، وعلى ان الاحزاب الشيوعية ليس لها حق في الوجود...

وبالتالي، فان الفكرة الاولى هي كالاتي: مهما قال الشيوعيون فانهم في الاعماق غير راضين عما يجري في الاتحاد السوفييتي ويعتقدون ان الامور كانت افضل في الماضي... وعندما نرفض هذه المزاعم ونوضح اننا، بالعكس، نرحب بحرارة بالاصلاحات الجارية في هذا البلد الكبير، ونعرب عن دعمنا للشيوعيين السوفييت الذين يقومون باعادة البناء، يعترضون قائلين: "اجل، انكم تؤيدون غورباتشوف اليوم. ولكنكم كنتم بالامس راضين عن بريجنيف ايضا! فما ان يموت شيء في موسكو حتى تبادروا دائما، انتم الشيوعيين الفرنسيين، الى الاعراب عن الارتياح!"..

بيد ان الامر ليس كذلك ابدا! فخلال سنوات عديدة لم نكن "راضين" عما كان يحدث في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى. ولم نكتف بالصمت. فقد كنا نعرب على الفور عن قلقنا ازاء تطور الاحداث في هذه البلدان ونلح على اتخاذ تدابير عاجلة تختلف عن السياسة المتبعة.

ودون العودة الى احداث عام ١٩٦٨ وادانتنا لتدخل بلدان معاهدة فرصوفيا في تشيكوسلوفاكيا، نذكر اننا ادنا عام ١٩٧٥ الستالينية بوصفها "مجموع النظريات والاعمال الغريبة تماما عن مثلنا وعن السياسة التي نسير عليها". وقد اكدنا بذلك عزمنا على ان "ننتقد بصراحة مرة وكلما استدعت الضرورة، كل ما يمثل في رأينا ابتعادا عن مبادىء الديمقراطية الاشتراكية، ايما كان ذلك". لانه "لا يجوز القبول بان تلوث بالاعمال غير العادلة وغير

Digitized by Birzeit University Library

المبررة، المثل الشيوعية التي هدفها الرئيسي سعادة الناس". وفي عام ١٩٧٦ اعلنا في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي الفرنسي انه ظهرت "خلافات مع الحزب الشيوعي السوفييتي حول هذه المسألة". وفي عام ١٩٧٧ اعتبرت ان الحديث لا يدور "حول مسألة ثانوية بل مهمة بصورة مبدئية". اما جان كاناپا فقد اشار الى ان هذه الخلافات كانت تتعلق ب "فهم جوهر الاشتراكية". وفي عام ١٩٧٨، بينا في العمل الجماعي بعنوان "نحن والاتحاد السوفييتي" الذي اقترحته قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي للدراسة، ان القضايا الناشئة في الاتحاد السوفييتي لم تمس مسائل الديمقراطية فحسب. بل والتطور الاقتصادي والاجتماعي ايضا. وتحدثنا عن "ازمة المجتمع السوفييتي"، حيث كنا نعني بذلك "المرحلة التي تصل فيها التناقضات الداخلية الى درجة النضج، ولا تجد حلا لها". واعربنا عن الاسف لان "بقاء الاشخاص انفسهم في القيادة لفترة طويلة ولد نوعا من حالة الترقب". وفي المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعي الفرنسي وصلنا الى استنتاج مفاده انه لا تزال قائمة في الاتحاد السوفييتي "الطرق العملية والنواقص"، وكذلك المعضلات الجدية "المرتبطة بالاهمية الشاملة للديمقراطية، التي تعبر الاشتراكية عنها"، وكلها امور موروثة عن الماضي الستاليني.

وننتهي بذلك من تعداد الامثلة. فخلال المرحلة كلها، ابتدأ من اواسط السبعينات وحتى اواسط الثمانينات، كنا نشعر بالقلق من الوضع في البلدان الاشتراكية. لاننا كنا نفهم انها تأخرت في اتخاذ التدابير للرد على ما يسمى "التحدي المثلث" الذي تعين عليها مواجهته اي: "تأمين الفاعلية الاقتصادية، التقدم الاجتماعي، وتطوير الادارة الذاتية الديمقراطية". وقد اعلن ذلك في المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي الفرنسي.

وها هم اليوم في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى يباشرون في حل هذه المعضلات. وتشهد جميع ميادين حياة المجتمع غليانا. وكما قال ميخائيل غورباتشوف، البلاد تتغير. ونحن، الشيوعيين الفرنسيين، الذين انتظرنا هذه التحولات بمثل هذا الامل، نريد ان نقول "واخيرا"، وليس "يا للاسف" بصدد كل ما يجري هناك.

ولكن ربما يقال لنا: "حسنا، لقد تحدثتم عن ذلك. ولكنكم قلتم شيئا اخر في الوقت نفسه. لقد كنتم ترفضون الاقرار بان الاشتراكية سيئة. ولم تقطعوا الصلات بالشيوعيين السوفييت!".

وهذا صحيح تماما. ونحن لا نأسف لذلك ابدا.

الاقرار بان الاشتراكية سيئة؟ لم تراودنا هذه الغواية مطلقا. لقد كنا ننتقد، ولكن لم تغب عنا بتاتا مساهمة الاشتراكية في التطور التاريخي لهذه البلدان وللبشرية باسرها. (وسأعود الى هذه المسالة لاحقا.) لقد كنا نعرب عن القلق ولكن لم يتملكنا اليأس بالمرة، عندما كنا نفكر بمصير المجتمع الاشتراكي، ولم نفقد الثقة بقدرته على ايجاد القوى في داخله، تلك القوى التي تتيح له تذليل العقبات، التي كانت تعيق تحرير طاقته كلها. وعندما نرى اليوم كيف يقوم الشيوعيون السوفييت والشعب كله بعمل هائل لتجديد المجتمع، لكي يصبح اكثر اشتراكية وليس اقل، فاننا نقول لانفسنا: اننا بحفاظنا على الامل، لم نظهر التفاؤل فحسب، بل والفطنة ايضا.

اجل، لم نقطع في تلك الفترة الصلات لا مع الحزب الشيوعي السوفييتي ولا مع الاحزاب الشيوعية في البلدان الاشتراكية الاخرى، وعلى الرغم من الفوارق العميقة في الاراء فيما بيننا. لاننا نرفض هذا الخيار غير المعقول: اما الموافقة على كل شيء واما الامتناع عن اللقاءات والمناقشات والاعمال المشتركة، اذا كان ذلك ممكنا. فعلاقاتنا مع الاحزاب الاخرى لا تقوم على الاعراب عن مشاعر الولاء. انها علاقات بين

Digitized by Birzeit University Library

شركاء متساوين، مستقلين، يحتفظون بالفوارق. واحترام هذه الفوارق، ووجهات النظر المختلفة، عندما يصل الامر الى ذلك - هذا هو الشرط الضروري للحوار النزيه والمثمر، الذي يسمح بايجاد نقاط الالتقاء وبرنامج الاعمال المشتركة. ونحن نقيم هذا النوع من العلاقات بالذات مع جميع الاحزاب الشيوعية وحركات التحرر الوطني والاحزاب الاشتراكية والاشتراكية الديمقراطية، والتيارات الايكولوجية والمسالة والتقدمية الاخرى، ولا احد يفترض اننا نتفق معها على كل الامور.

الاستقلال، المساواة، عدم التدخل في شؤون بعضنا البعض، الاحترام المتبادل، الاقرار بوجود اختلافات في الاراء، على هذا الاساس الجديد بالذات اقمنا عام ١٩٨٠، بعد سنوات عدة لم تجر فيها لقاءات "القمة" بيننا، العلاقات مع الحزب الشيوعي السوفييتي، واعدنا عام ١٩٨٢ العلاقات مع الحزب الشيوعي الصيني. وخلال هذه السنوات كلها اتخذنا موقفا مبدئيا، نتمسك به في الوقت الراهن ايضا: "اننا نتضامن مع تلك الشعوب التي تبني المجتمع الاشتراكي. ويمكن قول الشيء نفسه عن وضوح تقويماتنا. اننا نحلل نشاطها من دون اية ترهات وتحامل، وهذا يتيح لنا الاعراب عن اراائنا وملاحظاتنا النقدية عندما نرى انه من المفيد والضروري فعل ذلك في صالح تحقيق مثلنا الانسانية العامة".

لنأخذ الان الملاحظة الثانية، اذ يقولون لنا: "لم تكونوا راضين بالامس، اما اليوم فانتم موافقون؟ الا يكفيكم القليل!؟. ويضيفون: "في الاتحاد السوفييتي لا يجد الناس ما يأكلونه، ويقتلون بعضهم البعض على اساس قومي... ذلك هو انجاز الاشتراكية! ان الرأسمالية افضل!".

تجدر الاشارة الى ان البلدان الاشتراكية كانت تلام لسبب اخر تماما: عدم احترام حقوق الانسان، وهو ما كان يحصل كثيرا جدا، للاسف.

اما الان فلم يعد هذا النقد ممكنا. اذ يجري الاعتراف بان المعارضة في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى يمكن ان تعرب عن رأيها، وتتسم الصحافة والانتخابات بطابع حر، وساخاروف كان نائبا شعبيا في الاتحاد السوفييتي، بينما تنشر مؤلفات سولجينتسيني في موسكو.

ولذا فان الحديث اليوم يدور حول المصاعب الاقتصادية والاثنية. لا يمكن نفي هذه المصاعب. ولكن هذا بعيد جدا عن الاستنتاج بافلاس الاشتراكية وتفوق الرأسمالية التام، الامر الذي يكرره اليمينيون باستمرار، بل قاله حتى احد قادة الحزب الاشتراكي!

لنعد الى الواقع. في تموز ١٩٨٩، جرى في باريس لقاء قمة "البلدان الغنية السبعة" في العالم الرأسمالي، كما يسمون انفسهم. لا يمكن نفي انها غنية بالفعل. لنأخذ فرنسا، على سبيل المثال: على امتداد قرون طوال، قبل حلول الرأسمالية بزمن بعيد، ظلت تضطلع بدور بارز في التاريخ وتقف في طليعة التقدم الفكري والاقتصاد. وتملك البلاد موارد مادية وبشرية كبيرة، ومستوى انتاجية العمل فيها عال جدا، ويرتفع باستمرار بفضل استخدام التكنولوجيا الجديدة. وفي عام ١٩٨٩ ارتفعت ارباح رجال الاعمال بنسبة ٢٠ في المئة، وتواصل البورصة ازدهارها. وبالفعل، ثمة في فرنسا اناس يعيشون في حالة ترف لا يتصورها عقل. ووصل الامر حد ان احد بيوت القمار على شاطىء اللازور اقترح على زائريه المراهنة بقيمة ١٠ ملايين فرنك!

ولكن باي ثمن تجنى هذه الارباح الطائلة؟ بتدمير كل ما يعيق نموها، والتضحية بفرص العمل وبانواع النشاط الاقتصادي والدراسات والتعليم المهني، التي تعتبر "غير مربحة" بما فيه الكفاية. وعن طريق الضغط المستمر على الاجور ومعاشات التقاعد، وتردي ظروف العمل،

Digitized by Birzeit University Library

والهجمات المتواصلة على المكتسبات الاجتماعية والحقوق النقابية، وكذلك بواسطة تبذير الاستثمارات التي تلتهمها التلاعبات المالية، او انتاج الاسلحة الاكثر تدميرا...

لا اريد التوقف طويلا عند هذا الامر، ولكن الواقع يبقى واقعا: **ان عدم العدالة العميقة والتناقضات في مجتمعنا الرأسمالي لا تزول، بل تزداد تفاقما.** ففي الوقت الراهن بلغت البطالة ١٠ في المئة من السكان النشطاء اقتصاديا، وتشير التوقعات الى انها ستصل الى ١١ر٢ في المئة عام ١٩٩٢. وتشعر ملايين الاسر بالاختناق حقا بسبب المصاعب الهائلة، وفي المقابل يؤكدون لنا ان سياسة التقشف سوف تستمر. ويتردى وضع الشغيلة والحماية الاجتماعية. وتقضي الخطط التي يجري اعدادها، بتوسيع عدم الاستقرار في عالم العمل. وينخر المجتمع الادمان على المخدرات وانعدام الامن والفساد والعنصرية. وكل شيء يشير الى ان هذه المآسي سوف تواصل انتشارها في المستقبل وتصبح فرنسا اكثر فاكثر مجتمع اللامساواة والقساوة والعنف. وهي تفقد استقلالها ووجهها يوما بعد يوم.

والنموذج المهيأ لنا جاهز: انه الولايات المتحدة الامريكية، اقوى دولة رأسمالية في العالم، فلا ضرورة هناك للنضال ضد نظام الضمان الاجتماعي، لانه غير موجود عمليا، والضمان التقاعدي قائم على التأمين الخاص، وهو ما يريدون تطبيقه عندنا في فرنسا. في الولايات المتحدة يعيش الفقراء في غيتو، وغالبا ما يمكن معرفتهم من لون بشرتهم. ويعيش اكثر من ٣٠ مليون امريكي، اي ١٣ر٥ في المئة دون مستوى الفقر، ووفقا للتوقعات الرسمية سيكون هذا مصير ربع الاطفال بحلول عام ٢٠٠٠. والمدارس الثانوية الجديرة بهذا الاسم، والجامعات هنا مؤسسات خاصة، وتتوقف نوعية التعليم فيها على الرسوم التي يدفعها الطلاب.

ولا يشارك ستة من كل عشرة مواطنين في الاقتراع، لشعورهم بالاشمئزاز من التلاعب السياسي. ويستخدم جهاز كشف الكذب لدى القبول في العمل، وعرف مؤخرا ان عدد الجرائم المرتكبة في المدارس والجامعات على اساس عنصري، ارتفع بنسبة ٥٠ في المئة.

ولكن هذه "بلدان غنية"! غير اننا نعلم ان الرأسمالية موجودة ايضا في المكسيك والبرازيل وفي جميع بلدان امريكا اللاتينية تقريبا. وهي تشمل عشرات الدول في اسيا وافريقيا، التي ظلت لتفرة طويلة ترزخ تحت النير الاستعماري لبلدان مثل فرنسا، ويهلك يوميا ٢٠ ألف طفل دون الخامسة من العمر من الجوع في هذه البلدان. الفقر المدفع، الاوبئة، الامية، البطالة الجماعية، المتاجرة باعضاء الاطفال، الفصل العنصري، القمع الدموي - هذا ما يميز الحياة في هذه البلدان... ان ثروة الدول الرأسمالية الكبرى هي، من بين امور اخرى، نتيجة لخنق بلدان "العالم الثالث" بالديون، ونهب الشركات فوق القومية لهذه الشعوب، وبقاء العبودية بواسطة انظمة الحكم الدكتاتورية القاسية، التي تخدم "البلدان الغنية".

نحن لا ننوي البحث عن الحلول في الرأسمالية في تلك اللحظة التي نؤكد فيها خطرها المميت، وحيث تثير المآسي التي تسببها في "العالم الثالث" والمستقبل اللاانساني الذي تعد شعبنا به، استنكارا وقلق ممثلي العديد من القوى الاجتماعية والمثقفين ورجال الدين. لا شك في ان الاشتراكية تواجه المعضلات. ولكن، التغلب على المآسي الهائلة التي لا تزال من نصيب ثلثي البشرية نتيجة التخلف وسيطرة الرأسمالية، يتطلب الاشتراكية بالذات، الاشتراكية التي اثبتت ولا تزال تقدم الادلة على التفوق على النظام الرأسمالي.

بالفعل، ينبغي مقارنة ما هو قابل للمقارنة: ففي بلد كبلدنا من الطبيعي تماما التصويت

Digitized by Birzeit University Library

لصالح ممثلي هذا الحزب او ذاك، وشراء ما يحتاجه المرء من المتاجر اذا ما توفرت النقود لديه. ولكن ما الذي كان ممكنا في البلدان الاشتراكية المعاصرة، في المرحلة التي كانت الرأسمالية او الاقطاعية قائمة فيها؟ وهل يمكن مقارنة مصير العمال والفلاحين الفرنسيين بوضع عمال روسيا وفلاحيها قبل عام ١٩١٧؟ ففي ذلك الحين كان قد مر اكثر من مئة عام على بيان حقوق الانسان والمواطن في فرنسا، والتعليم المدرسي غدا مجانيا، والزاميا قبل جيلين من ذلك الوقت. وكانت باريس "مشعل الحرية"، وكانت تسير فيها سيارات التاكسي والباصات وكان مطبقا فيها يوم العمل من ١٠ ساعات ويوم الراحة الاسبوعي الالزامي... اما في روسيا القيصرية فلم يكسب الناس الا حق التصويت، وكان تسع اشخاص من اصل عشرة اميين، والقسم الاساسي منهم كان خارجا لتوه من القنانة!

لقد شاء التاريخ ان تكون سمات التخلف البالغ هذه، مميزة للمرحلة التي انطلق منها المجتمع الاشتراكي. وفي عام ١٩٤٥ كانت الاراضي التي تقع عليها جمهورية المانيا الديمقراطية اليوم القسم الاكثر تضررا من المانيا بسبب الحرب. وفي عام ١٩٤٦ كانت المجر بلد "المليون متسول". وفي عام ١٩٤٩ كان الصينيون يموتون من الجوع. وفي عام ١٩٥٩ كانت كوبا مكانا فاخرا للهو الامريكيين ولبؤس الكوبيين. وحتى عام ١٩٧٦ القي على فيتنام من القنابل اكثر بكثير مما القي على جميع البلدان خلال الحرب العالمية الثانية كلها.

في كل دولة من الدول المذكورة كان من الضروري اعادة بناء كل شيء من جديد او بعثه من الانقاض. وقد تعين القيام بذلك، على الرغم من الضغط العسكري، السياسي والاقتصادي من جانب الدول الرأسمالية الاكثر غنى وقوة، وتدخلها في كل مكان تولد فيه الاشتراكية. ومع ذلك فان هذه المجتمعات، التي واجهت كل شيء، تمكنت من اطعام شعوبها، وقضت على الاوبئة والامية، واستطاعت بناء صناعة وزراعة عصريتين، واقامة نظام للضمان الاجتماعي والخدمات، لم يكن موجودا من قبل، وتوفير فرصة لحصول اعداد متزايدة من مواطنيها على المعارف والثقافة والرياضة. وهذه كلها معضلات لم يكن بوسع اي بلد تسيطر فيه الرأسمالية حلها. واؤكد، ما من بلد! وهكذا اثبتت البلدان الاشتراكية ان السير على طريق التقدم والتطور الاقتصادي امر ممكن من دون استغلال الانسان للانسان.

واذ نتحدث عن ذلك كله لا يجوز ان ننسى ان التخلف الثقافي والاقتصادي الذي ورثته البلدان الاشتراكية والتجارب التي عانتها، اثرت الى حد كبير في تطورها، فالماضي البيروقراطي لروسيا القيصرية، مثلا، انعكس دون شك على تاريخ الاتحاد السوفييتي. وانعدام اية تقاليد ديمقراطية ساهم في انبعاث قساوة العهود القيصرية وفظاظتها في مرحلة الستالينية. وقد جرى ذلك في بلد ادت فيه الحروب، ولا سيما الحرب ضد المعتدين النازيين، وضرورة اعادة اعمار الاقتصاد مجددا، الى تخصيص دور عظيم للدولة. فتحولت الطرق الاستبدادية في القيادة وتأليه الزعيم الى قاعدة. وعلى الرغم من هذه العيوب ومخلفات الماضي الرأسمالي. وغالبا ما قبل الرأسمالي، تطورت الاشتراكية باستمرار في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى. ولكن بما ان الحديث يدور حول اقامة مجتمع اشتراكي عصري، فان التشويهات التي وقعت تصبح عقبات من الضروري التخلص منها حتما. وهذا هو الهدف الذي وضعه الشيوعيون السوفييت امام انفسهم.

وتتردد اصوات تقول: "ولكن لماذا لا تتحسن الامور بصورة اسرع؟". اعترف ميخائيل

Digitized by Birzeit University Library

غورباتشوف في تموز ١٩٨٩ بقوله: "ان البلاد تعيش، من حيث الجوهر، مرحلة حرجة من البيريسترويكا. وقد اتضح لنا اكثر اليوم مدى خطورة الوضع الذي وصلت اليه البلاد في مطلع الثمانينات، والذي لم نخرج منه حتى الان. بل واكثر من ذلك، فان بعض عمليات التطور الاقتصادي والاجتماعي - السياسي ازدادت تفاقما".

فالقضية هي ان المهمة المطروحة هائلة فعلا. والحديث يجري، كما اوضح غورباتشوف، حول العودة الى "قيم الاشتراكية غير المشوهة: الديمقراطية، سلطة الشعب، العدالة الاجتماعية، حقوق الانسان". وبكلمات اخرى، يدور الحديث حول تطوير، واحيانا تكوين تلك الاسس للاقتصاد العصري، مثل تحسين التدبير والمبادرة الشخصية، وروح التجديد، والمهارة، والكفاءة والمهنية، والسعي الى تنويع الاستهلاك. ويتعين تحقيق ذلك ليس بالطريقة التي تجري في ظل الرأسمالية، اي على خلفية الحروب الاقتصادية بين الشركات فوق القومية العملاقة واللهاث وراء الارباح والخوف من البطالة. وعلى حد تعبير غورباتشوف، ينبغي تحقيق الهدف بواسطة انعطاف الاقتصاد "نحو الانسان، نحو حاجاته المادية والروحية"، مع تطوير مشاركة المواطنين النشيطة وتذليل غربة الانسان عن السلطة. ويعيق ذلك بصورة جدية الروتين وقوة العادة وحتى الكسل، والمعضلات التي كان يجري تجاهلها بالامس، والنزاعات الاثنية. خاصة وان قوى معادية للبيريسترويكا تشجعها، اي اولئك الذين يتحسرون على النظم السابقة، واولئك الذين يحلمون بعودة الرأسمالية.

وهكذا، فان المصاعب كبيرة جدا. ولكننا نشير بارتياح الى انها لا تثبط عزم الشيوعيين السوفييت ولا تمنعهم من السير قدما. ففي صيف ١٩٨٩ عقد البرلمان التمثيلي حقا، المخول صلاحيات جدية، دورته للمرة الاولى. واتخذت في صالح العدالة الاجتماعية تدابير ترمي الى تحسين الضمان التقاعدي والرعاية الطبية والتعليم، والغاء الامتيازات، والتعجيل في تطبيق الادارة الذاتية. واستقلالية المؤسسات، واعادة تنظيم النظام القضائي. وخلال النصف الاول من عام ١٩٨٩ ارتفع متوسط اجور العمال بنسبة ٧ر٩ في المئة والكولخوزيين بنسبة ٣ر٧ في المئة. ونحن على يقين من ان هذه السياسة تقود البلاد على الطريق الصحيح. صحيح ان ثمة صراعا عنيفا في الاتحاد السوفييتي. ولكن ذلك يجري ليس لان الاشتراكية تموّت في هذه البلدا. بل على العكس، انها تعيش شبابها الثاني!

ان البلدان الرأسمالية تدرك ذلك. واذا كانت تلح باستمرار على المصاعب التي يعانيها الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى، فان ذلك يعود الى الخوف من نجاحات الاشتراكية في المستقبل! وهي تعلم ان الرأسمالية، التي تعيش ازمة، يمكن ان تأمل في مستقبل زاهر اذا ما ظلت تنافس الاشتراكية الراكدة والمشوهة. ولكن لديها كل المسوغات للتخوف من المنافسة مع الاشتراكية العصرية والديمقراطية التي ينبغي ان ترسي البيريسترويكا اسسها. ومن الواضح تماما ان اولئك الذين يصرخون عن "افلاس الشيوعية" لا يصدقون اوهامهم كثيرا! فالمستقبل سيبين بالتأكيد ان الاختيار الذي فضله اولئك الذين قاموا بثورة اكتوبر في روسيا، والذين اسسوا حزبنا الشيوعي في فرنسا عام ١٩٢٠، كان صحيحا!

ومن اجل وضع مشروعنا الخاص لبناء المجتمع الاشتراكي واختيار الطريق المؤدي الى هذا الهدف، لم نعد منذ زمن بعيد ندرس اي "نموذج" اخر، قائم خارج حدود بلادنا. اننا نبذل الجهود من اجل بناء المجتمع الاشتراكي بالطريق الديمقراطي، هذا المجتمع الذي سوف يتفق بطبيعته مع حقائق فرنسا واذواق الشعب

Digitized by Birzeit University Library

الفرنسي وحاجاته وطموحاته اي الاشتراكية على الطريقة الفرنسية. وبالتالي، فاننا لا نفترض نسخ كل ما يجري في موسكو . ولكن تعالوا نتحدث بصراحة. عندما نرى ان الشيوعيين السوفييت يضعون امام اقتصاد بلادهم مهمة تلبية الحاجات الاجتماعية، ضامنين التشغيل الكامل وعاملين على التطوير الشامل للديمقراطية والادارة الذاتية ومشاركة المعنيين في اتخاذ القرارات، فاننا نعلن: ان هذه المبادىء يمكن ان تعطي فرنسا نتائج افضل من السياسة المتبعة في بلادنا، سياسة التقشف والبطالة والهجوم على مكتسبات الشغيلة وحقوقهم.

لقد تحدثت حتى الان عن الاتحاد السوفييتي، لان التحولات الجارية هناك تهم الرأي العام بالطبع. ومن البديهي ان التاريخ والوضع في البلدان الاشتراكية الاخرى في اوروبا واسيا واميركا ليست واحدة. فشعوب كل بلد من هذه البلدان تملك الحق في بناء المجتمع الاشتراكي الذي يتفق مع ظروفها.

ان فضل الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية المناضلة مع القوى المحبة للسلام في جميع انحاء العالم، يتمثل في التقدم التاريخي في ميدان نزع السلاح النووي والتسوية السلمية لعدد من النزاعات الاقليمية، والمفاوضات في الميادين الاخرى، وخصوصا حول خفض انواع الاسلحة التقليدية.

لا شك في ان هذه الانجازات لا تتم من تلقاء ذاتها. فالبشرية تكتسب بالتدريج الامكانات التي تتيح لها الارتقاء الى درجة اعلى في سلم الحضارة. ولكن ذلك يتحقق في خضم النضال العنيف ضد القوى التي تبني قوتها على استغلال الناس، وعلى عدم المساواة الاجتماعية، ونهب الموارد الطبيعية، واستعباد الشعوب وسباق التسلح. وقد اختار الشيوعيون الفرنسيون منذ زمن بعيد طريقهم في هذه المعركة العظيمة، التي تقف فيها قوى الماضي، سواء في فرنسا او في العالم كله، ضد من يناضل من اجل العدالة والحرية والسلام.

اننا نناضل من اجل حق جميع الرجال والنساء في ان يكونوا احرارا متساوين في ظروف الاستقلال والعدالة والحرية والنظام الاقتصادي الدولي الجديد، من اجل حق البشرية في العيش في عالم متضامن، خال من السلاح، وامتلاك ناصية التقدم العلمي - التقني والحفاظ على التوازن الايكولوجي.

واذ نناضل الى جانب كل من يعمل من اجل واحد من هذه الاهداف او اكثر، فاننا نقوم بالبحث عن سبل الحوار والعمل، سواء على المستوى الوطني او الدولي. اما بالنسبة لنا، فنحن على يقين من انه حان الوقت لاشكال جديدة من تنسيق الجهود المشتركة، او التي تقرب بين الاعمال في اوروبا وفي العالم باسره، تلك الاعمال التي تقوم بها القوى السياسية والاجتماعية والمسالة والدينية المختلفة، مع احترام خصائص كل واحد منها. اننا نرغب بذلك بحرارة، ونساهم فيه بكل امكاناتنا.

لا، ان المستقبل ليس للرأسمالية ابدا. انه للشعوب، لجميع القوى التقدمية، الديمقراطية والمسالمة، انه للاشتراكية!

شمرون:

الانتفاضة ستستمر

حتى لو حدث تقدم في المسيرة السلمية

تل أبيب - صرح الجنرال دان شمرون رئيس الأركان الاسرائيلي أمام لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست الاسرائيلي يوم ٢/٢١ أنه حتى في حالة حدوث تقدم في المسيرة السلمية في المنطقة فانه سيبقى هناك أعمال عنف واحتجاجات في المناطق المحتلة.

ورفض دان شمرون الاجابة على سؤال حول تصوره للأوضاع في المناطق المحتلة اذا وصلت المسيرة السياسية الى طريق مسدود.

Digitized by Birzeit University Library

الشيوعيون وسياسة التحالفات

الكلمة الان للقوى اليسارية

ميغيل اناكليتو جونيور *

ان الافكار والنظريات والاطروحات الاستراتيجية التي تحدد الوجه السياسي للقوى التقدمية الواسعة المناضلة ضد الاستغلال وتبعية اغلبية بلدان امريكا اللاتينية، تتميز بالتنوع الهائل وتتغير تبعا للوضع الملموس، وهي التي تملي عليها هذه او تلك من اشكال النضال. وبالطبع، لا يجري ذلك في منطقتنا فحسب، بل وفي انحاء العالم الاخرى ايضا. ولكن في امريكا اللاتينية بالذات تتجلى بوضوح سمة خاصة تميز الى حد كبير اليوم اتجاه المعركة المعادية للامبريالية: انها تأخذ شكل ثورة ديمقراطية ووطنية كمرحلة ضرورية على الطريق نحو الاشتراكية.

ان ذلك الهدف البديهي، كاكتساب الحريات الديمقراطية وتوسيعها والدفاع عن السيادة الوطنية مع التحديث اللاحق للاقتصاديات التابعة والمشوهة لبلداننا، يفسر تشابه الكثير من الصيغ لدى تحديد استراتيجية القوى التقدمية والثورية الاساسية في القارة.

وينبغي التأكيد بان هذه الصيغ تعكس، في العالم المتغير، مرحلة جديدة نوعيا من التطور. فالتقارب في وجهات النظر في مسائل النظرية يساهم في وحدة الاعمال السياسية ايضا. فلا يعتبر هدفا بحد ذاته، بل وسيلة وشرطا للتغلب على السيطرة الامبريالية، ولتوطيد جميع القوى القادرة على خلق المقدمات السياسية لانتصار الاشتراكية.

والحديث الان لا يدرو حول ان الثورة الاشتراكية تعقب الثورة البرجوازية حتما. اولا، ان النضال في سبيل الحريات الديمقراطية يلتحم عمليا في عصرنا بالنضال في سبيل الاشتراكية. فليس ثمة اليوم في امريكا اللاتينية ولا في انحاء العالم الاخرى، قوة سياسية ترفض السيطرة الامبريالية، الا وتعتبر نفسها مرتبطة بهذا الشكل او ذاك بالنضال في سبيل الاشتراكية. ثانيا، لا يوجد ادنى امل في ان تتمكن اية حكومة بقيادة البرجوازية من الوصول بالنضال

* عضو اللجنة التنفيذية للجنة الاقليمية للحزب الشيوعي البرازيلي في ولاية بيرنامبوكو

Digitized by Birzeit University Library

ضد الاحتكارات الامبريالية الى نهايته. فالبرجوازية في امريكا اللاتينية لم يعد لديها، بوصفها طبقة، ما يذكر بتلك الصفات السابقة التي تجيز لنا اعتبارها قوة ثورية ومحولة. بل على العكس، فانها "مرتبطة" اليوم بهذا الشكل او ذاك بالامبريالية وببناها. ومن جهة اخرى، فان ذلك القسم من هذه الطبقة، الذي يطلق على نفسه اسم برجوازية وطنية، لا يتمتع لا بالقاعدة الاجتماعية - السياسية الكافية، ولا بالقدرة الاقتصادية الضرورية، ولا بالارادة السياسية لمقاومة الامبريالية. وقد حاول الزعماء الشعبويون القيام بذلك في ايامهم، ولكنهم، عندما تعين عليهم الاختيار بين القطع النهائي مع النموذج الرأسمالي او التحالف مع الشركات فوق القومية، فضلوا الاستسلام، او اضطروا لذلك في الغالب. وفي المرحلة الانعطافية وجدت الشعبوية نفسها عاجزة عن الاجابة عن الاسئلة المطروحة، الامر الذي ادى الى التضليل التام للجماهير، التي كانت تدعم مشاريعها الاصلاحية عن وعي او غير وعي. والان، تتأرجح البرجوازية المسماة وطنية بين الخضوع الكامل للسيطرة الامبريالية، والمقاومة الخجولة للاحتكارات، عندما تتعرض هذه الاخيرة لمصالحها. بيد ان ذلك لا يعني ابدا انها سوف ترتمي، في مجرى التحولات الحقيقية، في احضان القوى التقدمية او ترضى بدور الحليف الخاضع لها. ومع ذلك، نظرا لعدم تجانس البرجوازية الوطنية، يمكن ان تنخرط بعض فئاتها الواسعة، بقدر كاف احيانا، في النضال المعادي للامبريالية، دون ان تتخلى عن مصالحها الطبقية، بالطبع.

ثالثا، ان الازمة البنيوية للرأسمالية، التي كشفت الى اقصى حد عن التناقضات بين السيطرة الامبريالية وحاجات تطور البلدان التابعة، وبالتالي فاقمت الصراع الطبقي، لا تترك للشعوب "في الاطراف" ادنى امكانية للتطور الحر في اطار النظام الرأسمالي.

رابعا، اخيرا، اذا اخذنا كل العوامل المذكورة اعلاه، في الحسبان، فانه يلاحظ ميل الى ان يجري تحقيق الديمقراطية الشعبية والاشتراكية مباشرة في مجرى العملية الثورية نفسها. وبديهي ان ذلك سوف يتوقف على الظروف الموضوعية والذاتية لكل بلد، وخصوصا على توازن القوى القائمة في اللحظة المعينة، وعلى نضج الطليعة الثورية ودرجة وحدتها وعلاقتها مع الجماهير الشعبية.

تذليل الخلافات

ان الشروط الاساسية لكي تتحول وجهات النظر المتطابقة حول مسائل الاستراتيجية الى وحدة ملموسة للاعمال، بدأت تنضج بقدر تخلينا عن بعض مظاهر الفئوية وادعاء الفرادة، وهي مظاهر مميزة عموما للعلاقات بين القوى السياسية التقدمية. وابتداء من النصف الثاني من السبعينات وخصوصا منذ بداية الثمانينات اخذ هذا الاتجاه يتعزز بوصفه نتيجة لعملية موحدة لتطوير واعادة صوغ البرامج الاستراتيجية الغامضة وغير المنسقة، التي ظلت خلال فترة طويلة تميز الحركة الثورية الامريكية اللاتينية.

فخلال الستينات والسبعينات ادت الخلافات في تقويم الوضع السياسي الى التفتت، الذي وصل في احيان كثيرة، ان لم يكن الى المواجهة السافرة، فالى العداوات المتبادلة، الامر الذي اثار غبطة (وكان لصالح) الطبقات السائدة، السائرة في ركب الامبريالية. والحق الجمود العقائدي للمسلمات النظرية، من جهة، واضفاء صفة مطلقة على بعض اشكال النضال وسبله، من جهة اخرى، ضررا جديا بحركتنا، لا تزال عواقبه المدمرة ماثلة حتى الان.

Digitized by Birzeit University Library

ان عدم التسامح والغرور، اللذين لا يتفقان ابدا مع الوزن السياسي الفعلي لبعض الاحزاب، فضلا عن الصراع المعزول عن الحياة من اجل الحق في الحصول على صفة الثوري الحقيقي، لم تفاقم الانقسام في معسكر القوى التقدمية فحسب، بل وابعدت عنها ايضا الفئات والمجموعات الاجتماعية، التي كان من الممكن ان تنخرط في الطائفة الواسعة من المنظمات المناضلة ضد السيطرة الامبريالية.

لقد انجبت نظرية العالم المنقسم نسخا ميكانيكيا للنماذج، وصخبا دعائيا، وانتشار الموضوعات التي لا تقبل الاعتراض وتدعي امتلاك الحقائق المطلقة، التي يزعم بانها عامة والزامية لانتصار الثورة. لقد كان هذا زمن الدفاع عن "الاحقية" الخاصة باي ثمن. وحتى تلك القوى التي بحثت في تلك الظروف عن السبل الجديدة، لم تتمكن من الوقوف بوجه قوة العادة والارتباك امام الخلافات العامة.

ان التفسير السطحي والمبسط للواقع الامريكي اللاتيني من مواقع متطرفة، والجذاب من حيث الشكل احيانا، ولكن غير العميق من حيث المحتوى، لم يصمد امام تجربة الزمن. وقد فقد اعتباره على الخلفية التي جرت في القاعدة الاقتصادية للنظام السائد وما رافقها من تطورات كثيرة في ميدان البناء الفوقي. وانهارت اللوحة الوهمية للعالم، النابعة من الخيال والرغبة والارادة فقط، وانهارت بنفس الخفة التي خلقت بها. وقد كان ذلك بالنسبة للبعض بمثابة انهيار للامال وادى الى ابتعاده عن النضال، بينما كان بالنسبة للاخرين حقبة حتمية من المعركة المعادية للامبريالية، التي يمليها طابع العصر نفسه.

وهذه العملية، مثل اي عملية اخرى في تاريخ طور البشرية، لم تجر بالطبع وفق نمط واحد ولا بصورة متزامنة، ولكنها هي بالذات التي كانت تحدد، كقاعدة، المواقف النظرية للقوى الثورية الواسعة في القارة واعمالها. ورفضت اغلبية الاحزاب الشيوعية دعم الطرق والتحركات الارادوية السائدة في الحقبة المذكورة. واذ اتهم الشيوعيون بالسلبية والاصلاحية، فقد كانوا اول من تعرض للانقسامات والانشقاقات التي وقعت في ذلك الحين.

انهيار اغلبية انظمة الحكم القائمة على القوة والانتقال الى الديمقراطية من دون تحطيم نظام السلطة، والاشكال الجديدة للسيطرة الامبريالية مع التخلي عن فرض انظمة حكم دكتاتورية ودعمها، والتغيرات في البنى الفوقية التي ادت الى ظهور فئات اجتماعية جديدة، ونشوء آليات اجتماعية - سياسية غير معروفة من قبل وفرت للحركة الشعبية امكانية التعبير بتمايز اكبر عن عدم رضاها في مواجهة الازمة الاقتصادية. **تلك هي بعض العوامل الحاسمة التي دفعت الاحزاب والحركات الثورية الاساسية في القارة الى اعادة النظر باطروحاتها الاستراتيجية وتجديدها.**

تأثير الوضع الدولي

ينبغي الاشارة ايضا في السنوات الأخيرة الى التحولات الايجابية في المناخ العالمي، التي اصبح الانفراج الدولي دليلا عليها. ويبدو ان العودة الى الحوار وفاعلية المفاوضات حول تهدئة النقاط الساخنة في الكوكب، تدلان على الانتصار النهائي للعقل. وينبغي ان نتحدث هنا عن ذلك التأثير الذي تمارسه التحولات العميقة الجارية في بلدان المنظومة الاشتراكية، وخصوصا في الاتحاد السوفييتي، على هذه العملية التغييرية كلها. لقد غدت نظرية استحالة انقسام العالم، نتيجة للتكامل الاقتصادي المتنامي والتبعية المتبادلة بين البلدان والشعوب، غدت البوصلة الامينة للتغلب على التوتر الدولي بفتح الافاق الفعلية

Digitized by Birzeit University Library

لنزع السلاح الشامل والسلام.

وعلى الرغم من مزاعم الايديولوجيين البرجوازيين، فان التناول الشمولي للبيريسترويكا يفترض اعتبارها ليس مجرد مسألة سوفييتية داخلية فحسب، بل ايضا ظاهرة ترتبط بالرؤية المتكاملة للبشرية المترابطة، مدعوة للتأثير بهذا الشكل او ذاك في مجمل منظومة العلاقات الدولية، في جميع مجالات النشاط البشري سواء في البلدان الرأسمالية او الاشتراكية، بما فيها امريكا اللاتينية بالطبع. ومن الناحية السياسية توطد البيريسترويكا الحركة الشيوعية العالمية وتساهم في استعادة علاقاتها التاريخية مع التيارات الاشتراكية الواسعة. ولدى التقويم الاوسع نرى انها تساهم في تلاحم جميع القوى الديمقراطية حول المهمة الانسانية العامة لتحقيق السلام الابدي.

نتيجة البيريسترويكا يمكن ان تتحول الاشتراكية الى سلاح جبار ضد قوى الحرب والرجعية، بحيث لا يحتاج الانتصار عليها الى رصاصة واحدة، الى غرام واحد من البارود، وتكشف البيريسترويكا لنا عن وجه الاشتراكية الحقيقي، وتؤكد حيويتها وقوتها، وتوقظ فيها الطاقة المفقودة وتؤمن التوسيع السريع لقاعدتها الاجتماعية ـ السياسية.

لم يعد الشيوعيون اليوم المدافعين الوحيدين عن الاشتراكية. فالتيارات والقوى السياسية والاجتماعية والدينية الجديدة تدعمها، وان كان ذلك من مواقع مختلفة، ومضادة احيانا لتعليلها العلمي. بيد ان الحقيقة تبقى حقيقة: فعلى الرغم من كل تنوع الاراء بدا ممكنا، لا سيما في السنوات الاخيرة، تحقيق التقدم في سياسة التفاهم الواسع بدلا من الصيغ البالية والمذهبية المتعالية، دون اي تنازل، بالطبع، في المسائل المبدئية.

تحالف من طراز جديد

ان الواقع نفسه في امريكا اللاتينية يثبت لنا ان "الوحدة في التنوع" ليست ممكنة وضرورية فحسب، بل اصبحت شرطا لا بد منه للنجاح الكامل للنضال المعادي للامبريالية ولتحقيق التحولات البنيوية.

ان القوى الثورية والديمقراطية والتقدمية في امريكا اللاتينية، في محاولة منها لعدم التخلف عن التغيرات الكثيرة على الصعيد الدولي وسعيا منها الى مواكبة الحركة الشعبية المطالبة بالحاح باجابات ملموسة عن امانيها وحاجاتها المادية والروحية، تعمل على امتداد السنوات الاخيرة على خلق حركة ذات محتوى اجتماعي ـ تاريخي جديد، يساعد وضوح اهدافها ونضجها السياسي على وضع حد نهائي للتشتت البرجوازي الصغير والنزعة الارادوية، اللذين ظلا سائدين بيننا حتى الفترة الاخيرة. والحديث هنا لا يدور حول التخلي عن هذا الشكل او ذاك من اشكال النضال، بل المهم تحديد ابعاده الراهنة، التي يشترطها السعي العام الى تصنيف جميع وجهات النظر المتطابقة. وسوف تتراجع الشعارات الفارغة والعقائد الجامدة لتحل محلها تدريجيا النظرية السياسية المجددة والممارسة الرامية الى تحقيق التحولات الفعلية في النموذج السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي عفى عليه الزمن.

ويقدر ما نتخلى بحزم اكبر عن النظريات الجامدة التي فرضها علينا حماة "نقاء" الماركسية، يظهر نظام جديد للتحالفات، ذات الطابع التعددي والديمقراطي في جوهرها، حيث لا تعود الحدود السياسية والايديولوجية تحدد من خلال النضال من اجل الهيمنة باي ثمن، او كما يجري في الماضي القريب، بواسطة النقاشات المعزولة عن الحياة، حول موضوع من يملك الحقيقة المطلقة.

والان، حين تم التخلي عن التجليات المهلكة للفئوية والجمود العقائدي والنظام الاوامري، تطرح في المقام الاول المصالح العامة ووجهات

Digitized by Birzeit University Library

النظر المتطابقة، الامر الذي يعكس طموحات اغلبية السكان الساحقة ومطالبها. وهكذا نشهد **ولادة تحالف تاريخي واستراتيجي لجميع القوى الثورية والتقدمية في امريكا اللاتينية.**

وفي الوقت الذي يصبح فيه الكيان الاجتماعي اكثر نضجا ويتشبع بالافكار الجديدة، تضيق به البنى الحزبية الصرف، على الرغم من الدور الذي تضطلع به الاحزاب السياسية بوصفها المنفذ الاساسي للتغيرات الاجتماعية - السياسية. بل على العكس: ان هذا الدور يتعزز بقدر ما تقدم هذه الاحزاب من خلال تفاعلها عبر اقنية كثيرة مع المنظمات الشعبية الجماهيرية (النقابات، اللجان الشعبية المحلية، الجماعات القاعدية المسيحية، الاتحادات النسائية، الخ)، بانهاض السكان لانشاء حركة جبارة قادرة على ان تصبح البديل الفعلي للحكومة وسلطتها.

ان احدى السمات المميزة للعملية المذكورة تكمن في كونها تتطور وفق مبادرة وبرامج التيارات الديمقراطية والثورية، التي لا تقف ضد الامبريالية فحسب، بل وتفضي خططها الى التغيرات الاجتماعية العميقة ايضا، هذه التغيرات التي تتيح الانتقال الى البنى الاجتماعية الجديدة، غير المرتبطة بالنظام الرأسمالي، على الرغم من انها لا تتطابق احيانا مع الاشتراكية العلمية او الماركسية بالكامل. ومن المفيد التذكير هنا بمثال نيكاراغوا، فالثورة الشعبية الساندينية ضمت مختلف التيارات الفكرية وشتى الفئات الاجتماعية تحت راية الوحدة الثورية. وهكذا، اثبتت في الممارسة ان التعددية والثورة لا تلغي احداهما الاخرى. وغدا هذا امرا بالغ الخطورة في مجال سيطرة الامبريالية. وليس من قبيل الصدفة ان الولايات المتحدة انهالت بكل جبروتها على هذه الدولة الصغيرة في امريكا الوسطى، معرضة اياها للحصار الاقتصادي والعدوان المسلح.

ولا شك في ان الاشتراكية، بوصفها نظاما اقتصاديا - اجتماعيا طليعيا، كانت وتبقى نتيجة لنشاط الانسان التحويلي الساعي الى الديمقراطية الحقيقية والسلام والتقدم الاجتماعي. ولكن في المرحلة الراهنة من تطور امريكا اللاتينية ونظرا لاختلفا درجة النضوج السياسي للقوى الديمقراطية والثورية فيها، فان هذه القوى ترى صلتها بالاشتراكية وتقدرها على نحو مختلف، ويكتسب هذا المصطلح نفسه تفسيرات مختلفة، الامر الذي ينبغي ان لا يعتبر البتة سببا او عقبة على طريق الوحدة حول برنامج حد ادنى مشترك، ديمقراطي، وطني ومعاد للامبريالية في جوهره.

الجهات والاحلاف

ان تكوين التحالفات ذات المعايير الجديدة، هو عملية تسير على نطاق واسع الان في معظم بلدان امريكا اللاتينية. في البداية تظهر هذه التحالفات عادة على شكل **ائتلافات سياسية انتخابية واسعة**، غالبا ما تكون على اساس برنامج حد ادنى مشترك، لا يحدد سلفا لا الايديولوجيا ولا الاهداف النهائية لكل واحدة من القوى المشاركة في الاتفاق.

وقد خلقت التجربة الايجابية المتراكمة والنجاحات التي حققتها هذه التحالفات الانتخابية، الظروف لانتصارات جديدة، اذ اتاحت لبعض "الجبهات" التحول من جبهات مؤقتة الى جبهات دائمة. اضافة الى ذلك، تمكنت هذه الجبهات، تبعا لدرجة الوحدة المتحققة، من تجاوز اطر التشكيلات المقامة بين الاحزاب وشمول مجموعة غير متجانسة من الحركات الجماهيرية المنظمة على الصعيد الوطني، مكونة على الاساس التعددي تحالفا واسعا معاديا للامبريالية من طراز جديد. وفي بعض البلدان التي يكتسب فيها النضال طابعا مختلفا، تتحول هذه العملية الى تحالفات عسكرية - سياسية، كما

Digitized by Birzeit University Library

هو الامر في غواتيمالا والسلفادور على سبيل المثال. ففي الحالة الاخيرة وصل الامر الى الوحدة المنظمة على شكل جبهة فارابوندو مارتي للتحرير الوطني.

ويمكن ذكر تلك التحالفات الانتخابية - السياسية ذات الطابع المؤقت او الدائم، مثل اليسار الموحد في شيلي، وحدة القوى اليسارية في بيرو، الجبهة العريضة في الاوروغواي. وتجري عمليات مشابهة في الارجنتين وكولومبيا والاكوادور وكوستاريكا وبنما وباراغواي وهايتي وجمهورية الدومنيكان وهندوراس. اما بالنسبة لكولومبيا فالتحالفات هناك تجري على مستويين: على المستوى الانتخابي - السياسي على شكل جبهة اتحاد وطني، وعلى المستوى العسكري - السياسي، على شكل لجنة تنسيق لمنظمات سيمون بوليفار للانصار.

ان اغلبية التشكيلات المذكورة تظهر، بالطبع، على قاعدة القوى اليسارية التي تتبنى بهذا القدر او ذاك الاشتراكية العلمية، ولكنها لا تكتفي بذلك باي شكل من الاشكال. **وعموما تضم هذه الحركات الجديدة ممثلي مختلف التيارات التقدمية، من بينهم الشيوعيون والاشتراكيون الديمقراطيون والليبراليون والقوميون والاشتراكيون بشتى انواعهم، والشخصيات الدينية والتقدمية، الخ.** وفي حالات نادرة فقط تكون القوى التي تعتبر نفسها يسارية خارج هذه العملية، اما بسبب الحماقة السياسية او نتيجة للنزعة الفئوية والسعي الى عزل نفسها. هذا ما حصل مثلا لمنظمة "سيندير و لومينوسو" في بيرو.

من البديهي تماما ان عملية انشاء التحالفات من طراز جديد تجري بقوة وباشكال مختلفة في مختلف بلدان القارة. ولكن، على الرغم من ذلك، فان الاتجاه العام الذي يشق طريقه في الظروف الامريكية اللاتينية الراهنة يبقى على حاله.

المثال البرازيلي

ان القوى التقدمية في البرازيل، ولا سيما تلك التي تعتبر الاشتراكية الهدف النهائي للنضال المعادي للامبريالية، لم تعثر حتى الان، للاسف على السبل الملائمة للتغلب على الانقسام. ففي احسن الاحوال تتم الوحدة حول شعارات عامة او بشكل تحالفات انتخابية آنية على الصعيد المحلي. ولا تزال تلاحظ في العلاقات فيما بينها عناصر التحامل والجمود العقائدي، على الرغم من انه بدأت تظهر مؤشرات تبعث على الامل للتخلص من هذا العيب.

ان التخلف السياسي العام للجماهير وانعدام الصلة الفعالة بين السياسة الحزبية والحركة الشعبية - وهي نتيجة للاتجاهات التسلطية في تاريخ المجتمع البرازيلي، التي تعود الى ولادته - ادت دون شك الى تأخير اقامة الجبهة التقدمية العريضة ذات الاهداف البرنامجية الواضحة، القادرة على توحيد القوى التي تتمتع بقوة كافية لاجراء التحولات الثورية. وتتيز البنى الحزبية السياسية في البرازيل مع استثناءات نادرة، بعدم الاكتمال، وتقام من دون اهتمام كاف حتى بتلك العناصر المهمة، كالوحدة البرنامجية والايديولوجية. ولا ينطبق ذلك على الاحزاب البرجوازية فحسب، بل وعلى الاحزاب اليسارية ايضا، كالحزب الترابالي الديمقراطي وحزب الشغيلة .

منذ بداية الثمانينات تمكنت النخبة السياسية بمهارة وبدون تحطيم جهاز السلطة من تحقيق الانتقال الى الديمقراطية، الامر الذي ادى الى ارتباك معين في صفوف اليسار البرازيلي. وبقدر ما كان ينهار نظام الحكم الاستبدادي، كان يتعاظم وزن العناصر المحافظة في الجبهة الواسعة المعادية للدكتاتورية، التي انشأتها في السبعينات الفئات السياسية الاكثر طليعية في

Digitized by Birzeit University Library

البلاد. وعندما غدا انهيار الدكتاتورية محتما اظهرت بعض العناصر اليمينية والموالية للامبريالية على المكشوف قدرة واضحة على التكيف، وتملصت علنا من نظام الحكم وانتقلت بسرعة الى صفوف المعارضة.

واذا كانت اعادة اصطفاف القوى هذه قد عجلت باحتضار النظام الاستبدادي، من جهة، فانها ساعدت القوى المحافظة، من جهة اخرى، على وضع يدها على عملية الانتقال الى الديمقراطية واخذت هذه العملية بعد ذلك تواجه صعوبات جدية. وقد سحقت "المحدلة" المحافظة الاقلية اليسارية المشتتة والمحرومة من الصلات الكافية مع الحركة الجماهيرية. وانذاك برز الخيار الاتي: البقاء في صفوف الجبهة (التي تحمل الان اسم التحالف الديمقراطي) بهدف مواجهة تأثير اليمينيين فيها، او القطع معها والبحث عن طريق خاص وبرنامج خاص للعمل؟ وقد انتصر الاقتراح الثاني باغلبية كبيرة. وينبغي القول ان هذا كان، من حيث المبدأ، خيارا صحيحا، ولكن منذ ان اصبح الشغل الشاغل انشاء وتأسيس احزاب جديدة في البلاد على حساب الحلف الواسع للقوى، الذي يمكن ان يواجه المحافظين، اخذت الامور تتطور في اتجاه خاطىء.

واؤكد ان الدور الذي خصصه التاريخ للجبهة المعادية للدكتاتورية استنفذ ما ان حققت هدفها المباشر المتمثل في اسقاط الدكتاتورية وعودة الديمقراطية. ولم يكن هناك مفر من ذلك، لانه بدأ يتكون اصطفاف جديد للقوى في اطار العملية الانتقالية.

ومع ذلك فان مهمات تطوير وتعميق الديمقراطية ذات الافق الاشتراكي التي تطرحها الحياة، اصبحت على جدول الاعمال منذ الان. **وهي تفضي الى اقامة جبهة او حلف تقدمي لا يشبه كل التشكيلات السابقة باي شكل من الاشكال. وبكلمات اخرى، حلف من طراز جديد يقوم على التلاحم حول برنامج وخطط سياسية محددة تتفق مع متطلبات الواقع الوطني والمصالح الشعبية العامة.** بيد ان هذه العملية تسير ببطء شديد، على الرغم من بعض الخطوات الملموسة نحو تحقيق الوحدة.

لا توجد سوى قوة سياسية واحدة قامت بشيء ما في هذا المجال، هي الحزب الشيوعي البرازيلي بشعاره لانشاء "حلف تاريخي للديمقراطية والتقدم". ولكن لم تتحقق نتائج ملموسة، في هذا المجال، حتى الان نظرا لضعف عمل الشيوعيين في الحركات الجماهيرية وبسبب المقاومة الخفية والسافرة من جانب الاحزاب والجماعات اليسارية الاخرى، التي لا تزال اسيرة العقائد الجامدة التي دحضها التاريخ. ومع ذلك، فان اليساريين البرازيليين لا يقفون في مكانهم. والدليل على ذلك نجاحهم في الانتخابات البلدية في تشرين الثاني ١٩٨٨. وفي الوقت نفسه لا يجوز الاستخفاف بحقيقة ان عددا كبيرا من الاصوات التي نالها اليساريون انما هي نتيجة السخط الشعبي الكبير على ما يسمى الحكم الانتقالي. وقد اخذ التصويت طابع الاحتجاج، اكثر مما كان عملا ايديولوجيا. ومن جهة اخرى، لا يجوز الاكتفاء بالنتائج الانتخابية فقط. **فمن الضروري السير ابعد على طريق انشاء جبهة عريضة على مستويات عديدة عبر توحيد جميع القوى الثورية والديمقراطية والتقدمية في المجتمع البرازيلي.** هكذا فقط يمكن تقديم البديل الواقعي من البنية الحالية للسلطة، المستندة بصورة اساسية على رأس المال الكبير المتحالف مع الامبريالية.

Digitized by Birzeit University Library

البيرسترويكا تعني الجميع

احمد دانسوكو

السكرتير العام للجنة المركزية لحزب الاستقلال والعمل السنغالي

كانت نهاية شهر آب ١٩٦٨ ساخنة في براغ. وبدا ان دروع الدبابات السوفييتية التي ملأت المدينة ستشرع بالانصهار، وقد تمركزت احداها مقابل المدخل الرئيسي لمقر مجلة "قضايا السلم والاشتراكية"، حيث كنت امثل حزبي في ذلك الوقت. ولم يكن الجو داخل المبنى نفسه اقل توترا، اذ كانت المناقشات حامية حول كيفية تقويم دخول جيوش خمسة من بلدان حلف فرصوفيا الى تشيكوسلوفاكيا، وماهية العواقب التي سيخلفها هذا العمل على الشيوعيين والقوى التقدمية في كل العالم وعلى مصائر الاشتراكية.

وتحدد موقفي الشخصي انطلاقا من اني انتسبت الى الحزب الماركسي الفتي حينذاك في بلادي في موجة الحماسة والامال التي ولدت في عام ١٩٥٦ المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفييتي وفضح عبادة شخصية ستالين. ودفعتني القناعة العميقة فيما يترتب من اضرار على الاجتياح العسكري لبلد ذي سيادة، تحت راية الدفاع عن الاشتراكية، الى ارسال برقية تضامن الى قادة تشيكوسلوفاكيا والحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي حينذاك أ. دوبتشك، ل. سفوبودا، أ. تشرنيك و ي. سمركوفسكي.

اعتقد ان رفاقنا اليوم في العديد من البلدان الاشتراكية يعانون محنة قاسية لانهم ثبتوا دورهم القيادي في دساتير بلدانهم وكفوا عمليا عن النضال من اجل كسب الجماهير، وفي سبيل ان تبقى افكار الاشتراكية وممارستها جذابة في عيون الناس. ولكني كنت في عام ١٩٦٨ في تشيكوسلوفاكيا واثقا، وانا على ثقة اليوم ايضا، من ان الاشتراكية هي حاجة موضوعية لتطور المجتمع وانه لا يمكن ارجاع العملية التاريخية الى الوراء. وكان "ربيع براغ" اول محاولة لاشاعة الديمقراطية والانسانية في المجتمع الاشتراكي، الامر الذي اختارته الاكثرية الساحقة من التشيك والسلوفاك. وقد قطع

Digitized by Birzeit University Library

الاجتياح هذه المحاولة وهزني بصورة عميقة، اذ ان تثبيت حق الاقوى يتناقض مع كل ما نهلته من الماركسية.

حتى عام ١٩٦٨ تمكنت الحركة الشيوعية من التغلب على بعض الخلافات الجدية داخلها. واقتربت اكثرية الاحزاب على قاعدة الاعتراف بان مسألة الحرب والسلام هي المسألة الرئيسية في العصر النووي، الامر الذي يحتم التأييد الكامل لجهود الاتحاد السوفييتي الهادفة الى الانفراج الدولي وتعزيز الامن الشامل.

ولكن اجتياح تشيكوسلوفاكيا يدل على نحو كامل تصور ملايين الناس حول السياسة السوفييتية. وكان هذا يعني بوضوح الطلاق مع افكار المؤتمر العشرين ومع نهج الاصلاحات في الاتحاد السوفييتي. واصبح ذلك واضحا جدا في اواسط السبعينات حيث حل الركود الذي اقترن بقمع كل الاراء الاخرى.

وفي المجال النظري تمت العودة الى الموضوعات القديمة حول ان بناء الاشتراكية يتطلب التكاتف ووحدة الاراء والتناولات. ونشأ تناقض بين رؤية الشيوعية بوصفها انعتاقا وتحررا كاملا للانسان وبين القمع الواقعي لحقوق الفرد وحرياته على الطريق الذي تم وصفه بانه طريق التقدم نحو هذا المثال.

ان اضفاء صبغة واحدة موحدة على المجتمع السوفييتي لم يؤثر تأثيرا شديدا في المجال السياسي فحسب، بل وفي الاقتصاد والعلم والثقافة ايضا. وساد النفاق والاستهتار اللذان يظهران بصورة حتمية عندما يحرم الانسان من امكانية التعبير بحرية عن آرائه وعندما يكون مقموعا وخائفا. وانطوى كل فرد على نفسه وانحسرت قدرات الناس الخلاقة الى دواخلهم، وكان ذلك خسارة للبناء الاشتراكي.

هذا ما رأيته في تشيكوسلوفاكيا ايضا في فترة ما يسمى "التطبيع". اذ ان الشعب، الذي انجرحت ارق مشاعره واصابته اعمال العنف والتنكيلات التي اعقبت ذلك ضد افضل ممثليه، انطوى على نفسه.

زد على ذلك ان الاجتياح لم يكن مبررا، فما عدا بعض الشعارات غير المسؤولة لم تلاحظ خلال فترة "ربيع براغ" اية مظاهر حقيقية معادية للشيوعية وللسوفييت. لقد كنا نعيش ونعمل مع رفاق سوفييت ونقضي معهم اوقات الفراغ. ولم نواجه اي عداء في شوارع براغ.

وحتى بعد دخول الجيوش الى براغ وعندما تم اقتراح اجلاء عائلات العاملين الاجانب في المجلة الى الاتحاد السوفييتي لغايات امنية رفضت ارسال زوجتي وابنتي الصغيرة الى موسكو لاني كنت واثقا ان التخريب لن يحدث على الرغم من شعور المرارة والسخط لدى سكان براغ. وتبين اني كنت على حق.

ومن المفهوم اني شعرت بالارتياح عندما قرأت في كانون الاول ١٩٨٩ بيانات البلدان الخمسة والحكومتين السوفييتية والتشيكوسلوفاكية، التي تدين التدخل الفظ في شؤون تشيكوسلوفاكيا الداخلية قبل ٢١ سنة. ولكن هذا الارتياح لا ينبع فقط من انتصار العدالة التاريخية. ذلك انني اعتقد ان اعادة التقويم الانتقادي لخطأ الماضي الفادح تشكل مساهمة مهمة في تطهير كل الحركة الشيوعية من مخلفات الستالينية ومرحلة الركود التي اضعفت، للاسف، الى حد بعيد، نفوذ الشيوعيين وافكار الاشتراكية في نظر الشعوب.

من الواضح تماما ان حركتنا، او بالاصح مجموعة الاحزاب الشيوعية والعمالية تعاني اليوم ازمة فعلية يمكن ان تكون الأعمق في تاريخها المتنوع والعاصف. لقد شملت خلافا للازمة السابقة في الستينات مثلا، كل الاحزاب تقريبا في البلدان الاشتراكية والرأسمالية المتطورة والبلدان النامية. يمكن لاحد الاحزاب

Digitized by Birzeit University Library

ان يتقدم الى الامام في مرحلة معينة، ولكن النجاحات، بما في ذلك في الانتخابات، تبدو مؤقتة لاننا لا نستطيع في اي مكان فرض استقرارها وتثبيتها لفترة طويلة، والعديد من الاحزاب التي كانت بعد الحرب ضد الفاشية قوى وطنية كبيرة، اصبحت اليوم قوى هامشية.

من الغريب ان حزبا جماهيريا ومؤثرا ومفكرا كالحزب الشيوعي الايطالي يعاني مصاعب ايضا. اذ ان العديد من المبادىء النظرية التي يمكن الاطلاع عليها اليوم في مقالات ميخائيل غورباتشوف وخطبه تجدها بهدا الشكل او ذاك في اعمال أ. بيبيرلينغوير. ان هذا السياسي والمفكر يستحق احتراما عميقا لانه وان لم يستطع تقديم حلول للقضايا التي يطرحها الواقع المعاصر فقد تنبأ بظهورها على اية حال. وعلى الرغم من ذلك فان الحزب الشيوعي الايطالي يراوح في مكانه. ولا دليل على ان هناك اندفاعا جديا الى الامام.

وفي "العالم الثالث" ثمة بعض الاحزاب الكبيرة حقيقة. ولكن يجب ان لا نصاب بالغرور: فلسنا نحن من يحدد سير الاحداث اليوم ابدا. ان هناك قوى اخرى، بما فيها الاحزاب البرجوازية، هي التي تضطلع بالدور المقرر في مصائر البلدان التي تعيش فيها اكثرية البشرية.

ولم يعقد السير التاريخي للاحداث في البلدان الاشتراكية اعمال الشيوعيين في كل العالم فحسب، بل وولد ازمة معينة في المثل ايضا. وخلال السنوات العشر التي تفصلنا عن القرن الحادي والعشرين لا يمكن ان ننظر الى الشيوعية بالشكل الذي تصوره ماركس ولينين والتجرد من كل ما هو جيد وسيىء حصل خلال السنوات التي تفصلنا عن ثورة اكتوبر.

اعتقد ان البيريسترويكا وحدها التي يمكن ان تنقذنا جميعا. ولكن تأثيرها متناقض. فهي من جهة تساعد على كشف اسباب الازمة وتقترح البديل. ومن جهة اخرى تخرج الى السطح عددا كبيرا من القضايا غير المحلولة وفي بعض الاحيان اخطاء اجرامية، مما قوض بشدة هيبة الاحزاب الشيوعية الحاكمة او التي كانت تحكم في بلدانها. فالناس يحملون هذه الأحزاب بالذات كل المسؤولية عن الوضع القائم والعديد منهم يفقد الثقة بها.

ومن المدهش، اضافة الى ذلك، ان المصاعب التي تعانيها البلدان الاشتراكية لا تؤثر تأثيرا سلبيا في صورتها في العالم الخارجي. وبالفعل فان العلانية والديمقراطية تبرزان العديد من قضايا الاشتراكية الحقيقية ولكن التعاطف من جانب الشعب ومختلف القوى السياسية في بلد مثل بلدي يزداد بشدة. عمليا وقفت الحملات المعادية للشيوعية في الصحافة. ونحن ندعى الى الكتابة في الصحف الرئيسية والى المشاركة في المناقشات التلفزيونية وغير ذلك.

يقول لينين: الحقيقة وحدها ثورية. ما هي الفائدة التي يمكن ان نجنيها من رواية الاساطير للناس ومحاولة اقناعهم في عصر الانفجار الاعلامي الراهن ان المواطنين السوفييت يتمتعون بكل ما يحتاجون اليه وان كل الامور تسير بصورة جيدة؟ وحتى لو حاولنا القيام بذلك فان الشعب لن يصدقنا. وارى انه لامر غير اخلاقي الكذب واخفاء الحرمان الذي يتحمله الناس في الاتحاد السوفييتي منذ ٧٢ سنة فقط من اجل تكوين صورة زاهية عن الاشتراكية في الخارج.

لا، لا اود ابدا ممارسة جلد الذات ولكن يجب ان ننظر الى الحقائق مباشرة. فخلال فترة طويلة جدا عرفنا الطريق الى الاشتراكية بوصفه قدرا الهيا او يكاد. وبالمناسبة فقد حذر لينين غير مرة من هذا الامر. ومن الواضح انه ينبغي خلال عملية البيريسترويكا التفكير نظريا بالافاق والعثور على مقاييسها الملموسة.

Digitized by Birzeit University Library

لقد اخطأنا طويلا في تقويم عمليات التطور الرأسمالي. ونظرنا الى كل صعوبة حقيقية بوصفها مظهرا من مظاهر الازمة العامة الثابتة، ولكن الحياة لم تؤكد ذلك. واكدنا ان الرأسمالية غير قادرة على التكيف مع متطلبات الثورة العلمية التقنية، الامر الذي تضمنه مباشرة برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي الذي اقره المؤتمر الثاني والعشرون. ولكننا نرى اليوم بوضوح انها هي بالذات، وليست الاشتراكية، التي تسير في طليعة التقدم العلمي والتكنولوجي والتطور الاقتصادي الاجتماعي عموما.

لقد نسينا نحن الشيوعيين - وهنا تقع المسؤولية بالدرجة الاولى على الاحزاب الشيوعية الحاكمة - موضوعة ماركس الرئيسية حول الدور الحاسم للعامل الاقتصادي، كم من الخطب المنمقة القيت من على المنابر العالية حول ضرورة دفع التقدم العلمي التقني وتحقيق اعلى انتاجية في العمل، ومع ذلك فالرأسمالية ما زالت تربح المباراة بين النظامين في المجال الاقتصادي.

لقد كان من الخطأ وضع الايديولوجيا في المرتبة الاولى. اذ جرى تعليم الماركسية اللينينية في كل مكان وكاد ذلك يشمل المدرسة الابتدائية. وقرروا في فترة معينة تكوين انسان جديد وتغيير نفسيته بصورة جذرية عبر الدعاية المكثفة. وكان ينقصنا استخدام منهجنا العلمي الخاص لتحليل التحولات في الوعي الانساني والتفكير بالحقائق الجديدة في كل المجالات. وسعى الشيوعيون الى تصوير الظواهر غير المؤاتية بالنسبة لهم وكأنها اما نتيجة لدسائس العدو الطبقي او امور ظرفية بحت، في الوقت الذي كان يجري فيه الحديث عن عمليات عميقة.

وظهر ان عواقب الاخطاء مأساوية. والتاريخ لن يسامح حركة سياسية واسعة كحركتنا بسبب تقويمها غير الصحيح للواقع وطرحها توجهات كاذبة. فكم مرة وعدنا انصارنا بانتصارات عظيمة ثم وجدنا انفسنا في الحضيض. وسمحنا للاخرين بالتقدم علينا. وببساطة فان الناس كفوا عن سماعنا في اكثرية البلدان الرأسمالية المتطورة على الاقل.

وتكمن مأساة الحركة الشيوعية في انها لم تستطع في الوقت المناسب ايجاد اجوبة سليمة على قضايا العصر الجديدة وقيادة الحركات القوية المعاصرة مثل النضال في سبيل انقاذ البيئة المحيطة ونظام اقتصادي دولي عادل. وما زلنا نتجاسر على ان نسمي انفسنا طليعة!

وتقلقنا كثيرا ظاهرة ان الاحزاب الشيوعية تشيخ في كل مكان. فالشباب في الغرب يميلون نحو "الخضر" ونحو مختلف انواع المنتديات الاجتماعية في اوروبا الشرقية. وتفقد اتحادات الشبيبة الشيوعية اعضاءها. وفي "العالم الثالث" حيث يشكل الشباب اغلبية السكان نادرا ما تصبح احزابنا جماهيرية. ففي السنغال كان تأثير الشيوعيين الذين حملوا افكار التحرر الوطني في سنوات النضال من اجل الاستقلال اكبر بكثير مما هو عليه الان. وليس قليلا عدد الشباب والشابات الذين يتقبلون منهجنا ويوافقون عليه ولكنهم لا ينتسبون الى الحزب. فكيف يمكن اقرار برامج طويلة الامد تتناول القرن الحادي والعشرين من دون ثقة في انها تلائم الشبيبة. فعلى عاتق هذه الشبيبة بالذات يقع تنفيذ هذه الخطط المقررة. ولكن مع الاسف لا استطيع ان اقول ان هذه الثقة موجودة.

بالارتباط مع ما تقدم ثمة جانب اخر من جوانب الازمة التي تعانيها الحركة الشيوعية هو الجانب التنظيمي. اذ ان طراز التنظيم الذي نشأ ايام لينين بوصفه اداة للاستيلاء على السلطة قدم ما عليه واستنفذ اغراضه الى حد بعيد. وقد تكون في بداية هذا القرن، حيث لم يكن النظام الديمقراطي المتطور موجودا وجرى حل مسألة السلطة بواسطة القوة وصولا الى استخدام الكفاح المسلح. اما اليوم فان الوضع مغاير تماما.

Digitized by Birzeit University Library

فالعالم يرفض بازدياد لا سلاح التدمير الواسع فحسب، بل والعنف واساليب العنف في حل القضايا ايضا.

وليس صدفة الا تحصل اي ثورة او حركة تحررية في العقدين الاخيرين على تأييد قوي ومتواصل شبيه بالتأييد الذي حصل عليه الشعب الفيتنامي سابقا. فعدد الناس اليوم الذين يشاركون في مظاهرات منظمة العفو الدولية اكثر من المشاركين في اجتماعات وفعاليات التضامن الاخرى التي ينظمها الشيوعيون عادة. لقد تغير الزمن واصبح الوعي الاجتماعي مختلفا كذلك، كما اصبح مختلفا احساس كل انسان في كوكبنا والعالم.

ان رفض العنف يرتبط ارتباطا وثيقا بتقدم الديمقراطية الى المرتبة الاولى بوصفها، على ما اعتقد، اهم قيمة انسانية. وهنا تحول طراز التنظيم، الذي يرهن في وقت ما عن فاعليته، من وسيلة لتعبئة الجماهير الى معرقل في طريق الحركة الشيوعية. ان هذه المسألة تبعث في حزبنا بحثا مستفيضا ولكنني حتى الان لا اعرف كيف يمكن الخروج من هذا الوضع. وعلى كل حال، اعتقد ان مبدأ المركزية الديمقراطية ينبغي الا يتحول الى اداة لاخماد الافكار الجديدة ومعاقبة من يختلف في هذا الامر او ذاك مع الاكثرية.

فاليوم ينتسب الى الحزب اناس مختلفون تماما عن الذين كانوا ينتسبون اليه منذ عقود من السنين. فالشيوعي حينذاك وهب نفسه لفكرة واحدة ولقضية واحدة. اما الشيوعي المعاصر فهو متهدد، فيمكن ان تتعدى اهتماماته كثيرا اطار الهموم الحزبية. وهو مستعد للنضال مع الجميع من اجل اجراء تغييرات ايجابية في المجتمع، ولكنه يحتفظ بحق العمل ليس في السياسة فحسب، بل وفي المجال الايكولوجي والاخلاقي - المعنوي وفي جوانب عديدة اخرى من الحياة الفعلية في نهاية القرن الحالي. وفي ظل ذلك ينبغي ان يشعر بالارتياح داخل الحزب.

لا أنوي تصوير طراز التنظيم الموجود لدى التيارات السياسية الاخرى بصورة مثالية. الاشتراكيون الديمقراطيون، مثلا، يبنون حزبهم، كالعادة، حول شخصية قوية. ولكن لا تنشأ في ظل ذلك عبادة الفرد لان البنية الحزبية تبقى مرنة والممارسة صبورة، اما عندنا فقد تكون وضع يؤدي فيه كل نقاش مهم حول المسائل المبدئية الى طرد المعارضين من الحزب او تحويلهم الى "مهاجرين داخليين" في المنظمة. هذه هي بعض اسباب ومظاهر ازمة الحركة الشيوعية، اكرر، ازمتها العامة. وقد شملت ايضا الاحزاب التي ايدت في بداية الستينات التعايش السلمي، وتلك التي دعت، اقتفاء لماو، الى "محاصرة الريف للمدينة". وهذه الازمة تعانيها الاحزاب التي ايدت التدخل في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ والاحزاب التي ادانت هذا التدخل بقوة، كما حصل بالنسبة للتدخل السوفييتي في افغانستان الذي جرى بعد مرور ١١ سنة على ذلك، كنا نود تثبيت دورنا القيادي او الطليعي ونسينا مبدأ ماركس المعروف بان الجماهير وليس الاحزاب هي التي تصنع التاريخ. فاما ان نجد الطريق اليها او نتحول نهائيا الى قوة هامشية. وليس ثمة افق اخر.

اسس حزب الاستقلال والعمل السنغالي مثقفون انحدروا من بيئة برجوازية صغيرة. ولكننا استطعنا كسب ثقة الطبقة العاملة واصبحنا القوة الثانية، بعد الحزب الاشتراكي الحاكم، في الحركة النقابية. ويعود الفضل في ذلك الى حد بعيد الى اننا تخلينا بحزم قبل ظهور البيريسترويكا بوقت طويل عما يسمى النقابية الحزبية وعن التفسير الضيق لموضوعة النقابات بوصفها محطة لنقل الحركة الى مستوى اعلى.

ولكني لا اود خلق انطباع ان سياسة الحزب الصحيحة في المجال النقابي تحل كل قضاياه.

Digitized by Birzeit University Library

اولا، ان التعاطف الذي يظهره العمال لم يؤد حتى الان الى ازدياد عدد العمال المنضمين الى الحزب. ثانيا، ان سياسة "التصحيح" في المجال الاقتصادي والتخلي عن مذهب الحماية الجمركية يؤديان الى تدمير حقيقي للصناعة في البلاد. ففي عام ١٩٨٩ اقفل معمل شركة "باتا" للاحذية ابوابه، وهو من اقدم المؤسسات في السنغال. وخلال السنوات الخمس التي اعقبت انعقاد المؤتمر الثاني لحزبنا انخفض عدد الطبقة العاملة في بلادنا بصورة جوهرية.

اوافق على انه من المهم بالنسبة للشيوعيين توسيع القاعدة الاجتماعية لاحزابهم. ولكني اعتقد انه من الأهم انتهاج سياسة تخدم مصالح الشغيلة. وفي البلدان الضعيفة التطور والمحدودة الموارد يجب على حزب الطبقة العاملة الاهتمام في المقام الاول بمصالح الامة. ونحن نعاني سيطرة الامبريالية ولكننا ندرك ان التحرر منها ليس مسألة الغد. والمسألة الوحيدة التي يمكن ان نقوم بها واقعيا هي مسألة توسيع مجال الاستقلال حيثما كان ذلك ممكنا. وتكمن مأساة السنغال الفعلية في تبعيتها للمساعدة الغذائية. فاذا لم تصل الباخرة المحملة بالارز الى داكار تحل المجاعة لاننا لا نزرع هذه المادة الغذائية الاساسية في السنغال.

من هنا تنبع الاهمية الخاصة لهمة العمل مع الفلاحين الذين يشكلون الجمهور الاساسي من سكان البلاد وقوة عملها الرئيسية. وليس لدينا ثروات غير الارض، وبصرف النظر عن المشاريع السياسية التي نصوغها ينبغي، بالدرجة الاولى، فلاحة الارض وجمع المحصول. وحتى لو قررت الاحتكارات ما فوق القومية غدا فتح فروع صناعية لها عندنا فان ذلك لن ينقذ البلاد: فهي لا تملك موارد ولا اموالا للتصنيع الحقيقي، وهي في احسن الاحوال تستطيع تصنيع السلع الزراعية. واذا حققنا الاكتفاء الذاتي من الارز فسيكون ذلك انتصارا تاريخيا.

لدى حزب الاستقلال والعمل السنغالي برنامج نقترحه على الفلاحين وهو يجد تفهما من جانبهم. وقد مكن تأييد سكان الريف لنا من ارغام السلطة على اخذنا في الاعتبار. وفي كل قرية يأتي الناس لسماع كلماتنا. ومن الاهمية بمكان بالنسبة للمؤمنين، وهم الاكثرية الساحقة في الريف، ان يقوم زعيم الشيوعيين معهم بزيارة الاماكن المقدسة وان يلتقي بانتظام مع زعماء المسلمين وكاردينال الكثوليك.

وفي بلادنا يعترفون بالدور الوطني لحزبنا، ومن بين اولئك الاشتراكيون الذين يتمسكون بزمام السلطة. وقد اعلن هذا عبدو ضيوف، السكرتير العام للحزب الاشتراكي ورئيس الجمهورية خلال المؤتمر الاخير لهذا الحزب واكد انه مستعد للعمل معنا وانه يمد لنا يده التعاون. والحوار يجري بين حزبينا بشكل مكثف ونحن لا نعتزم قطعه على الرغم من المصاعب التي تنشأ.

يجب ان نعالج، بالدرجة الاولى، القضايا التي نستطيع حلها وليس التنبؤ بما سيقوم به الشيوعيون في منتصف القرن الحادي والعشرين. والمسألة المهمة اليوم: ما هي الحلول التي يستطيع الماركسيون السنغاليون تقديمها لشعبهم في وجه الازمة التي تعانيها البلاد، وهل ستكون هذه الاقتراحات مقنعة بصورة كافية لكي تحظى باهتمام القوى الاخرى وتحقيق الوفاق والتعاون.

لذلك فاننا نتحدث على كل المستويات - مع الفلاحين والعمال ورجال الاعمال والزعماء الدينيين والسياسيين، بما في ذلك الحزب الحاكم: تعالوا نجلس حول "طاولة مستديرة" وليأت كل طرف بمشاريعه الخاصة. ونحن اذ نقترح مشروعنا نؤكد انه ليس سوى فرضية وليس حلا جازما. لان الحل النهائي لاصعب القضايا التي تواجهها البلدان الافريقية ليس

Digitized by Birzeit University Library

موجودا اليوم عند احد، لا عند اليمين ولا عند اليسار، وليس موجودا في مؤلفات العلماء البرجوازيين ولا في اطروحات الماركسيين.

ان اكثرية دولنا تعتبر تكوينات اصطناعية. وما دامت مسألة بقائها مطروحة بدون حل فلا يمكن التحدث حول اي ثورة. وما دام لا يمكن انقاذ البلاد من خلال تقديم مطالب فئوية ورفع بعض الفئات الاجتماعية الى المرتبة الاولى، فمن الضروري تكوين رؤية وطنية **واجماع الامة.**

لنفترض ان الحكومة ستسقط غدا فمن سيحل محلها؟ اذا كنا نحن فماذا سنفعل وما هو الوقت الذي سيسمح به الشعب والتاريخ لنا لكي نختبر الفرضيات غير المتقنة؟ لهذا نقول اننا مع اجراء التحويلات ولكننا نهتم بالدرجة الاولى **بالمحافظة على الاستقرار.** هذه مفارقة ولكنه منطق الحياة.

خلال الجولة الاولى من المحادثات مع الحزب الاشتراكي اكدت ضرورة السعي الى حياة سياسية متحضرة من اجل تجنب البربرية التي تهددنا. فالكلام لا يمكن ان يدور حتى حول حرب اهلية، حيث ثمة كالعادة معسكران واضحان متصارعان داخل البلاد، بل حول وضع يشبه اكثر ما يشبه الطراز اللبناني مع خليط مشوش من القوى التي لا تخضع لاي رقيب. واكرر، مرة اخرى، من الضروري قيام **اوسع اشكال الديمقراطية** التي توفر امكانية تعبير الجميع عن آرائهم ومصالحهم بالوسائل السياسية. ويوافق العديد في بلادنا على هذه الفكرة.

اعتقد انه بعد ثورة اكتوبر وصف الجناح الثوري في الحركة العمالية، بصورة احادية الجانب تماما، الحريات البرجوازية بانها امر شكلي. وبرهن التاريخ وتجربة الشعوب ان المسألة ليست كذلك. اذ ان حرية الكلام والتنظيم والتظاهر والتنقل داخل البلاد وخارجها مكتسبات اساسية كان عدم تقديرها غير ممكن. يضاف الى ذلك انه جرى دائما ضمنا نحن الشيوعيين الى الانظمة السائدة في البلدان الاشتراكية، حيث لم يتمكن الناس من الافصاح عما يفكرون به، وحيث حرموا عمليا من كل الحقوق التي ناضلنا من اجلها في بلادنا. وقبل الانفجار الاعلامي كان من الممكن التذرع ب "الدعاية البرجوازية الكاذبة"، ولكن الامر اصبح ببساطة مضحكا بعد ذلك.

لقد ظهر ان الاشتراكيين الديمقراطيين على حق، اذ استطاعوا رفع راية القيم الانسانية العامة اعلى من الجميع. على الرغم من انهم، عندما يكونون في السلطة خاصة لا يظهرون دائما بافضل مظهر ابدا، فمنهم مثلا من خاض الحروب الاستعمارية "القذرة". ولكن ذلك جرى خارج الحدود الوطنية ولم يؤثر طبعا في شعوب بلدانهم كما حدث بالنسبة لاعمال التنكيل الستالينية في الاتحاد السوفييتي.

لقد اتهمنا الاشتراكيين الديمقراطيين دائما بالاصلاحية ووضعنا انفسنا في موقع الثوريين الثابتين. ولكننا نسينا تحذيرات لينين المتكررة من انه من الضروري التمييز بحزم بين الاساليب التي يجب استخدامها لتحقيق هذا الهدف السياسي الملموس او ذاك، ومتى يجب استخدامها. **والحزب الذي يريد القيام بالثورة كل يوم محكوم عليه ليس بالفشل في النضال ضد العدو الطبقي فحسب، بل وبالانهيار الداخلي ايضا.**

لقد استخدام الاشتراكيون الديمقراطيون بصورة صحيحة ميول الناس الطبيعية. فالشعوب تقوم بالثورة مرة وربما مرتين خلال قرن بصرف النظر عن نجاحها او فشلها. ولكن الجماهير، وليس النخبة فقط، هي التي تريد دائما وكل يوم تحسين الوضع وتطالب بالاصلاحات. ونحن اذ رفضنا هذه الاصلاحات من حيث المبدأ في حينه "رمينا الطفل مع مائه".

Digitized by Birzeit University Library

واليوم اذ نعترف بذلك يمكن ان نجد حول العديد من المسائل المبدئية ليس نقاط التقاء فحسب مع الاشتراكيين الديمقراطيين بل وان نتفق معهم ايضا.

لقد وصفنا دائما الحزب الاشتراكي في السنغال بانه حزب يمثل مصالح البرجوازية البيروقراطية والطفيلية. ونشر البنك الدولي قائمة باسماء الاشخاص الذين كدسوا رؤوس اموال كبيرة لا يريدون توظيفها في تنمية البلاد بل ينقلونها الى الخارج لاستخدامها في المضاربات المالية. وقد افلس اكثر من عشرة بنوك سنغالية نتيجة للاختلاس. وتقع في ايدي حفنة من الاثرياء موارد تعادل تقريبا الميزانية السنوية العامة.

ولكن هذا التقويم للحزب الاشتراكي لا يمنع ادراك طبيعته المتناقضة. وهو كالحزب الديمقراطي المسيحي في ايطاليا يمثل مصالح البرجوازية ولكن لا يزال في الوقت نفسه اكبر قوة سياسية في البلاد تسير خلفها الاكثرية الساحقة من الشعب طوال تاريخ وجودها. والحزب لا يستطيع الا يأخذ في الاعتبار ميول قاعدته الحزبية التي تتكون من العمال والفلاحين وليس من الفئات البرجوازية الصغيرة في المدينة والريف فقط.

لقد اثر الانضمام الى الاممية الاشتراكية تأثيرا عميقا في الحزب الحاكم. ولهذا بالضبط وافق الرئيس السابق ليوبولد سنغور في حينه على اعتماد نظام التعددية السياسية. ونحن نعتقد ان اشاعة الديمقراطية في البلاد خلقت ظروفا افضل للدفاع عن المصالح الشعبية. وداخل الحزب نفسه تجري عملية صراع حامية وتظهر بقوة متعاظمة قوى تريد تجديد الحزب وجعله حزبا اشتراكيا ديمقراطيا فعلا. وانصار هذا النهج يتفقون معنا حول العديد من المسائل.

بعد الانتخابات الاخيرة (شباط ١٩٨٨) تفاقم الوضع في البلاد بحدة وهدد بالانفلات من اي رقابة. وبالرغم من تعرض بعض القادة السياسيين، وانا منهم للاعتقال لفترة قصيرة فقد استطعنا تجنب الوقوع بما هو اسوأ، اي طغيان التنكيل والعنف. وهنا ارى ايضا سعي الحزب الحاكم الى الحفاظ على وجهه الاشتراكي الديمقراطي الجديد في البلاد والعالم. ولكن خيار الحزب الاشتراكي في انتهاج سياسة "التصحيح" بدون الوقوع في تجاوزات الدكتاتورية. والحياة ستبين هل سيبقى على هذا الطريق المعقول ام ان القوى المتطرفة ستحرف سير الاحداث باتجاه قمع المعارضة بواسطة العنف.

لقد تعودنا ان على المعارضة ان تقف بالضرورة ضد كل التدابير التي تقترحها الحكومة. فقد تكون نوع من انواع **اوتوماتيكية الانكار**. ولهذا بالتحديد اثار القرار الذي اتخذه حزبنا حول البدء بالمحادثات مع الحزب الاشتراكي في ذروة الازمة صدمة حقيقية داخل الاوساط السياسية في السنغال. فالكل كانوا يعتقدون اننا لن نقدم على هذه الخطوة ابدا ونسوا ان الحزب الجدي يحلل الوضع الواقعي داخل البلاد وخارجها ويحدد لنفسه ما هو ممكن وما هو مستحيل. وانطلاقا من ادراك مسؤوليتنا التاريخية حققنا، في الواقع، انعطافا ثوريا في السياسة.

صحيح ان الحزب الاشتراكي يعاني مصاعب ولكنه يملك قوى وموارد كافية. واذا اتخذنا في العلاقة معه موقفا غير مسالم فان القضايا ستتفاقم، ويمكن ان يؤدي عدم الاستقرار الى نشوء اصطدامات دموية، لهذا بالتحديد، فاننا اذ نرفض السياسة الرامية الى تعزيز الرأسمال الناتج عن المضاربة نرى ان من واجبنا ارغام الحزب الاشتراكي، المضطر الى اخذ ميول الجماهير الشعبية التي تؤيده في الاعتبار، على الموافقة على صوغ برنامج عمل يقرب كل السنغاليين بعضهم من البعض الاخر.

Digitized by Birzeit University Library

يعير الاشتراكيون الديمقراطيون اهتماما كبيرا لقضايا "العالم الثالث"، بما في ذلك افريقيا. وعلى الرغم من ان تناولهم ما زال اصلاحيا فانه يتضمن العديد من الجوانب المهمة. مثلا موضوعة انه ينبغي على قارتنا الا تنسخ الطريق الذي قطعته اوروبا. وان افريقيا تعاني جدا من الناحية الايكولوجية. اذ ان التصنيع الحثيث يمكن ان يؤدي بسرعة الى عواقب وخيمة لا علاج لها طبعا، عندما يفتقر الناس الى الطعام وعندما يكون ملايين الافارقة عاطلين عن العمل يمكن ان ننعت هذه الافكار بكونها تأملات باطلة لمثقفين "شبعوا". ولكن المسألة مطروحة بشكل صحيح من الناحية المبدئية.

وثمة جملة من القضايا التي لا يمكن تأجيل حلها حتى تحقيق الغد المثالي المنير لكل البشرية، بل تتطلب حلا سريعا. ونعتقد ان ليس الان وقت التنبؤ بالطريق الذي ستسلكه السنغال في المستقبل - الطريق الرأسمالي او الاشتراكي. ونحن لا نناقش هذه المسألة مع الحزب الاشتراكي الحاكم بل حول كيفية اخراج البلاد من الازمة وانقاذها من الكارثة التي تهددها.

اعتقد ان الثورة الاشتراكية بالشكل الذي حصل في اكتوبر ١٩١٧ استنفذت امكاناتها. واقصد نظرية "الحلقة الضعيفة"، فعلى اساسها بالضبط وضع حد لسيطرة الامبريالية دون منازع. ولكن هذه الحلقة كقاعدة عامة ما زالت ضعيفة بعدما انتقلت الى طريق الاشتراكية، وان انضمام بلدان جديدة اليها مستوى قواها المنتجة منخفض لا يسمح للنظام الجديد بالتفوق على النظام القديم والتمتع بقوة جذب الشعوب الاخرى. .

لقد ظهر ان الطريق الذي سلكناه قبل البيريسترويكا كان كاذبا. وهكذا لا نريد تكرار اخطاء الماضي. ويزداد عدد البلدان المتخلفة التي تعلن عن تمسكها بالاشتراكية وتعول على مساعدة الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى الاكثر تطورا والتي تعاني بدورها مصاعب كبيرة. وهي ببساطة لا تستطيع تحمل عبء اضافي، اذ سوف يعني ذلك نهاية الاشتراكية عموما. لان شعوبها لا تستطيع الحياة الى ما لا نهاية بانتظار المستقبل المنير واستلهام شعارات الاممية في وقت تفتقر فيه الى الحاجات الاولية.

اتوقع ان التطور اللاحق للبشرية سيسير بصورة مختلفة تماما. فالبلدان الاشتراكية ستتكامل ضمن الاقتصاد العالمي الذي ما زالت تسيطر عليه الرأسمالية. ومن جهة اخرى تنشأ هنا ايضا اوضاع غير متوقعة مشحونة بالانفجار.

حتى بداية القرن الحادي والعشرين سيكون عدد سكان "العالم الثالث" ٥ مليارات نسمة وسكان البلدان المتطورة ١ر٨ مليار. **ولا يوجد في جدول الاعمال: أرأسمالية ام اشتراكية.** فقد علمنا لينين ان التحولات السياسية الاجتماعية تكون مفيدة فقط عندما تسهم في تطور القوى المنتجة. ونؤكد ان التجربة الاشتراكية في افريقيا لم تؤد حتى الان الى النجاح في كل البلدان التي طبقتها.

ان الطريق الواقعي في طرح فكرة اقامة نظام اقتصادي دولي جديد، بمساعدة الامم المتحدة وحركة عدم الانحياز والبلدان الاشتراكية والقوى المتبصرة التي يزداد تأثيرها في قلاع الرأسمالية. ولا يمكن حل قضايا الاقتصاد العالمي الا بجهود البشرية المشتركة وبواسطة الديمقراطية وليس المواجهة - سواء أكان الامر على مستوى الشرق - الغرب ام الشمال - الجنوب.

ان حزب الاستقلال والعمل السنغالي يرحب بالاستثمارات الاجنبية بشرط مراعاة الفائدة والمصالح المتبادلة. والرأسمال لن يأتي اذا اعلنا

Digitized by Birzeit University Library

اننا نريد بناء الاشتراكية بمساعدته. فهو يمكن ان يوفر فرص العمل والتكنولوجيا ولكن يجب على البلد المستفيد ان يؤمن له ارباحا ملائمة. وانا واثق من انه يمكن اليوم، حيث تراجع خطر الحرب العالمية وتسود العالم نزعة نحو التعاون، يمكن حل قضايا بلدان مثل بلادنا على اساس معقول، بقوانا في المقام الاول وبمساعدة الاسرة العالمية ايضا.

ان الحكومات التي يمكنها تسهيل مصير شعوبها بصورة اسرع وافضل هي تلك التي تستطيع صوغ سلوك النهج السياسي الامثل في الوضع العالمي الجديد الذي يعطي الاولوية لا لهذه الايديولوجية او تلك، بل للاراء المعقولة. لهذا نحن لا نناضل ضد الرأسمالية وحتى ضد سياسة "التصحيح" التي يفرضها علينا البنك الدولي.

اننا نريد فقط الا يدفع المحرومون والاكثر حرمانا ثمن هذه السياسة. فمن الخطر تكديس اليأس. فهو لا يساعد على اجراء تحولات عميقة، بل هو غير قادر الا على ايقاع البلاد في الفوضى التي ستجر عواقب لا مثيل لها.

ومن الاهم وضع حد للنفسية الاتكالية التي اصابت للاسف بلدان التوجه الاشتراكي ايضا. فكثيرون جدا في افريقيا هم الذين يأملون في حدوث المعجزات. ولكن لا الرأسمال الاجنبي ولا البلدان الاشتراكية تستطيع حل قضايانا. فعلينا نحن واجب العمل وتثبيت الانضباط في العمل بوصفه القيمة الاساسية. فالطفيلية في المراتب الدنيا ليست اقل خطورة من طفيلية البرجوازية البيروقراطية. ويجب تقليص الدين الخارجي والعجز في الميزانية. ولا يمكن الاقتصار طوال الوقت على توزيع ما هو غير منتج. **فاولا الانتاج ثم التوزيع.**

ان حزب الاستقلال والعمل السنغالي يؤيد فكرة الاقتصادي الحر والمنفتح والديمقراطية الاقتصادية والسياسية الواسعة. ونقول "نعم" للرأسمال الخاص الاجنبي والمحلي. ونمد يدنا حتى للبرجوازية البيروقراطية. ونحن لا نطالب بتنظيم محاكمات مدوية للمختلسين. فليس هذا ما تحتاجه البلاد اليوم. فالافضل ان ترجع الاموال وتوظف في الانتاج بصورة مفيدة. فهذا اهم من التحقيق في كيفية تكديسها. ونحن لا نريد الانتقام بل نريد تقدما فعليا.

يخضع الشيوعيون السنغاليون الوسائل للاهداف. فاذا كان دخولنا الى الحكومة سيخلق مصاعب اضافية للبلاد لاسباب مختلفة فاننا لن نصر على ذلك. ان مصالح الامة هي الشيء الرئيسي **والسياسة الصحيحة هي سياسة الممكن.** ولا نركز على التناقض بين اليمين واليسار، او بين القوى الحاكمة والمعارضة. فكل من يستطيع ويريد اقتراح الطريق المؤدي الى الخروج من الازمة يجب ان يحصل على حق الكلام والموقع في الاجماع الوطني.

ونرى ان رسالتنا الشيوعية تكمن في مساعدة الشعب وليس زج الجماهير في مغامرات تكلف الناس وبخاصة الناس الاكثر حرمانا غاليا جدا. اما كيف ستحل قضية اختيار الطريق غدا فهذه مسألة اخرى. يمكن ان يؤيد السنغاليون بصورة ديمقراطية الاشتراكية التي تناسب ظروفنا. والامر الرئيسي اليوم هو توفير الشروط السياسية للعمل المنتج وتعبئة كل قوى الامة.

واذ اعود الى مسائل الحركة الشيوعية العالمية اود التعبير عن قلقي لتضعضع العلاقات بين الاحزاب الشيوعية في حين ان القوى الاخرى تتعزز هذه العلاقات فيما بينها. ونحن نجري نقاشات حول الاممية البروليتارية والاممية الجديدة وما شابه. ولكني لم اسمع من احد انه يجب تصفية علاقات التضامن عموما. اعتقد ان غياب البنى التنظيمية في الحركة الشيوعية، خلافا لاكثرية القوى الاخرى، هو الوجه الاخر للستالينية ونتيجة للاصابات العميقة التي لحقت

Digitized by Birzeit University Library

بالشيوعيين من جراء اخطاء تلك المرحلة وجرائمها. واليوم علينا في فترة البيريسترويكا البحث عن اشكال جديدة للتعاون والحدة ضمن التنوع لكي نحفظ انفسنا بوصفنا تيارا فكريا وسياسيا.

يضاف الى ذلك ان طبيعة عصرنا والقضايا التي يولدها تحتم ان يكون التعاون والتضامن اوسع بكثير مما في السابق. وثمة اشتراكيون ديمقراطيون و "خضر" وقوى يسارية اخرى. وثمة في المعسكر البرجوازي غير قليل من العقلاء والاحزاب والتيارات التي تدرك انه لا يمكن مواصلة الحياة كالسابق وانه **يجب تغيير الامور وتغيير الذات ايضا.** وليس صدفة مثلا ان يعلق مسؤول قسم بلدان افريقيا الاستوائية في احد مؤتمراته الصحفية في داكار امام الصحفيين المندهشين ما يلي تقريبا: **لا تفكروا ان البيريسترويكا ستتوقف في موسكو،** فاي حكومة تعتقد اليوم انها بمنأى عنها تجازف بمصيرها.

ليست الكارثة النووية وحدها هي التي تهدد البشرية. فالمليارات الخمسة من الفقراء يشكلون قوة هائلة تهدد بالانفجار. وهذا سوق تصريف يخسرها رأس المال العالمي. واذا لم يجر رفع قدرتهم الشرائية فان ارباح البرجوازية يمكن ان تكون في المستقبل موضع شك. وهناك قضايا الايكولوجيا والرعاية الصحية والتعليم والجريمة والمخدرات. وهناك في نهاية المطاف الكفاح ضد مأساة مرض نقص المناعة - الايدز.

ان كل ذلك يشكل اساسا موضوعيا للتعاون مع القوى البعيدة عن اليسار. وطبعا يبقى دور اليسار وهو ضروري ايضا. ولكن المسألة تدور حول شمول اوسع بكثير وعمليا حول توحيد جهود اكثرية البشرية اي كل من يفكر بصورة سليمة وكل من يهتم بمصيره وبمصير اطفاله.

يجب على الشيوعيين ان يجدوا موقعهم في هذا الاجماع العالمي الشامل وحينها يؤكدون قدرتهم على الاستمرار بوصفهم تيارا اجتماعيا مؤثرا. **وتغيير البرامج والانظمة الداخلية والاسماء وحتى حل بعض الاحزاب لا يقضي على افكار الشيوعية وممارستها.**

وما دامت القضايا التي ولدتها قائمة فلن تزول. والاستغلال غير مقبول ليس من جانبنا فحسب، بل من اكثرية المؤمنين ايضا. ان التناولات واساليب العمل مختلفة ولكن الهدف واحد الا وهو بناء مجتمع عادل خال من اضطهاد الانسان لاخيه الانسان، مجتمع الحرية والمساواة الحقيقية والازدهار للجميع.

ان ما قلناه يطرح على خلفية جديدة التناقض - الذي اعتبره التناقض الاساسي كالسابق - بين العمل ورأس المال، وعلى الصعيد الدولي بين الرأسمالية والاشتراكية على الرغم من ان الاثنتين تتغيران بسرعة، وقلما توجدان بالشكل الخالص الذي وصفهما كلاسيكيو الماركسية.

ان القضية تكمن في ان البلدان الاشتراكية انتهجت في فترة معينة نهجا يهدف الى القطع مع الاقتصاد العالمي. وحتى برنامج التعاون العلمي التقني بين دول مجلس التعاضد الاقتصادي، مثلا، وضع هدفا له تأمين الاستقلال الكامل عن بقية العالم. وقد نقضت الحياة مثل هذا التناول للاكتفاء الذاتي ووضعت البيريسترويكا حدا له من حيث الجوهر، وهو امر يلهمنا التفاؤل ليس الا.

ان التكامل على مستوى الكوكب سيولد تحولات جديدة في آلية اداء كلا النظامين وظائفه اما كيف وفي اي اتجاه فهذا يرتبط بتوزان القوى وبالسرعة التي ستتمكن فيها البلدان الاشتراكية من التغلب على تخلفها التكنولوجي. ولكن في كل الحالات فان التصور القديم حول المباراة - المواجهة والعداء التناحري على طول الخط - استنفذ اغراضه.

Digitized by Birzeit University Library

واليوم نحن بحاجة اكثر من اي وقت مضى لبحث خلاق مشترك عن اجوبة على الوقائع الجديدة لنهاية القرن العشرين. وحظنا سعيد في هذه الظروف انه ما زال حتى الان ثمة موقع وحيد للقاء شيوعيي كل العالم - حول مجلتهم المشتركة "قضايا السلم والاشتراكية".

لقد تجددت مجلتنا كثيرا من حيث الشكل والمضمون. وعلى اية حال، يبحث القراء عن المجلة في السنغال اليوم، اما في السابق فقد كان توزيعها صعبا بسبب رتابتها والمحتوى النظري والمعلوماتي الضعيف لاكثرية مقالاتها وعجزها عن الاستجابة للقضايا التي تقلق الناس.

لقد اصبحت المجلة اليوم اكثر حيوية وغنى وتنوعا. وهي تستطيع اليوم وفي المستقبل ان تضطلع بدورها البناء في حتمية البحث عن موقعنا كتيار سياسي على المستوى العالمي.

إنسان آلي في بريطانيا يجري الجراحات الدقيقة.

نجح العلماء البريطانيون في تصنيع نموذج لأول إنسان آلي يقوم بكافة الجراحات الدقيقة التي تتطلب مهارات وحساسية خاصة لا يزال يقوم بها قلة من الجراحين المهرة في جميع أنحاء العالم حتى الآن.

وتشير المصادر العلمية البريطانية الى أن هذا النموذج فاق في دقته خيال واحلام كبار الجراحين نظرا للدقة المتناهية التي يعمل بها ويتمكن من خلالها من إجراء اعقد جراحات المخ والعيون.

وتضيف هذه المصادر أنه حالما يستكمل تصنيع عدة نماذج أخرى خلال الأشهر القليلة سوف يصمم استخدام الانسان الآلي في غرف العمليات قبل نهاية العام المقبل وليحل محل مجموعة التمريض التي تساعد الجراح عادة في القيام باجراء الجراحات الدقيقة وسيكتفي بعمل الممرضات في العنابر التي سينقل اليها المرضى بعد اجراء جراحاتهم.

ويوصف نموذج الانسان الآلي المصمم لاجراء العمليات الجراحية الدقيقة بآلالات المفكرة ذات القدرة على الرؤية، والسمع والاستجابة للأصوات الصادرة اليها بالتعليمات. وانه بهذه الصفات والبعيدة تمام البعد عن المبالغة في الخيال بعد أن أصبح اختراعا حقيقيا يعد ثورة كبيرة في غرف العمليات الجراحية.

كما بدأت بعض مصانع الاجهزة الطبية البريطانية في انتاج آلية أخرى تقوم بنفس المهام التي تقوم بها الممرضات ورعاية المرضى بعد اجراء العمليات الجراحية الكبيرة لهم، والانتقال الى منازلهم لقضاء فترات النقاهة.

ويقول الدكتور بارتريك فينلاي كبير الخبراء الذي قاد مجموعة الباحثين الذين نجحوا في تصنيع الانسان الآلي المخصص للمساعدة في اجراء العمليات الجراحية الكبيرة: " ان ما تحقق ليس من باب الخيال العلمي بقدر ما هو انجاز كبير قام على اساس استخدام أحدث وسائل التكنولوجيا المتوفرة حاليا ".

ويضيف الدكتور باتريك فينلاي أن العقبة الوحيدة التي سيسهل تذليلها عند استخدامه تتمثل في ضرورة كسر حاجز الرهبة التي قد تصيب المريض من جراء مواجهته للآلة الحديثة التي ستتعامل مع اصابته. ولكن هذا الامر يبدو أسهل كثيرا من المصاعب الكبرى التي امكن تذليلها في برمجة عمل الانسان الآلي، والذي سيتكرر تصنيع نماذجه لمختلف الاستخدامات في الاعمال المنزلية.

Digitized by Birzeit University Library

الجمع بين المبدئية والمرونة

راندولفو بانيغاس

عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في هندوراس

لا توجد وصفات جاهزة لسياسة التحالفات، فهي ملموسة دائما، وتولد قضايا معقدة احيانا، وحلها مهمة مسؤولة وابداعية تقع على عاتق الشيوعيين.

ان امزجة الجماهير الشعبية في هندوراس، التي كانت تعتبر طرفا نائيا من اطراف الولايات المتحدة، تخضع اكثر افكثر لتأثير تطور الوضع في البلدان المجاورة: نيكاراغوا والسلفادور وغواتيمالا، فالتعاطف او غير التعاطف مع هذه القوى ام تلك يخلق حالة استقطاب داخل المجتمع الهندوراسي. وتؤثر فيها بصورة نشيطة ايضا سياسة واشنطن، التي خصصت لجمهوريتنا دورا خاصا في استراتيجيتها في امريكا الوسطى.

فقد انشئت خلال فترة قصيرة في البلاد قواعد قوية للبنتاغون، تعتبر المراكز الرئيسية للثورة المضادة في امريكا الوسطى. واخضعت الولايات المتحدة لارادتها الاوساط الحاكمة في البلاد، والحزبين السياسيين التقليديين - الحزب الوطني والحزب الليبرالي، وكذلك قيادة القوات المسلحة. وانخرط العديد من ممثلي الاوليجاركية المحلية في المخططات الامبريالية املا في الحصول على حقن من الدولارات.

أن سلطة الاغنياء تضطر، اكثر فاكثر، الى استخدام مجموعة كاملة من التدابير الوقائية. وهي تشمل - اذا ما تحدثنا بصورة عامة - العنف المقنن المقترن ببعض عناصر الديمقراطية الشكلية. وهكذا، فان نظام الحكم الخاضع في الواقع لسيطرة العسكريين والقائم على مبدأ "الامن القومي"، رأى انه من الممكن تسليم الجهاز الحكومي للاحزاب المدنية.

وحلت مكان الانتخابات "على الطريقة الهندوراسية"، عندما كان يتم بواسطة الخداع والقوة تنصيب الدكتاتوريين او ازلامهم رؤساء دستوريين، الانتخابات (على الطريقة الهوليوودية". ولم تتخل الرجعية عن العنف وتزييف نتائج التصويت، ولكنها تريد الان خلق انطباع عن العملية الانتخابية "النظيفة". فكيف يتم ذلك؟ لقد منحت، مثلا، عصابات الكونتراس

Digitized by Birzeit University Library

النيكاراغوية حقوق سكان هندوراس. وبذلك ازداد عدد الاصوات التي تحصل عليها الاحزاب البرجوازية.

اضافة الى ذلك، فباستخدام هذه الاحزاب على نطاق اوسع خدمات المنظمات الامريكية الشمالية المتخصصة بخلق الصورة الجذابة للمرشحين، كما هو متبع في الولايات المتحدة، فانها تستعيض عن المناقشة السياسية الجدية للمصاعب والمعضلات الواقعية التي تعاني منها هندوراس، بالثرثرة الدعائية الفارغة التي تفتقر الى اي برنامج او التزامات امام الشعب.

ان هذا كله تجلى بصورة مقنعة في انتصار الحزب الوطني في المعركة التي جرت في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٨٩ لانتخاب الرئيس ونوابه الثلاثة و ١٢٨ نائبا في الجمعية الوطنية و ٢٠ نائبا في برلمان امريكا الوسطى واعضاء ٢٨٩ مجلسا بلديا. وقد شارك في المعركة الحزب الليبرالي الحاكم والحزب الوطني المعارض وكذلك الحزب المسيحي الديمقراطي وحزب التجديد والوحدة الاشتراكية الديمقراطية. وقد تميزت الوعود السياسية الانتخابية للمرشحين للمنصب الرئيسي في البلاد عن الحزب الليبرالي والحزب الوطني بالتقارب اكثر من الاختلاف، وعكست وحدة الاراء حول الدفاع عن مصالح الاوليجاركية والرجعية.

وفي الوقت الذي تنازع فيه الحزبان الرئيسيان على المقاعد في البرلمان والحكومة والمجالس البلدية، مع تمتعهما بظروف افضل لخوض الحملة الانتخابية - اذ ان القانون الساري لا يسمح للشيوعيين والقوى اليسارية بخوض الانتخابات بصورة مباشرة - كان الحزب المسيحي الديمقراطي، وحزب التجديد والوحدة الاشتراكية الديمقراطية يعملان على انجاز مهمات اكثر تواضعا سعيا الى زيادة عدد نوابهما في اجهزة الدولة وايضاح البنود الاساسية لبرامجهما الوطنية للناخبين. وقد اعلن أ. اغيلار سيراتو، المرشح عن حزب التجديد والوحدة الاشتراكية الديمقراطية، ان الحزب وحلفاءه سيصلون الى السلطة، ولكن ليس الان. ويتطلب ذلك، في رأيه، التحلي بالصبر والظفر بدعم اغلبية السكان.

وفي غضون ذلك يساهم الحكام المدنيون الذين يتعاقبون على السلطة، الخاضعون للقيادة العسكرية والامبريالية الامريكية، ومن بينهم ر. ليوناردو كاليخاس الذي انتخب مؤخرا، يساهمون في الاحتلال المشين للبلاد وتفشي الفساد وتعاظم الدين الخارجي، ويرضخون بدون مسؤولية لتعليمات صندوق النقد الدولي، ويفاقمون الازمة البنيوية والسياسية. وتأخذ اعمال القمع ضد الشيوعيين والاشتراكيين الديمقراطيين والمسيحيين الديمقراطيين نطاقا متزايدا.

ولكن الاحداث لا تتطور دائما وفق السيناريو الذي تضعه الرجعية. فتطالب الجماهير بالتحولات، وتنظم الطبقة العاملة والشغيلة الاضرابات والمظاهرات، وتقوم المنظمات الثورية بالاعمال المسلحة، ويستولي الطلاب واساتذة الجامعات على المعاهد، والفلاحون على الارض، وتتسع التحركات من اجل الحقوق المدنية، وتتعاظم حملة التضامن مع نيكاراغوا والنضال من اجل حل الازمة الحادة في امريكا الوسطى بالوسائل السياسية.

ومع ذلك من المفيد طرح السؤال: لماذا يتبدل بهذا البطء، في ظروف الازمة العميقة، توازن القوى بين الرجعية الساعية الى الحفاظ على الوضع القائم، وانصار التقدم؟

ان الاجابة الصحيحة عن هذا السؤال تتطلب، في اعتقادي، النظر الى القضايا السياسية البالغة الاهمية بانصاف ونقد ذاتي، والتخلي عن التفسير السطحي والمبسط للواقع الهندوراسي،

Digitized by Birzeit University Library

واعادة النظر في اتجاه نشاطنا، والتخلص من الفهم العقائدي الجامد للمسلمات النظرية، واضفاء صفة مطلقة على بعض اشكال النضال وسبله، ودراسة التجربة الايجابية والسلبية بصورة مفصلة. ان التخلف في هذا المجال واضح، والمسؤولية تقع على عاتق الجميع، ومن بينهم الشيوعيون.

ان اللينينية توضح لنا ان موقف الحزب السياسي من اخطائه هو احد المعايير البالغة الاهمية لجديته وقيامه الفعلي بواجبه ازاء الطبقة العاملة والشغيلة. فالاعتراف الصريح بالاخطاء وتحليل الواقع المؤدي اليها، والمناقشة المفصلة لوسائل اصلاحها تعني تربية وتعليم الحزب والشعب على حد سواء. ويتطلب الوضع الدولي، كذلك الوضع في القارة والبلاد منا تذليل الهوة بين الشروط الناضجة للتحولات، وفاعلية اعمال اولئك الذين يسعون الى السير في طليعتها.

ونعتقد ان التغلب على الاتجاهات السلبية يحتاج الى تقويمات عميقة في محتواها وليس آنية للواقع ولاصطفاف القوى السياسية، وتحديد الاجابات الملموسة عن الاماني الروحية والمادية وعن حاجات الحركة "شعبية، وطرح اهداف واضحة امامها، وتجديد نشاط الحزب، وصوغ تناولات عصرية لحل القضايا الملحة.

واعتقد ان واجب المنظمة الماركسية والحركة الكفاحية المناهضة للامبريالية واحد، وهو ان تكون المطبق الاساسي لافكار التحرر الوطني والتحولات الديمقراطية. وليس مجرد المشاركة في هذه العملية، بل السعي الى ان تكون عاملا مؤثرا فعلا تضطلع بدور رئيسي في اعادة البناء الجذرية للمجتمع الاستغلالي، وليس الانزلاق الى مواقع المتأمل السلبي والشريك الثانوي، ناهيكم عن الانجراف في التيار.

لقد دفعت الازمة الى الواجهة مسألة **برنامج السلطة البديلة**، التي تأخذ في الحسبان طابع اللحظة، ورغبة الجماهير في استعادة سيادة البلاد، والقضاء على نظام الحكم الذي يخدم مصالح الاوليجاركية وكبار رجال المال. ويطرح النضال السياسي في سبيل سلطة الشعب على جدول الاعمال كمهمة ملموسة. وينص البرنامج الذي صاغه الحزب الشيوعي في هندوراس على اتجاهات عدة.

اولا، انسحاب قوات الاحتلال الامريكية الشمالية والعصابات السوموسية المضادة للثورة من البلاد، الوقف الفوري للمناورات التي تجري على اراضي هندوراس بالاشتراك مع الولايات المتحدة؛ ازالة قواعدها ومنشآتها العسكرية، وكذلك القيام بخطوات اخرى ترمي الى استعادة الكرامة والسيادة الوطنيتين.

ثانيا، مجموعة من التدابير للتغلب على الازمة الاقتصادية، بما في ذلك استئناف الاصلاح الزراعي، ودعم الدولة للمواد الغذائية التي تحظى بطلب يومي، وفرض الرقابة على اسعارها. ورفع مستوى معيشة الشعب بصورة فعلية، وينبغي وقف تسديد الدين الخارجي (حوالي ٤ مليارات دولار)، الذي يلتهم تسديده حوالي ٤٠ في المة من عوائد التصدير بالعملة الصعبة، واستخدام المبالغ المتوفرة لحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتقديم العون المالي للمؤسسات الوطنية.

ثالثا، اعادة بناء المجتمع على اسس ديمقراطية: الحق في انشاء المنظمات السياسية والمهنية والاجتماعية وغيرها، وعدم تدخل الدولة واجهزتها القمعية في نشاطها، اعلان العفو التام عن جميع المعتقلين السياسيين والمهاجرين، الغاء القانون "المعادي للارهاب"، وحل العصابات شبه العسكرية وتطهير الجيش واجهزة الشرطة والقضاء، **وتقديم كل متورط في** الجرائم الفادحة الى المحاكمة.

رابعا، اقامة نظام حكم يتسم بالتعددية السياسية والايديولوجية، ممارسة نهج السلام

Digitized by Birzeit University Library

على الصعيد الدولي وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى.

ونراهن في تنفيذ هذا البرنامج على توسيع التعاون بين الفئات الاجتماعية والمجموعات والمنظمات المناضلة ضد السيطرة الامبريالية ومن اجل التحولات الديمقراطية، ومن بينها ممثلو الكنيسة والجيش الساخطون على الوضع في البلاد.

لدى تحليل تركيب القوى المحركة للعملية الثورية في البلاد، **كان في رأينا الوقت للتخلي عن الاطروحات غير القابلة للحياة**، ولرؤية الاتساع البالغ والتنوع الذي يتسم بهما العاملون باجر والمستغلون (بالفتح) والفقراء والمحرومون، الموهلون للقيام بدور بارز في تغيير النظام القائم، وللتوجه نحو المنظمات الجماهيرية ايضا: المنظمات الثقافية والشبابية والنسائية والايكولوجية والدينية ومنظمات الاقليات الاثنية، الخ. ويتلخص جوهر القضية في ان يصبح برنامج البروليتاريا البوصلة الرئيسية للحركة الشعبية - الحركة المتنوعة، ولكن الهادفة موضوعيا الى اجراء التحولات في المجتمع.

ان المهمات التي تواجه الشيوعيين تطرح متطلبات جديدة، بالدرجة الاولى، على سياسة التحالفات، التي تشكل هدفا لتزييف نشاط الحزب الشيوعي في هندوراس من قبل خصومه. فاذا كان البعض ينسب الينا "الطموح الى القيادة"، فان البعض الاخر يرى انه، وان كان بامكاننا "السير معا"، ولكن علينا ان نفقد وجهنا الخاص. البعض يعتبرنا "محرضين" نعمل من وراء الكواليس، واخرون يعتبروننا "مجموعة من المتملقين". ويتضح الطابع الكاذب لمثل هذه الافتراءات، اذا ما تأملنا المبادىء الاساسية لسياسة التحالفات المعروضة في وثائق الحزب الشيوعي البرنامجية.

ان المساواة والشراكة بين جميع المشاركين في الائتلاف ليس "مناورة تكتيكية" ابدا. والحديث يدور عن موقف الشيوعيين المبدئي، الذي عله انجلز عام ١٨٤٨. فيتأكيده على ضرورة العلاقات المتميزة ب"التبادل والمساواة" في الائتلافات الديمقراطية، قال: "ان كل تحالف لا يعترف بهذه المساواة كأساس له، يكون غير ديمقراطي بحد ذاته".

ان التعاون الحقيقي يفترض الا يطمح عضو في التحالف الى قيادة الاخرين بل ان يسعى الى وضع المصالح العامة ووجهات النظر المتطابقة في المقام الاول. وفيما يتعلق بالحزب الشيوعي في هندوراس فانه يعتزم الحصول على احترام الحلفاء بفضل المبادرة في تنظيم التحركات المشتركة، والاندفاع والاتساق في اعمال اعضائه.

والشراكة تعني بالنسبة لنا ايضا **الاغناء المتبادل** للخبرة. والحزب لا يمنح الحركة الديمقراطية قوى اضافية ولا يقترح عليها افكاره وبدائله فحسب، بل ويستمد منها الالهام وزخما جديدا للتأملات اللاحقة، وللنقد الذاتي، وتذليل الاخطاء والخوف من الصلات مع المنظمات السياسية الاخرى.

ربما كان الاتساع الكبير للتحالفات يفتح افضل الافاق لتحقيق المطالب المطروحة بنجاح. لذا فاننا نحترم البواعث السياسية والاستقلالية التنظيمية للشركاء في الائتلاف، ونسعى الى ان يكون موقفهم من الحزب الشيوعي مماثلا.

وعلى الرغم من تنوع المواقف من التحالفات نعتبر ان افضل اشكال النضال، عادة، **تلك التي تساهم في توسيع الحركات الديمقراطية، وتطوير وعي جماهير الشعب الواسعة وتعزز كفاحيتها.**

وكلما كان الشغيلة اكثر **انفتاحا على الوحدة**، كانت قدرتهم اكبر على انجاز مهمتهم بوصفهم القوة الرئيسية للتحولات الاجتماعية بنجاح. وخلافا للنقابات التي يتوحد فيها العمال والمستخدمون والموظفون من مختلف

Digitized by Birzeit University Library

الاتجاهات السياسية والعقائدية للدفاع عن مصالحهم المشتركة المباشرة، فان الحزب الثوري يبنى على اساس ايديولوجي دقيق. ولكن هناك ايضا، حيث توجد في حركتنا تيارات مختلفة، وحيث لا تتوفر للوحدة التنظيمية، من الضروري السعي الى الاعمال المشتركة.

ان التعاون ليس **هدفا** بحد ذاته، بل هو نضال ملموس من اجل مصالح الشعب الهندوراسي. وبقدر ما يدافع حلفاؤنا عن السيادة الوطنية، ويقفون ضد القواعد العسكرية الاجنبية ويطالبون بالتحولات الديمقراطية، بقدر ما يكون بامكانهم المراهنة على دعم الشيوعيين.

ونعتبر انه من الضروري في التحالف المحافظة على **الاستقلالية** السياسية والايديولوجية والتنظيمية **للحزب الشيوعي**. فعندما يطرح الشيوعيون المطالب العامة في المقام الاول، فانهم يمتنعون عن ممارسة سياستهم الخاصة. فنحن، على سبيل المثال، الى جانب الدعم النشيط للحركة من اجل تحرير البلاد من قوات الولايات المتحدة، نكشف في الوقت نفسه عن البدائل الديمقراطية البعيدة المدى، وعن الافق الاشتراكي.

ونفهم مدى اهمية التقبل الاكثر رهافة لتنوع وجهات النظر في اطار التحالف. فقد كنا نعتبر في الماضي ان التركيز ينبغي ان يكون على ما "يقرب". ولكن تبين ان ذلك غير كاف. فاذا كنا نريد تجنب الوضع الذي تتحول فيه الاختلافات الى نزاعات وتحبط التوصل الى المواقف المشتركة، توجب علينا ايلاء الفوارق ايضا اهتماما مماثلا. فالبحث عن الافكار الجديدة يساهم في التلاحم.

كما ان العمل الايديولوجي المستقل للحزب ضروري لسبب اخر ايضا، فكلما كان تعاون الشيوعيين في الحركات الديمقراطية اكثر نشاطا، كان تأثير الاراء البرجوازية الصغيرة وغيرها فيهم اشد قوة.

عدم فقدان الوجه الخاص، تلك هي احدى مقدمات المساواة في سياسة التحالفات. والشيوعيون لا يخفون اراءهم ونياتهم. فنحن نسعى الى انشاء مجموعات او خلايا للحزب الشيوعي في المنظمات والائتلافات والاتحادات المختلفة (السياسية، المهنية، العسكرية، التعاونية، التعليمية، الرياضية وغيرها). وهي، اذ ترتبط ارتباطا وثيقا فيما بينها وبقيادة الحزب وتتبادل الخبرة وتتغلغل في جميع ميادين الحياة الاجتماعية، فانها مدعوة الى تربية نفسها والحزب والطبقة والجماهير من خلال هذا النشاط.

فاذا كان الناس لا يعرفون الحزب الشيوعي، فكيف يمكنه الطموح الى الحصول على مكان لائق في الائتلاف؟ وعندما يعتم الشيوعيون على جوهرهم **يتولد** انطباع لدى الشركاء في انهم يدعمون الحركة بالقول، لا بالفعل او (وهذا اسوأ) انهم يبتغون مطامح خفية من وراء التحالف.

اذا عممنا ما قلناه، فبامكاننا استخلاص الاستنتاج الاتي: ان سياسة التحالفات تتطلب **الوحدة المبدئية والمرونة**. والتعبير المكثف عنها هو المساومة السياسية مع الشركاء الذين يتمسكون باتجاه اخر، والاعتراف بضرورتها واستخدامها الصحيح في الممارسة. وفي رأي الحزب الشيوعي في هندوراس، تهدف المساومات الى:

- حث النضال ضداحتلال قوات الولايات المتحدة للبلاد، ووجود الكونتراس النيكاراغوية.
- المساهمة في تطوير وعي وكفاحيةالطبقة العاملة وحلفائها، خدمة مصالح جميع الشركاء.
- عدم الحد من استقلالية الحزب الشيوعي، عدم اعاقة تنفيذ مهماته المستقبلية.

ان هذه المساومات كما يبين تاريخ الحركة العمالية، بما في ذلك في هندوراس، كثيرا ما تتطلب تذليل الاتجاهات الفئوية في صفوفنا.

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والآراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية ، او تلمح من خص بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاول وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها.
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل ، المهنة ، والعنوان ، والهاتف ان وجد.
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة . علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر.
- المادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها.
- نرجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة ، وعلى وجه واحد من الورقة ، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر.
- تعلون المراسلات باسم رئيس التحرير الى : مجلة الكاتب / ص.ب(٢٠٤٨٩) - القدس.

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

---

* قسيمة اشتراك *

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر **مجلة الكاتب** .

قيمة اشتراك واحد لمدة على ان ترسل الى العنوان التالي:

الاسم Name _____

العنوان Adress _____

المدينة City _____

البلد Country _____

قيمة الاشتراك

	سنة		
للافراد		للمؤسسات المحلية	٥٠ دولار
الاشتراك المحلي	٢٠ دولار	اوروبا	١٠٠ دولار
اوروبا	٩٠ دولار	بلدان اخرى	١٥٠ دولار
بلدان اخرى	٧٥ دولار		

الاشتراك السنوي

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي:

AL - KATEB.P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM.VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

● مخيم شعفاط، قرب القدس المحتلة: عشرات من شبان المخيم أثناء اعتقالهم، في الجبل، بعد انتزاعهم من منازلهم فجر يوم ١٠/٣/١٩٩٠ خلال المواجهات التي استشهد فيها شابان من أبناء المخيم.

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

120

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

Digitized by Birzeit University Library